بناة مصر الحديثة

الباشا .. الزعيم .. الإنسان

سامي الزقم



بناة مصر الحديثة

الباشا .. الزعيم .. الإنسان

سامي الزقم



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : **بناة مصر الحديثة**

المؤلف : سامي الزقم

رقم الإيداع : ٢٢٠٦٣/ ٢٠١٨

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٣٤-٠٩٢-١

الطبعة الأولى ٢٠١٨



القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤
Tokoboko_5@yahoo.com

إهداء

إلى محمد على باشا ..

إلى جمال عبد الناصر الزعيم ..

إلى عبد الفتاح السيسي الإنسان ..

هذا الجهد المتواضع

سامى الزقم

القاهرة فى ٦/ ١٠/ ٢٠١٨

مقدمة

جرت العادة ألا يدع الغرب ودول إقليمية بعينها الفرصة لمصر على وجه الخصوص أن تنهض من كبوتها وتستيقظ من غفوتها عملاً بالقول النابليوني المأثور: « قل لي من يحكم مصر .. أقل لك من يحكم العالم» .

إن موقع مصر وثقافتها وتاريخها ، وتطلعها لمشروع حضاري جديد بعد ثورتين بهرتا العالم فى عامي ٢٠١١ ، ٢٠١٣ ، دائماً ما تجد الملاحقات والعقبات والمؤامرات.

فمصر مينا وأحمس وتحتمس ورمسيس الثاني وصلاح الدين الأيوبي وقطز وبيبرس ومحمد على وجمال عبد الناصر كان لديهم حلم ورؤية ومشروع وانطلقوا خارج الحدود، وتجدد هذا الحلم وتلك الرؤية وهذا المشروع التنموي من جديد باختيار **عبد الفتاح السيسي** رئيساً للجمهورية .

ليصبح من هؤلاء الرجال فى التاريخ الحديث والمعاصر ثلاثة قادوا الأمة المصرية ولم يكتفوا بإدارة أجهزتها وشئون حكمها إنهم الباشا (محمد على) والزعيم (جمال عبد الناصر) والإنسان (عبد الفتاح السيسي) .

وتظل مصر – بثرواتها وإمكاناتها ومواردها – التى قادها كل من الباشا والزعيم، ويقودها حالياً الإنسان ، هي نفسها مصر التى حكمها الملوك والأمراء والولاة من قبلهم ، ولم يكن لأي منهم فضل اكتشافها ، وإنما كل لثلاثتهم فضل تنمية ثرواتها وتعظيم إمكاناتها واستثمار مواردها وإحكام السيطرة على أمن البلاد والسعي لاستقلال قرارها.

فخصصت لكل منهم –بصفتهم بناة مصر الحديثة – فصلاً تناولت فيه مولده ونشأته ودراسته وحياته المهنية وظروف اختياره حاكماً والمصاعب التى وقفت عائقاً أمام تنفيذ رؤيته ، كما ألمحت إلى الظروف الداخلية والخارجية التى عاصرت وتعاصر نظامه، والسياسات التى اتبعها كل منهم والانتقادات الموجهة لهم ورؤي المفكرين والمؤرخين فى الأداء العام لكل منهم وتقييم شامل للتجربة، وتطلعات وآمال مواطنيهم .

وقبل هذه الفصول أجريت مقارنات بين القادة الثلاث للكشف عن المشترك فيما بينهم وأوجه الاختلاف.

هذا ما حاولت تقديمه في مؤلفي: (الباشا .. الزعيم .. الإنسان .بناة مصر الحديثة) ، أسأل الله أن أكون قد وفقت فيما أقدمت عليه .

القاهرة في ٦/ ١٠ / ٢٠١٨

سامي الزقم

بين
الباشا والزعيم والانسان

تولى حكم مصر الوالي محمد على باشا بـإرادة شـعبية ، واختـار مجلـس قيـادة الثورة الزعيم جمال عبد الناصر لحكم مصر وباسـتفتاء شـعبي ورضـا عـام ، كمـا اختير الإنسان عبد الفتاح السيسي لرئاسة مصر بضغط واستدعاء جماهيري وفاز فى انتخابات الرئاسة عام ٢٠١٤ ، واجه ثلاثـتهم ظروفـاً داخليـة وخارجيـة متشـابهة وتمكنوا من التغلب على تلك المصاعب بإجراءات متتابعة فوصفهم المعارضـون لهم بالإنفراد بالسلطة والإفـراط فى اسـتخدام القـوة ، ومـع ذلـك فـإن المؤيـدين وأغلب هؤلاء المعارضين أجمعوا على أنهم أصحاب رؤية وحلم ولـديهم مشـروع تنموي شامل وقدرة على تحقيق استقلال القرار الوطني .

من هنا أصبح من الطبيعي قبل أن أعرض تجربة كل منهم الإشارة إلى مقارنات تجمعهم فى الرؤى والحلم والتجربة وأسلوب قيادتهم لحكم أمة بحجـم ومكانـة مصر .

- كل منهم صاحب رؤية ومشروع واستهدف استقلال القرار المصري .

- تربع الباشا على عرش مصر ٤٢ عاماً ، بينما الزعيم ١٨ عاماً نائبـاً لـرئيس مجلس قيادة الثورة ورئيساً للوزراء ثم رئيساً لمجلس الثورة ثم رئيساً للجمهورية، أما الإنسان فقاد الأمة لأربع سنوات وهو في بداية ولايته الثانية لرئاسة الجمهورية (٢٠١٨– ٢٠٢٢) .

- لقب الباشا بعزيز مصر ، كما لقب الإنسان أيضاً بعزيز مصر .

- الزعيم قال « باسم الأمة » فتغير وجه التاريخ ، والإنسان قال تحيا مصر ... تحيا مصر... تحيا مصر فدوت القاعات ترددها تحية له ولمصر .

- أنشأ الباشا وابنه إبراهيم وسليمان الفرنساوي جيشاً وأسطولاً بحرياً قوامه ٢٣٦ الفاً على أحدث النظم العسكرية الأوروبية ، وأقر الزعيم مع رفاقه أعضاء مجلس قيادة الثورة المبادئ الستة أهمهما بناء جيش وطني قوي مزوداً بالسلاح من الشرق والغرب ، بينما استطاع الإنسان إعادة بناء القوات المسلحة تدريباً وتخطيطاً وتسليحاً براً وبحراً وجواً منوعاً لمصادر التسليح وبأحدث تكنولوجيا العصر حماية لأمننا القومي ولمياهنا الاقتصادية .

- تولى الباشا حكم البلاد والياً بإرادة شعبية تمثلت فى المشايخ وكبار التجار ونقباء الحرف وتولى الزعيم الحكم باختيار مجلس قيادة الثورة وتأييد الجماهير له عبر استفتاء ثم الرضا العام من قبل المواطنين ، وترشح الإنسان لمنصب رئيس الجمهورية تلبية لنداء ولضغط شعبي وموافقة المجلس العسكري وفوزه فى انتخابات ٢٠١٤ على منافسه السيد / حمدين صباحي

- الباشا والزعيم والإنسان ينتمون لأصول عسكرية .

- اعتمد كل من الباشا والزعيم والإنسان على القدرات الذاتية المصرية والموارد المتاحة بشكل أساسي ولجأ كل من الزعيم والإنسان لقروض طويلة الأجل لتمويل مشروعات قومية محددة لبناء دولة حديثة .

- تكالب الدول الغربية ومعها تركيا ودول إقليمية أخرى ضد مشروع التنمية الشاملة الذي تبناه كل من الباشا والزعيم والإنسان .

- زوجات كل من الباشا والزعيم والإنسان لم يعملن بالسياسة ولم يشاركن فى الشأن العام .

- زوجة الباشا السيدة / أمينة هانم ترجع أصولها إلى قوله بمقدونيا وكانت

تابعة للدولة العثمانية ، أما زوجة الزعيم السيدة/ تحية كاظم فكانت من أصول إيرانية ، بينما زوجة الإنسان السيدة إنتصار عامر فهي من أصول مصرية.

- ثلاثتهم أقاموا مشروعات مائية فالباشا أقام القناطر الخيرية وسدودا وترعا والزعيم أقام السد العالي والإنسان استكمل إقامة قناطر أسيوط الجديدة وتوسع فى إنشاء محطات لتحلية المياه وتدويرها فى كل ربوع المحروسة .

- كانت مصر تحت الاحتلال العثماني المملوكي وقت تولي الباشا مقاليد الحكم ، بينما كانت تحت الاحتلال البريطاني وقت تولي الزعيم رئاسة الجمهورية، أما الإنسان فقد واجه احتلالاً من نوع مختلف اسمه تنظيم الإخوان الدولي ومكتب الإرشاد وجماعات الإرهاب المنظم المدعومة دولياً (الإحتلال الإخواني خوارج العصر) .

- كان الباشا رجلاً قوياً وذكياً يستطيع أن يرسل رسائل دون أن يتحدث ولديه قدرة فائقة على إقناع الآخرين ، والزعيم كان لديه ذكاء ومن ينظر فى عينيه لا يستطيع الكذب لقوة شخصيته ، أما الإنسان فإنه ذكي وشجاع ولديه قدرة على السيطرة على المواقف .

- أقر الباشا حقوق المواطنة فى صورة فرمانات وسياسات مكنت الجميع من العمل دون تمييز ومارسوا حرية العبادة دون خوف ، ودعم الزعيم حقوق كل الفئات وأولهم المرأة فى حياة كريمة وممارسة سياسية ، أما الإنسان فقد أتاح الفرصة لممارسة أوسع للمرأة وذوي الاحتياجات الخاصة والشباب والقضاء على مظاهر التمييز ترسيخاً لمبدأ المواطنة .

- القدرة على امتصاص الصدمات والنهوض من جديد لمواجهة الواقع هكذا أدار الباشا غضبه عندما خسر أمام تحالف الغرب مع الخليفة العثماني ضده فى معاهدة لندن ، وكذلك استطاع الزعيم إدارة غضبه بما يليق لصالح الأزمة التى

مرت بها مصر فى حرب ١٩٥٦ ونكسة ١٩٦٧ ، ويدير الإنسان غضبه بما يناسب مكانة مصر ودورها فى مواجهة ما يحيطها من صراعات وتدخلات وما يحاك ضدها من مؤامرات .

- الباشا خاض معركة فى الداخل والخارج بالقوة ، بينما الزعيم خاض معاركه بقوة الشعوب العربية والأفريقية والعالم الثالث ، أما الإنسان فإنه يخوض معاركه عبر سياسات واستراتيجيات متوازنة ومتزنة يستخدم فيها كل الوسائل والأساليب واستثمار كافة العلاقات على مختلف الأصعدة .

- سيطر الباشا على منابع النيل بالقوة بينما سيطر الزعيم على منابع النيل بالصداقة ، ويحاول الإنسان اتباع سياسة مرنة ومد جسور المحبة والمنافع المتبادلة مع دول حوض النيل للوصل بدلاً من النزاع والقطيعة .

- في لندن تآمروا على الباشا وعلى الزعيم ولا زالوا ضد الإنسان إنها مركز للمؤامرات والدسائس وحضانة للمتطرفين والإرهاب .

- كانت علاقة الزعيم بالجماهير علاقة خاصة فهي تمثل بالنسبة له الكثير ، أن هذه الجماهير وقفت وراءه فى ساعات الهزيمة كما هتفت حوله أيام النصر ، وكذلك الإنسان فعلاقته بالجماهير علاقة عجيبة غريبة لا يفهمها إلا هم والإنسان نفسه فعندما رفع الأسعار غضبت الجماهير ولما قال لهم مفيش حل تاني وافقوا وهم راضون عكس كل التوقعات .

- تشابه الظروف الأمنية والأوضاع الداخلية المضطربة قبل تولي كل منهم الحكم وكان كل منهم بمثابة البطل المنقذ أو المخلص أو الأسطورة فى نظر الجماهير، فالباشا هو المنقذ لمصر من الفوضى والإضطرابات التى شهدتها عقب الحملة الفرنسية على مصر ، وكان الزعيم هو المنقذ لها بعدما شهدته من أحداث حريق القاهرة ومعركة الكرامة بالإسماعيلية وتغيير الوزارات وفوضى الاغتيالات والعنف المدبر ، أما الإنسان فقد أنقد مصر من حكم فاشي تديره أجهزة مخابرات

دولية بالتنسيق مع تنظيم دولي وإرشاد الإخوان خلقوا معاً فوضى أمنية غطت عموم المحروسة ولازال الجيش المصري مع الشرطة وأجهزة الأمن يمشطون سيناء والحدود ضمن عملية أطلق عليها العملية الشاملة فى سيناء .

- كان الباشا يبدأ يومه مبكراً قبل الجميع، ويواصل عمله مع مستشاريه ورجاله حتى ساعات متأخرة ، يتخللها فترات راحة بسيطة ، وكان الزعيم يمتلك برنامجاً يومياً يبدأ صباحاً بالقراءة وتناول كوب من الشاي وسماع المحطات الإذاعية واتصالات تليفونية ، ويظل ساعياً للمتابعة – والمناقشة والمراجعة ، أما الإنسان فإن بداية يومه مع الفجر وقراءة القرآن وزيارات مفاجئة لمواقع مدنية أو عسكرية أو المشاركة فى ماراثون ويظل طوال يومه قارئاً ومراجعاً ومناقشاً ومتابعاً لكل ما يجري فى الوطن وخارجه .

- كانت علاقة الباشا بأسرته وعائلته علاقة دافئة حرص دائماً على متابعتهم وتوجيه النصح لهم كبيراً أو صغيراً ، وكذلك كان الزعيم على علم بكل تفاصيل حياة أسرته وأقاربه وعلى معرفة دقيقة بأحوالهم ، أما الإنسان فلم يختلف عن الباشا والزعيم محباً لأسرته وأقاربه مثالاً للجدية والالتزام تربطه بالجميع علاقات ود ومحبة واحترام .

- كان الباشا يقيم وأسرته فى قصره بشبرا ويمارس شئون الحكم من القلعة وكانت البداية فى الأزبكية أما الزعيم فقد ظل وأسرته فى منزله بمنشية البكري واتخذ منه مكاناً لعمله اليومي عدا الاستقبالات والجلسات الرسمية فكانت فى أحد القصور الرئاسية بالقاهرة أو الإسكندرية وسار على نهجه الإنسان فقد ظل وأسرته فى سكنه الخاص قبل تولي مهام الرئاسة وجعل من قصر الإتحادية بالقاهرة والمنتزه بالإسكندرية للاستقبال والمحادثات الرسمية باستثناء لقاءاته فى المؤتمرات والمناسبات الوطنية فعادة ما تكون فى أحد القاعات أو الفنادق .

- قال الزعيم أن الشعب هو المعلم وقال الإنسان الشعب هو من حافظ على مصر وهو بقدرته وصلابته وصموده أقوى من النووي .

- الباشا استخدم القوة فى تحقيق مصالحه وتوسيع امبراطوريته لخلق سوق لمنتجاته بينما الزعيم غزا العالم بمواقفه ومكانته الشخصية أما الإنسان فقد اعتمد على استراتيجية تبادل المصالح والمنافع وتحقيق التوازن والاتزان وثوابت فى العلاقات العربية والدولية .

- إن خروج جماهير المصريين عام ١٨٠٥م يقودهم المشايخ والتجار وأصحاب الحرف للمناداة بعزل خورشيد باشا وأن يكون محمد على والياً بدلاً منه مثلت اختياراً شعبياً وضغطا على الباب العالي بينما كان خروج الجماهير فى مصر والوطن العربي بكثافة وعفوية ومشاعر وطنية فى التاسع من يونيو ١٩٦٧ تمسكا بالزعيم ، كانت تعبيراً عن استفتاء جديد على شعبيته مشروطاً بتخليصها من عدو مغتصب ومشاركة منها فى استرداد عزتها وكرامتها أنه عقد مشروط وشيك مكتوب وليس على بياض ، بينما كان الخروج المتكررللجماهير فى ٣٠ يونيو ٢٠١٣ ، ٣ يوليو ٢٠١٣ ، ٢٤ يوليو ٢٠١٣ بمثابة استدعاء للإنسان وتفويض لتخليص الوطن من حكم جماعة إرهابية وتنظيم المرشد–خوارج العصر الحديث– المتعاون مع أجهزة استخبارات أجنبية وإقليمية وعربية ، ومجموعات داخل الوطن قبلت على نفسها خيانته ، وانتشرت فى كل مناحي الحياة فى مصر تحت أشكال وصور متعددة وأنشطة براقة رافعة شعارات لا علاقة لها بالواقع ، مستخدمة كل ألوان الإرهاب والخسة .

- أحسن الباشا اختيار قادة حملاته العسكرية وأمدهم بالوصايا وتابع آداءهم وتدخل فى التوقيتات المناسبة فى معاركه شرقاً وشمالاً وجنوباً وبحراً كما أحسن اختيار من يشرف على إعداد وتدريب قواته ضباطاً وجنوداً ، بينما تخلى الزعيم طواعية عن القوات المسلحة لعبد الحكيم عامر إعداداً وتدريباً وتخطيطاً فأصبح

مركز قوة له مريديه يصعب ترويضه حتى كانت نكسة ١٩٦٧ ليتحمل المسئولية ويتمكن من اختيار قادة أكفاء ليعيدوا معه بناء القوات المسلحة وبدؤوا حرب الإستنزاف ووضعوا خطط استرداد سيناء حتى وافته المنية فى سبتمبر ١٩٧٠ أما الإنسان فقد وضع نصب عينيه تجارب سابقيه مستفيداً من دروس التاريخ فأجرى التغييرات فى أصعب وأدق الظروف حتى مع أقرب الناس إليه وزود القوات المسلحة ولا زال بأحدث المعدات الشرقية والغربية جواً وبحراً وبراً مع استمرار خطط التدريب محلياً ومع دول متعددة داخل وخارج مصر وفرض سيطرة كاملة على الحدود براً وبحراً .

- اهتم الباشا بتصنيع معدات وذخائر الجيش بدلاً من الاستيراد من الخارج مستعيناً بالخبراء الأوروبيين وعلى رأسهم الفرنسيين ، وخطا الزعيم خطوات متعددة بإقامة المصانع الحربية والهيئة العربية للتصنيع لتوفير احتياجات القوات المسلحة والخارج فى حدود المتاح معتمداً على دول المعسكر الشرقي وخاصة الإتحاد السوفيتي ، أما الإنسان فقد اختار تطوير تلك المصانع متعاوناً مع الشرق والغرب والتوسع فيها بخطوط إنتاج جديدة لإمداد القوات المسلحة بمزيد من احتياجاتها وتصدير الفائض منها عبر أسواق يتم فتحها تحقيقاً للمصالح المتبادلة ومشجعاً البحث العلمي والتطور التكنولوجي .

- الباشا حارب بجيشه وبحريته فى الشمال والجنوب والشرق لتوسيع دائرة نفوذه وتكبد خسائر فادحة عندما تكالبت عليه دول الغرب بمساندة عثمانية ، أما الزعيم فقد دفع بقواته البحرية والبرية والجوية البالغة نصف مليون ضابط وجندي إلى اليمن لمساندة ثورته الوليده عام ١٩٦٢ ، فقدت مصر خلالها خيرة شبابها فوق سفوح ووديان جبال اليمن ، علاوة على ما تكبدته مصر من خسائر إقتصادية كانت كفيلة بإنعاش الاقتصاد المصري لو تم استثمارها داخلياً، وقد رأى العديد من الخبراء أن اشتراك مصر على هذا النحو في حرب اليمن لم تكن إلا

مصـيدة لإسـقاط حكـم الـزعيم فضـلاً عـن كونهـا أحـد أهـم أسـباب نكسـة ١٩٦٧ وتمثل سوء تقدير ،بينما الإنسان اعتذر عـن إرسـال قـوات عسـكرية بريـة لليمن واكتفى بالإشتراك بقوات بحريـة وجويـة ضـمن قـوات التحـالف العربـي لمحاربة المتطرفين الحوثيين ومعهم قوات تابعـة للـرئيس السـابق عـلى عبـد الله صالح مخلفين حالة من الإضطراب فى اليمن شمالاً وجنوباً مستفيداً من تجربتـي الباشا والزعيم، حماية لأمننا القومي ، وتأمينا للمجرى الملاحى لقناة السويس.

- أنشأ الباشـا ترسـانة الإسـكندرية بعـد بـولاق لصـناعة السـفن التجاريـة والحربية بمصر بدلاً من استيرادها من أوروبا معتمداً على الخبراء الفرنسيين ، وفي عام ١٩٦٠ أعاد الزعيم اقامة ترسانة الإسكندرية البحرية لترميم وصيانة وصناعة السفن ، أما الإنسان فقد أولى الترسانة اهتماماً واضـحاً بإعـادة التأهيـل والهيكلـة والتدريب للعاملين بها متفقاً مع الجانـب الفرنسـي (شـركة نافـال) عـلى تصـنيع ثلاث كورفيتات من طراز جوينـد ٢٥٠٠ أولهـا الكورفيـت الشـبحي سـجم بـور سعيد ٩٧٢ ، بترسانة الإسكندرية كما اهتم بكل من ترسانة بور سـعيد والسـويس وبور توفيق للصناعة وصيانة السفن وبناء المعديات .

- المشـروع النـووي كـان حلـم الـزعيم وأقـام مفاعـل إنشـاص للدراسـة والأبحاث والإنتاج وأراد التوسع فى هذا المجال لولا هزيمة ١٩٦٧ التى أوقفـت كل برامج التطوير والتنمية بما فيها النووي ليصبح كـل شـئ مـن أجـل المجهـود الحربي وليتوقف كلياً أي مسعى لتطوير المشروع بعد نصر أكتوبر ٧٣ حتـى جـاء الإنسان ليحيي الأمل ويعقد مع الجانـب الروسـي اتفاقيـة إقامـة محطـة الضـبعة النووية لتبدأ بأربعة مفاعلات مع مدرسة لتخـريج الفنيـين وبعثـات لروسـيا مـن العلماء والباحثين والمهندسين لخلق جيـل جديـد فى عصـر مختلـف ولأهـداف متعددة ، وليساهم في التطور التكنولوجي فى مختلف المجالات .

- ارتدى الباشا وأسرته ملابس ومصنوعات جلدية مصرية ، وكـذلك فعـل

كل من الزعيم وأسرته والإنسان وأهل بيته تطبيقاً لشعار « بكل فخر صنع فى مصر ».

- تابع الباشا الأبناء والأحفاد دراسياً وصحياً ، وسار على نهجه بنفس الاهتمام والمتابعة للأبناء دراسياً وصحياً كل من الزعيم والإنسان.

- ازدانت حوائط الدواوين والمجالس الخاصة بصور الباشا ، وثُبتت صور الزعيم على حوائط المؤسسات الحكومية والقطاع العام وحتى الخاص ، بينما الإنسان رفض استبدال صوره مكان صور سابقيه خرقاً للعادة المصرية القديمة!!.

- واجه الباشا الفساد المالي والإداري بالرقابة (التفتيش / المحاسبة المالية/ الجرد) والقانون والعقوبة ، وحاصره الزعيم بقانون للرقابة الإدارية عام ١٩٦٤م وأجهزة أمنية ومالية ، وعدل اختصاصات الرقابة الإدارية وأطلق يدها الإنسان بالقانون رقم ٢٠٧ لسنة ٢٠١٧م ، وكذلك حفز باقى الأجهزة الرقابية والأمنية لمواجهة كل ألوان الفساد من جشع وإهدار الموارد والسلبية والإهمال وسوء التخطيط والتنفيذ والرشوة .

- أحسن الباشا التعامل مع المسيحيين ، ورفع عنهم كل أنواع الظلم والتمييز ، واستطاع الزعيم أن يرسخ نفس المفهوم ، وتخصيص أرض بالعباسية لإقامة الكاتدرائية ، وكان أول المتبرعين لبنائها ، وافتتحها بصحبة الإمبراطور هيلاسلاسى إمبراطور الحبشة (أثيوبيا) والبابا كيرلس السادس ، أما الإنسان فقد أقام الكاتدرائية الكبرى بالعاصمة الإدارية الجديدة وقبلها أقام على نفقة الدولة والقوات المسلحة كل الكنائس التى هدمها أو أحرقها المتطرفون والإرهابيون وهي بالعشرات ، كما أقر حقوق المواطنة وتيسير إجراءات ترميم أو بناء كنائس جديدة وملحقاتها وحضور الاحتفالات الدينية ، ولأول مرة تعيين محافظ سيدة مسيحية فى دمياط ونواب وزراء ومحافظين.

الفصل الأول

الباشا



نشأته :

ولد في مدينة قولة التابعة لمحافظة مقدونيا شمال اليونان عام ١٧٦٩م، لعائلة ألبانيةكان أبوه «إبراهيم أغا» رئيس الحرس المنوط بخفارة الطريق ببلده، وقيل أن أباه كان تاجر تبغ .كان لوالده سبعة عشر ولدًا لم يعش منهم سواه وقيل في موضع آخر أن له شقيق يدعى أحمد[١]، وقد مات عنه أبوه وهو صغير السن، ثم لم تلبث أمه (خضرة) أن ماتت فصار يتيم الأبوين وهو في الرابعة عشرة من عمره فكفله عمه «طوسون»، الذي مات أيضًا، فكفله حاكم قولة وصديق والده «الشوربجي إسماعيل» الذي أدرجه في سلك الجندية، فأبدى شجاعة وحسن نظر، فقربه الحاكم وزوجه من امرأة غنية وجميلة تدعى «أمينة هانم»، كانت بمثابة طالع السعد عليه، وأنجبت له إبراهيم وطوسون وإسماعيل (وهي أسماء أبوه وعمه وراعيه) ومن الإناث أنجبت له ابنتين توحيدة ونازلي.

كيف جاء إلى مصر والظروف الداخلية بها والعالمية حولها :

وعندما قررت الدولة العثمانية إرسال جيش إلى مصر لانتزاعها من أيدي الفرنسيين كان هو نائب رئيس الكتيبة الألبانية والتي كان قوامها ثلاثمائة جندي، وكان رئيس الكتيبة هو ابن حاكم قولة الذي لم تكد تصل كتيبته ميناء أبو قير في مصر في ربيع عام ١٨٠١م، حتى قرر أن يعود إلى بلده فأصبح هو قائد الكتيبة . ووفقًا لكثير ممن عاصروه، لم يكن يجيد سوى اللغة الألبانية، وإن كان قادرًا على التحدث بالتركية .

بعد فشل الحملة الفرنسية على مصر، وانسحابها عام ١٨٠١م، تحت ضغط الهجوم الإنجليزي على الثغور المصرية، الذي تواكب مع الزحف العثماني على بلاد الشام، إضافة إلى اضطراب الأوضاع في أوربا في ذلك الوقت، شجع

(١) مصر فى عهد محمد على – عفاف لطفى السيد مارسو – المركز القومي للترجمة ٢٠١٦- ص٨١.

ذلك المماليك على العودة إلى ساحة الأحداث في مصر، إلا أنهم انقسموا إلى فريقين أحدهما إلى جانب القوات العثمانية العائدة لمصر بقيادةإبراهيم بك الكبير والآخر إلى جانب الإنجليز بقيادة محمد بك الألفي ، ولم يمض وقت طويل حتى انسحب الإنجليز من مصر وفق معاهدة أميان ، أفضى ذلك إلى فترة من الفوضى نتيجة الصراع بين العثمانيين الراغبين في أن يكون لهم سلطة فعلية لا شكلية على مصر، وعدم العودة للحالة التي كان عليها حكم مصر في أيدي المماليك، وبين المماليك الذين رأوا في ذلك سلبًا لحق أصيل من حقوقهم، شمل ذلك الصراع مجموعة من المؤامرات والاغتيالات في صفوف الطرفين، راح ضحيتها أكثر من والٍ من الولاة العثمانيين ، خلال هذه الفترة من الفوضى، استخدم الباشا قواته الألبانية للوقيعة بين الطرفين، وإيجاد مكان له على مسرح الأحداث،كما أظهر الباشا التودد إلى كبار رجال المصريين وعلمائهم ومجالستهم والصلاة ورائهم، وإظهار العطف والرعاية لمتاعب الشعب المصري وآلامه، مما أكسبه أيضًا ود المصريين ، وفي مارس ١٨٠٤م، تم تعيين والٍ عثماني جديد يدعى «أحمد خورشيد باشا»، الذي استشعر خطورة الباشا وفرقته الألبانية حيث استطاع أن يستفيد من الأحداث الجارية والصراع العثماني المملوكي، فتمكن من إجلاء المماليك إلى خارج القاهرة، فطلب من الباشا بالتوجه إلى الصعيد لقتال المماليك، وأرسل إلى الأستانة طالبًا بأن تمده بجيش من «الدلاة».وما أن وصل هذا الجيش حتى عاث في القاهرة فسادًا مستوليا على الأموال والأمتعة ومعتديا على الأعراض، مما أثار تذمر الشعب، وطالب زعماؤه الوالي خورشيد باشا بكبح جماح تلك القوات، إلا أنه فشل في ذلك، مما أشعل ثورة الشعب التي أدت إلى عزل الوالي.

اختيار الباشا والياً على مصر بإرادة شعبية :

اختار زعماء الشعب بقيادة عمر مكرم- نقيب الأشراف- الباشا ليجلس محله، وفي ٩ يوليو ١٨٠٥م، وأمام حكم الأمر الواقع، أصدر السلطان

العثماني سليم الثالث فرمانًا سلطانيًا بعزل خورشيد باشا من ولاية مصر، وتولية الباشا على مصر ، بعد أن بايعه أعيان الشعب ليكون والياً على مصر فى ١٧ مايو سنة ١٨٠٥ م .

وفي أوائل عام ١٨٠٦م صدر فرمان سلطاني بعزل الباشا من ولاية مصر، وتوليته ولاية «جده»[1]، فأظهر الامتثال للأمر واستعداده للرحيل، إلا أنه تحجج بأن الجند يرفضون رحيله قبل سداد الرواتب المتأخرة، وفي الوقت نفسه لجأ إلى عمر مكرم نقيب الأشراف الذي كان له دور في توليته الحكم ليشفع له عند السلطان لإيقاف الفرمان، فأرسل علماء مصر وأشرافها رسالة للسلطان، يذكرون فيها محاسن الباشا وما كان له من يد في دحر المماليك، ويلتمسون منه إبقاءه واليًا على مصر، فقبلت الآستانة ذلك على أن يؤدي الباشا ٤.٠٠٠ كيس، ويرسل ابنه إبراهيم رهينة في الآستانة إلى أن يدفع هذا الفرض .

الأخطار التى واجهت الباشا وضبط الأوضاع الداخلية :

١ - كان على الباشا أن يواجه الخطر الأكبر المحدق به، ألا وهو المماليك بزعامة محمد بك الألفي الذي كان المفضل لدى الإنجليز منذ أن ساندهم عندما أخرجوا الفرنسيين من مصر، ولم يمض سوى ٣ أشهر حتى قرر المماليك مهاجمة القاهرة، وراسلوا بعض رؤساء الجند لينضموا إليهم عند مهاجمة المدينة. علم الباشا بما يدبر له، فطالب من رؤساء الجند مجاراتهم واستدراجهم لدخول المدينة، وفي يوم الاحتفال بوفاء النيل عام ١٨٠٥م، هاجم ألف من المماليك القاهرة، ليقعوا في الفخ الذي نصبه الباشا لهم، وأوقع بهم خسائر فادحة، مما اضطرهم للانسحاب، حينئذ استغل الباشا الفرصة، وطاردهم حتى أجلاهم عن الجيزة، فتقهقروا إلى الصعيدالذي كان لا يزال في أيديهم.

(١) محمد على ونظام حكمه – طارق البشرى – ص ٢٧ – دار الشروق.

وفي أوائل عام ١٨٠٦م، أنفذ الباشا جيشًا لمحاربة المماليك في الصعيد بقيادة حسن باشا قائد الفرقة الألبانية، الذي اشتبك مع قوات محمد بك الألفي الأكثر عددًا في الفيوم، وانهزمت قوات الباشا مما أدى إلى انسحابها إلى جنوب الجيزة، ثم فرّت جنوبًا إلى بني سويف من أمام قوات محمد بك الألفي الزاحفة نحو الجيزة، تزامن ذلك مع زحف قوات إبراهيم بك الكبير وعثمان بك البرديسي من أسيوط لاحتلال المنيا، التي كانت بها حامية تابعة للباشا، إلا أن قوات حسن باشا دعّمت الحامية وأوقفت زحف قوات المماليك إلى المنيا.

بعد أن توجه محمد بك الألفي إلى الجيزة، لم يهاجم القاهرة وإنما توجه إلى دمنهور بناءً على اتفاق سري بينه وبين حلفائه الإنجليز، ليتخذها مركزًا لتجميع قواته، فحاصرها إلا أن أهالي المدينة وحاميتها استبسلوا في الدفاع عنها. وعندما بلغ الباشا أنباء حصار دمنهور، أرسل جزءًا من جيشه لمواجهة قوات محمد بك الألفي، فوصلت إلى الرحمانية في أواخر شهر يوليو من عام ١٨٠٦، واشتبكوا مع قوات الألفي بالنجيلة وهي قرية بالقرب من الرحمانية، وتعرض جيش الباشا للمرة الثانية للهزيمة، وانسحبوا إلى منوف،فعاد الألفي لحصار دمنهور، إلا أنه لم يبلغ منها منالاً، فقد طال الحصار فتألّب عليه جنوده متذمرين، مما اضطره لفك الحصار والانسحاب إلى الصعيد، وسرعان ما جاءت الباشا أنباء وفاة عثمان بك البرديسي أحد أمراء مماليك الصعيد، ثم أنباء وفاة الألفي أثناء انسحابه، فاغتبط لذلك، سرعان ما جرد جيشًا وتولى قيادته لمحاربة المماليك في الصعيد، حيث استطاع جيش الباشا أن يهزم المماليك في أسيوط، ويجليهم عنها، واتخذ منها مقرًا لمعسكره حيث جاءته أنباءالحملة الإنجليزية.

٢- حملة فريزر فى ١٧ مارس ١٨٠٧ :

في إطار الحرب الإنجليزية العثمانية، وجهت إنجلترا حملة من ٥.٠٠٠ جندي بقيادة الفريق أول فريزر، لاحتلال الإسكندرية لتأمين قاعدة عمليات ضد الدولة

العثمانية في البحر المتوسط، كجزء من استراتيجية أكبر ضد التحالف الفرنسي العثماني .

أنزلت الحملة جنودها في شاطئ العجمي في ١٧ مارس سنة ١٨٠٧، ثم زحفت القوات لاحتلال الإسكندرية، التي سلمها محافظ المدينة «أمين أغا» إلى القوات البريطانية دون مقاومة، فدخلوها في ٢١ مارس، وهناك بلغتهم أنباء وفاة حليفهم الألفي، فأرسل فريزر إلى خلفاء الألفي في قيادة المماليك ليوافوه بقواتهم إلى الإسكندرية ، وفي الوقت ذاته، راسلهم الباشا ليهادنهم، إلا أنهم خشوا أن يتهموا بالخيانة، فقرروا الانضمام لقوات الباشا، وإن كانوا يضمرون أن يسوّفوا حتى تتضح نتائج الحملة ليقرروا إلى من ينضمون ، قرر فريزر احتلال رشيد والرحمانية، لقطع طريق التعزيزات التي قد تأتي إلى المدينة عبر نهر النيل.

وفي ٣١ مارس أرسل فريزر ١.٥٠٠ جندي بقيادة اللواء «باتريك ويشوب» لاحتلال رشيد، فاتّفقت حامية المدينة بقيادة «علي بك السلانكلي»[1] والأهالي على استدراج الإنجليز لدخول المدينة دون مقاومة، حتى ما أن دخلوا شوارعها الضيقة، انهالت النار عليهم من الشبابيك وأسقف المنازل، وانسحب من نجا منهم إلى أبو قيروالإسكندرية، بعد أن خسر الإنجليز في تلك الواقعة نحو ١٨٥ قتيل و٣٠٠ جريح، إضافة إلى عدد من الأسرى .أرسلت الحامية الأسرى ورؤوس القتلى إلى القاهرة، وهو ما قوبل باحتفال كبير في القاهرة.

ولأهمية المدينة، أرسل فريزر في ٣أبريل جيشًا آخر قوامه ٢.٥٠٠ جندي بقيادة الفريق أول ويليام ستيوارت، ليستأنف الزحف على المدينة، فضرب عليها في ٧أبريل حصارًا وضربها بالمدافع، وأرسل ستيوارت قوة فاحتلت قرية «الحمّاد» لتطويق رشيد، ومنع وصول الإمدادات للمدينة ، وفي ١٢أبريل، عاد

(١) حاكم رشيد قاوم مع الحامية والأهالي محاولة الانجليز الاستيلاء على رشيد ، وانتصروا عليهم وقتل قائدهم وأعدادًا كبيرة منهم.

الباشا من الصعيد، واطلع على الأخبار وقرر إرسال جيش من ٤.٠٠٠ من المشاة و١.٥٠٠ من الفرسان بقيادة نائبه «طبوز أوغلي»، لقتال الإنجليز، صمدت المدينة لمدة ١٣ يومًا، حتى وصل الجيش المصري في ٢٠ أبريل، مما اضطر ستيوارت إلى الانسحاب كما أرسل رسولاً إلى النقيب «ماكلويد» قائد القوة التي احتلّت الحمّاد يأمره بالانسحاب، إلا أنه لم يتمكن من الوصول، وفي اليوم التالي، حوصرت القوة المؤلفة من ٧٣٣ جنديًا في الحمّاد، بعد مقاومة عنيفة، وقعت القوة بين قتيل وأسير ، فعاد ستيوارت إلى الإسكندرية ببقية قواته، بعد أن فقد أكثر من ٩٠٠ من رجاله بين قتيل وجريح وأسير.

تابعت قوات الباشا زحفها نحو الإسكندرية وحاصروها ، وفي ١٤ سبتمبر سنة ١٨٠٧، تم عقد صلح بعد مفاوضات بين الطرفين، نص على وقف القتال في غضون ١٠ أيام، وإطلاق الأسرى الإنجليز،على أن تخلي القوات الإنجليزية المدينة، والتي رحلت إلى صقلية في ٢٥سبتمبر ، وبذلك تخلص الباشا من واحد من أكبر المخاطر التي كادت تطيح بحكمه في بدايته.[١]

لكنه ظل يتخذ لنفسه سياسة حذرة فى تعامله معهم ، ويتقرب أكثر من الجانب الفرنسي ويشير لذلك الدكتور / أحمد زكريا الشلق فيقول :

(وكان محمد على يهدف من تقاربه مع الفرنسيين استخدام المنافسة الدولية لكي يحول دون غزو أوروبي جديد ، إذ كان يدرك جيداً أن احتلال أية دولة أوروبية للبلاد يثير عليها خصومة الدول الأخرى ونقمتها ، وفضلاً عن ذلك كان يهدف من وراء تقاربه مع فرنسا الاستعانة بها في بناء نظامه الجديد ، وكان ذلك التقارب من الأسباب التى أدت إلى عداء إنجلترا له التى أخذت تنظر بعين القلق إلى إصلاحاته لإدراكها أن كل إصلاح يقوي إحدى ولايات الدولة العثمانية الواقعة على طريق مواصلاتها الإمبراطورية إلى الهند إنما يشكل خطراً على

(١) ملحق رقم (١) معاهدة جلاء القوات الإنجليزية عن الأسكندرية في سبتمبر١٨٠٧ .

مصالحها التجارية والاستراتيجية) . [1]

٣- التخلص من ممثلى الشعب :

نقيب الأشراف والزعيم الوطني الكبير الشيخ عمر مكرم، خلعه الباشا من نقابة الأشراف في محاولة للتخلص من كبار الزعماء الشعبيين وتوطيد حكمه في البلاد ،على الرغم من المساعدات التي قدمتها الزعامة الشعبية بقيادة نقيب الأشراف عمر مكرم للباشا بدءًا بالمناداة به واليًا، ثم التشفع له عند السلطان لإبقائه واليًا على مصر، وبالرغم من الوعود والمنهج الذي اتبعه الباشا في بداية فترة حكمه مع الزعماء الشعبيين، بوعده بالحكم بالعدل ورضائه بأن تكون لهم سلطة رقابية عليه، إلا أن ذلك لم يدم ،فبمجرد أن بدأالوضع في الاستقرار النسبي داخليًا بالتخلص من الألفي وفشل حملة فريزر وهزيمة المماليك وإقصائهم إلى جنوب الصعيد، حتى وجد الباشا أنه لن تطلق يده في الحكم، حتى يزيح الزعماء الشعبيين، تزامن ذلك مع انقسام علماء الأزهر حول مسألة من يتولى الإشراف على أوقاف الأزهر بين مؤيدي الشيخ عبد الله الشرقاوي ومؤيدي الشيخ «محمد الأمير».

وفي شهر يونيو من عام ١٨٠٩م، فرض الباشا ضرائب جديدة على الشعب، فهاج الناس ولجؤوا إلى عمر مكرم الذي وقف إلى جوار الشعب وتوعد بتحريك الشعب إلى ثورة عارمة ونقل الوشاة الأمر إلى الباشا ،الذي استغل محاولة عدد من المشايخ والعلماء للتقرب منه وغيرة بعض الأعيان من منزلة عمر مكرم بين الشعب كالشيخ محمد المهدي والشيخ محمد الدواخلي، فاستمالهم الباشا بالمال ليوقعا بعمر مكرم ، وكان قد أعد حسابًا ليرسله إلى الدولة العثمانية يشتمل علي أوجه الصرف، ويثبت أنه صرف مبالغ معينة جباها من البلاد بناءً علي أوامر قديمة وأراد أن يبرهن علي صدق رسالته، فطلب من زعماء المصريين أن يوقعوا

(١) محمد على وعصره – د. أحمد زكريا الشلق وآخرون ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ٢٠٠٥ .

علي ذلك الحساب كشهادة منهم على صدق ما جاء به ، إلا أن عمر مكرم امتنع عن التوقيع وشكك في محتوياته.

فأرسل يستدعي عمر مكرم إلى مقابلته، فامتنع عمر مكرم، قائلاً «إن كان ولا بد، فاجتمع به في بيت السادات.» وجد الباشا في ذلك إهانة له، فجمع جمعًا من العلماء والزعماء، وأعلن خلع عمر مكرم من نقابة الأشراف وتعيين الشيخ السادات، معللاً السبب أنه أدخل في دفتر الأشراف بعض الأقباط واليهود الذين أسلموا نظير بعض المال، وأنه كان متواطئًا مع المماليك حين هاجموا القاهرة يوم وفاء النيل عام ١٨٠٥، ثم أمر بنفيه من القاهرة إلى دمياط ،وبنفي عمر مكرم اختفت الزعامة الشعبية الحقيقية من الساحة السياسية، وحل محله مجموعة من المشايخ الذين كان الباشا قادرًا على السيطرة عليهم إما بالمال أو بالاستقطاعات، وهم الذين سماهم الجبرتي «مشايخ الوقت».

وعلى أية حال فإن الزعامة الشعبية قد أدت دوراً بارزاً وتفاعلت مع تطورات الأحداث وكان لها الدور الرئيسي سواء أثناء الحملة الفرنسية أو حملة فريزر ١٨٠٧، وتولية الباشا حكم مصر أو محاولات الباب العالي عزل الباشا ، وتهدئة تمرد العسكر ويؤكد نفس المعنى دكتور أحمد زكريا الشلق فيقول :

(وفي خلال السنوات الأولى من حكم محمد على ظل مقدراً للزعامة الشعبية التى استمد منها مشروعيته فى الحكم ، فضلاً عن وقوفها إلى جانبه فى كثير من الأزمات التى واجهها ، حيث ساندته فى التصدي لمحاولات الباب العالي عزله عن الولاية ، كما تصدت لمحاولات المماليك الإطاحة به ، وفي إخماد حركات العسكر الذين تجمعوا فى عام ١٨٠٧ أمام دار سكناه بالأزبكية للمطالبة برواتبهم المتأخرة فى الوقت الذي كان يعاني فيه من أزمة مالية طاحنة [١].

ومما لا شك فيه أن عدم خبرة الشيوخ بالشئون السياسية وفنون الحكم أدت

(١) محمد على وعصره – د. أحمد زكريا الشلق وآخرون ، دار الكتب والوثائق المصرية .

لضياع المكاسب التى حصلوا عليها .

٤ – مذبحة القلعة والتخلص من الفرق العسكرية :

بالرغم من أن الباشا استطاع هزيمة المماليك، وإبعادهم إلى جنوب الصعيد ، إلا أنه ظل متوجسًا من خطورتهم، لذا لجأ إلى استراتيجية بديلة وهي التظاهر بالمصالحة واستمالتهم بإغداق المال والمناصب والاستقطاعات عليهم، حتى يستدرجهم للعودة إلى القاهرة ،كان ذلك بمثابة الطعم الذي ابتلعه الجانب الأكبر من المماليك، الذين استجابوا للدعوة مفضلين حياة الرغد والترف على الحياة القاسية والمطاردة من قبل الباشا ، إلا أن بعض زعماء المماليك مثل إبراهيم بك الكبير وعثمان بك حسن ورجالهم، لم يطمئنوا إلى هذا العرض، وفضلوا أن يبقوا في الصعيد.

في ديسمبر من عام ١٨٠٧م، تلقّى الباشا أمرًا سلطانيًا من السلطان العثماني مصطفى الرابع، بتجريد حملة لمحاربة الوهابيين الذين سيطروا على الحجاز، مما أفقد العثمانيين السيطرة على الحرمين الشريفين، وبالتالي هدد السلطة الدينية للعثمانيين ، إلا أن الباشاظل يتحجج بعدم استقرار الأوضاع الداخلية في مصر، بسبب حروبه المستمرة مع المماليك ، لكن بعد تظاهره بالمصالحة مع المماليك، لم يبق أمام الباشا ما يمنعه من تجريد تلك الحملة، لذا قرر الباشاأن يجرّد حملة بقيادة ابنه أحمد طوسون لقتال الوهابيين ، كان في تجريد تلك الحملة ورحيل جزء كبير من قوات الباشا خطر كبير على استقرار أوضاعه في مصر، فوجود المماليك بالقرب من القاهرة، قد يشجعهم على استغلال الفرصة لينقضوا على الباشا وقواته ، لذا لجأ الباشا إلى الحيلة فأعلن عن احتفال في القلعة بمناسبة إلباس ابنه طوسون خلعة قيادة الحملة على الوهابيين، وحدد له الأول من مارس سنة ١٨١١م، وأرسل يدعو الأعيان والعلماء والمماليك لحضور الاحتفال ، فلبى المماليك الدعوة، وما أن انتهى الاحتفال حتى دعاهم الباشا إلى

السير في موكب ابنه ، تم الترتيب لجعل مكانهم في وسط الركب، وما أن وصل المماليك إلى طريق صخري منحدر يؤدي إلى باب العزب المقرر أن تخرج منه الحملة، حتى أغلق الباب فتكدست خيولهم بفعل الانحدار، ثم فوجئوا بسيل من الرصاص انطلق من الصخور على جانبي الطريق ومن خلفهم يستهدفهم ،راح ضحية تلك المذبحة المعروفة بمذبحة القلعة كل من حضر من المماليك، وعددهم ٤٧٠ مملوك، ولم ينجُ من المذبحة سوى مملوك واحد يدعى «أمين بك»، الذي استطاع أن يقفز من فوق سور القلعة، بعد ذلك أسرع الجنود بمهاجمة بيوت المماليك، والإجهاز على من بقي منهم، وسلب ونهب بيوتهم، بل امتد السلب والنهب إلى البيوت المجاورة، ولم تتوقف تلك الأعمال إلا بنزول الباشا وكبار رجاله وأولاده في اليوم التالي، وقد قُدّر عدد من قتلوا في تلك الأحداث نحو ١٠٠٠ مملوك، بتخلص الباشا من معظم المماليك، انسحب الذين بقوا في الصعيد إلى دنقلة، وبذلك أصبح للباشا كامل السيطرة على مصر.

ويقول د. أحمد زكريا الشلق عن مذبحة القلعة ما يلي :

(ومع أن محمد على نجح فى التخلص من العناصر المضادة له ، فقد ظل المماليك يمثلون خطرا داهماً عليه ، وكثيراً ما عاني من مؤامراتهم وعصيانهم وتمرد جنودهم عليه بحيث لم يجد مفراً من تدبير مؤامرة للتخلص منهم بعد أن تعذر عليه الاعتماد عليهم أو اكتساب ثقتهم ، واستمروا يشكلون عقبة تحول بينه وبين القيام بمشروعاته الإصلاحية أو الإنفراد بالسلطة ، ومن ثم نبتت فى ذهنه فكرة اغتيالهم وتدبير تلك المؤامرة الشهيرة التى عرفت بمذبحة القلعة فى مارس ١٨١١)[١].

وعن التخلص من الفرق العسكرية التى كان يمثلها مجموعات من جنود الإنكشارية والأرناؤوط والدلاة والتى كانت تسعى فى الأرض فساداً ونهبا وسلباً

(١) محمد على وعصره – د. أحمد زكريا الشلق وآخرون ، دار الكتب والوثائق المصرية .

وتمرداً على رؤسائهم يقول د. أحمد زكريا الشلق :

(لم يلبث أن وجد الفرصة سانحة أمامة للتخلص من تلك الفرق العسكرية ، ومنها فرقته الألبانية ذاتها ، وذلك باستهلاكها فى حروبه الخارجية فى الجزيرة العربية والسودان ، وأن يحل بدلاً منها نظاماً عسكرياً جديداً يعتمد فيه على السواعد المصرية من أبناء البلاد أنفسهم ، بكل ما يحمله ذلك النظام العسكري الجديد من مقومات الاستقرار والثبات .) [١]

السياسة الخارجية :

١- الحرب الوهابية :

ظهر عجز الدولة العثمانية، منذ أوائل القرن التاسع عشر، في إخماد الثورات التي قامت في وجهها، فاستنجدت بولاتها لإخمادها، ومن هذه الثورات التي قضت مضاجع الدولة :الثورة اليونانية والحركة الوهّابية في شبه الجزيرة العربية.حقّقت الدعوة الوهّابية نجاحًا في نجد، واحتضنها أمير الدرعية محمد بن سعود بن محمد آل مقرن، وتجاوزتها إلى بعض أنحاء الحجاز واليمن وعسير وأطراف العراق والشام، واستولى الوهابيون على مكة والطائف والمدينة المنورة، حتى بدا خطرها واضحًا على الوجود العثماني في أماكن انتشارها، بل في المشرق العربي والعالم الإسلامي، وأدّت دورًا هامًا في تطور الفكر الإسلامي الحديث، حيث تُعدّ أول حركة دينية في العصر الحديث ظهرت في الدولة العثمانية.

وشعرت الدولة العثمانية بخطورة تلك الحركة، وأدركت أن نجاحها سوف يؤدي إلى فصل الحجاز وخروجه من يدها، وبالتالي خروج الحرمين الشريفين، ما يفقدها الزعامة التي تتمتع بها في العالم الإسلامي بحكم إشرافها على هذين

(١) محمد على وعصره – د. أحمد زكريا الشلق وآخرون ، دار الكتب والوثائق المصرية .

الحرمين، في وقت كانت قد بدأت تسعى فيه إلى التغلب على عوامل الضعف الداخلية، وتقوية الصلات بينها وبين أنحاء العالم الإسلامي بوصفها مركز الخلافة الإسلامية ، فشكّلت كل هذه العوامل حافزًا للدولة العثمانية للوقوف في وجه الدعوة الوهّابية ومواجهتها للحد من انتشارها، فحاولت في بادئ الأمر عن طريق ولاة بغدادودمشق لكنها فشلت، فوقع اختيارها على الباشا ، فأعدّ حملة عسكرية بقيادة ابنه أحمد طوسون دخلت ينبع وبدر، إلا أنها انهزمت في معركة وادي الصفراء ، لم يستثمر الوهّابيون انتصارهم في الصفراء، وقبعوا في معاقلهم، مما أعطى طوسون الفرصة لإعادة تنظيم صفوف قواته، كما طلب إمدادات من القاهرة، وأخذ يستميل القبائل الضاربة بين ينبع والمدينة المنورة بالمال والهدايا، ونجح في سياسته هذه التي مهّدت له السبيل لاستعادة المدينة المنورة ومكة والطائف، لكن الوهّابيين عادوا وانتصروا في تَرَبة والحناكية وقطعوا طرق المواصلات بين مكة والمدينة، وانتشرت الأمراض في صفوف الجيش المصري، وأصاب الجنود الإعياء نتيجة شدة القيظ وقلة المؤونة والماء،مما زاد موقف طوسون حرجًا، فرأى بعد تلك الخسائر، أن يلزم خطة الدفاع، وأرسل إلى والده يطلب المساعدة.

قرر الباشا أن يسير بنفسه إلى الحجاز لمتابعة القتال والقضاء على الوهّابيين، وبسط نفوذ مصر في شبه الجزيرة العربية، فغادر مصر في ٢٦أغسطس سنة ١٨١٢م، على رأس جيش آخر ونزل في جدة ثم غادرها إلى مكة وهاجم معاقل الوهّابيين، إلا أنه فشل في توسيع رقعة انتشاره، فأخلى القنفذة بعد أن كان قد دخلها، وانهزم ابنه طوسون في تَرَبة مرة أخرى .كان من الطبيعي بعد هذه الهزائم المتكررة ومناوشات الوهّابيين المستمرة لوحدات الجيش المصري، أن يطلب الباشا المدد من مصر، ولمّا وصلت المساعدات، وفيما كان يتأهب للزحف توفي خصمه سعود في ٢٧أبريل سنة ١٨١٤م،وخلفه في الإمارة ابنه عبد الله ، ويبدو أن هذا الأمير لم يملك قدرات عسكرية تُمكنه من درء التدخل

المصري مما أدى إلى تداعي الجبهة الوهّابية، فصبّت هذه الحادثة في مصلحة الباشا الذي تمكّن من التغلب على الجيش الوهّابي في بسل، وسيطر على تَرَبة ودخل ميناء القنفذة، في حين سيطر طوسون على القسم الشمالي من نجد.

عند هذه المرحلة من تطوّر المشكلة الوهّابية، اضطر الباشا أن يغادر شبه الجزيرة العربية ويعود إلى مصر للقضاء على حركة تمرد الفرق العسكرية التى استهدفت حكمه، وبعد القضاء على هذه الحركة استأنف حربه ضدّ الوهّابيين، فأرسل حملة عسكرية أخرى إلى شبه الجزيرة بقيادة ابنه إبراهيم باشا في ٥ سبتمبر سنة ١٨١٦م، تمكّن إبراهيم باشا، بعد اصطدامات ضارية مع الوهّابيين، من الوصول إلى الدرعيةوحاصرها، فاضطر عبد الله بن سعود إلى فتح باب المفاوضات، واتفق الطرفان على تسليم الدرعية إلى الجيش المصري، شرط عدم تعرضه للأهالي، وأن يُسافر عبد الله بن سعود إلى الآستانة لتقديم الولاء للسلطان، وأن يردّ الوهّابيون «الكوكب الدري»[1] ، وما بقي بحوزتهم من التحف والمجوهرات التي أخذوها حين استولوا على المدينة المنورة ، وعمد إبراهيم باشابعد تسلمه الدرعية إلى هدمها ، وهكذا انتهت الحرب الوهّابية التي خاضها الجيش المصري في شبه الجزيرة العربية، وعاد إبراهيم باشا إلى مصر.

٢- ضم السودان :

كانت الحملة التالية في حملات الباشا هي الحملة التي جردها لضمّ السودان ، كانت أهدافها غير المعلنة السعي وراء الذهب والماس الذي تناقل الناس أنه موجود في أصقاع السودان وخاصة سنار، ولاتخاذ جنود سودانيين في الجيش

(١) قطعة من الماس الفاخر أقل من بيضة الحمام تحتها قطعة أكبر منها من الماس ، يحيط بهما إطاراً من الذهب المرصع أهداهما السلطان أحمد خان الأول أحد سلاطين آل عثمان لقبر الرسول عليه الصلاة والسلام لوضعهما تجاه الرأس الشريف ، وبالحجرة جواهر فاخرة منقوش على بعضها آيات قرآنية . الرحلة الحجازية – محمد لبيب التيفوني – ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

النظامي المصري لما عرف عنهم من صبر وشجاعة وطاعة، والتخلص من بقية جنود الفرق غير النظامية في الجيش المصري التي كانت تثير القلاقل ومصدر متاعب له ، أما السبب الظاهري لتلك الحملة، فكان القضاء على البقية الباقية من المماليك الذين فروا إلى دنقلة.

انطلقت الحملة المؤلفة من ٤.٠٠٠ جندي في مراكب نيلية في ٢٠يوليو سنة ١٨٢٠م، بقيادة إسماعيل ثالث أبناء الباشا ، سارت الحملة جنوبًا، فانحدرت من أسوان إلى وادي حلفا إلى دنقلة ، حيث واجهت المماليك وهزمتهم دون مقاومة تذكر، وفي ٤ نوفمبر من نفس العام، واجهت جمعًا من السودانيين بأسلحة بدائية وهزمتهم في كورتي ،ثم واصل الجيش المصري الزحف، فاستولى على بربرا في ١٠مارس سنة ١٨٢١م، ثم شندي الذي أعلن ملكها نمر استسلامه أمام الجيش الزاحف، ثم استولوا بعد ذلك على أم درمان، فاجتازوها وبالقرب منها أسسوا مدينة الخرطوم لتكون قاعدة عسكرية للقوات المصرية.

وجه بعد ذلك إسماعيل باشا نسيبه محمد بك الدفتردار في حملة لضم كردفان . وفي شهر أبريل من عام ١٨٢١م، اشتبكت قوات الدفتردار مع قوات محمد الفضل سلطان كردفان في بارا، فانتصر الدفتردار ودخل مدينة الأبيض، ليضم بذلك كردفان للأراضي الخاضعة للسلطة المصرية، سار إسماعيل ببقية جيشه لضم مملكةسنار، فاستولى على مدينة ود مدني، فقدم ملكها الملك «بادي» ولائه للجيش المصري، فدخل المصريون سنار في ١٢ يونيو ١٨٢١م.

وفى أثناء وجود الجيش في سنار انتشر المرض بين الجنود، فاضطر إسماعيل إلى طلب المدد من أبيه، فأمدّه بقوات بقيادة أخيه الأكبر إبراهيم باشا، واتفقا على تقسيم العمل بينهما، فكانت مهمة إسماعيل الزحف بجيشه على منطقة النيل الأزرق، بينما اتجه إبراهيم لضم بلاد الدنكا واستكشاف أعالي النيل ، فواصل

إسماعيل زحفه في منطقة النيل الأزرق حتى وصل إلى فازوغلي في شهر يناير من عام ١٨٢٢م ،أما إبراهيم فأكرهه المرض على العودة إلى مصر.

بدأت الثورات تظهر في مختلف المناطق بسبب الازدياد المتواصل في الضرائب التي فرضها المصريون على السودانيين، وما أن وصل إسماعيل باشا إلى شندي في ديسمبر من عام ١٨٢٢، حتى أمر الملك نمر بالمثول أمامه وبدأ في تأنيبه واتهامه بإثارة القلاقل، ثم عاقبه بأن أمره أن يدفع غرامة فادحة وألفا من العبيد، فأظهر الملك نمر الامتثال ولم تمض أيام حتى دعا إسماعيل باشا وكبار رجاله إلى وليمة، وبعد أن أثقلهم بالطعام والشراب، أمر بإشعال النار في المكان، وأمر جنوده برمي كل من يحاول الهرب بالسهام والنبال، فمات إسماعيل ورجاله خنقًا وحرقًا. فلما بلغ محمد بك الدفتردار الخبر، زحف إلى شندي وأسرف في القتل والسبي، وتعقّب الملك نمر إلا أنه لم يدركه حيث فر إلى حدود الحبشة .بعد ذلك استقرت الأوضاع في السودان ودان لحكم الباشا.

٣- حرب المورة :

كانت بلاد اليونان، حتى أوائل القرن التاسع عشر، جزءاً من السلطنة العثمانية، وفي هذه الفترة ظهرت في البلاد بوادر الثورة ضد الحكم العثماني، بفعل أربعة عوامل: تطوّر المجتمع اليوناني بفعل الرخاء الاقتصادي وانتشار أفكار الثورة الفرنسية، وردود الفعل ضد المركزية العثمانية، والتدخل الأوروبي المباشر ، وأخذت الحركات الثورية والجمعيات السياسية السريّة والعلنية تُشكل خطرًا على وحدة الدولة العثمانية بدءاً من عام ١٨٢٠م، واتخذت مراكز لها في كل من روسيا والنمسا لتكون على اتصال وثيق بالحكومات الأوروبية وتدعو إلى إحياء الإمبراطورية البيزنطية والاستيلاء على العاصمة الآستانة، وإخراج المسلمين من أوروبا ودفعهم إلى آسيا ،وقد اتخذت الثورة في إقليم المورة بالذات طابعًا دينيًا، رافعة شعارًا هو: الإيمان والحرية والوطن ، حيث واجهت

الدولة العثمانية مصاعب كبيرة في محاربة الثوّار، نظرًا لكثرة الجزر ولوعورة المسالك التي اشتهرت بها بلاد اليونان، بفعل معرفة اليونانيين كيفية الاستفادة منها استراتيجيًا ضد القوّات العثمانية .وعندما تفاقم خطر الثورة، طلب السلطان محمود الثاني من الباشا أن يُرسل قواته إلى اليونان لإخضاع الثوّار.

قبل الباشا القيام بهذا الدور على اعتبار أن الخطر موجه ضد دولة المسلمين العامّة، وضدالإسلام ممثلاً في خليفة المسلمين، فأرسل حملة عسكرية بقيادة حسن باشا نزلت في جزيرة كريت وأخمدت الثورة فيها،كما أرسل حملة أخرى بقيادة ابنه إبراهيم باشا، لإخماد ثورة المورة، ونجح في تنفيذ إنزال على شواطئها بعد اصطدامات بحرية قاسية مع الأسطول اليوناني في عام ١٨٢٥م، وأنقذ الجيش العثماني المحاصر في ميناء كورون، كما حاصر ناڤارين، أهم مواقع شبه الجزيرة.

ونتيجة لانتصار الجيش المصري، قام اليونانيون بتحريك الرأي العام الأوروبي لإنقاذ الثورة، فنهضت جماعة من أقطاب الشعراء والأدباء يثيرون الرأي العام في أوروبابكتاباتهم، ويحثّون الدول الأوروبية على التدخل لصالح الثورة ، وفعلاً دعت بريطانيا روسيا للتشاور، بغية الوصول إلى تفاهم حول مستقبل اليونان، وتكلّلت هذه المفاوضات بتوقيع پروتوكول سان بطرسبرج، الذي انضمت إليه فرنسا بعد مدة قصيرة، واتفقت الدول الثلاث على حث الباب العالي على عقد هدنة مع اليونانيين، ومنحهم قدرًا من الحكم الذاتي في إطار التبعية الاسمية للسلطان العثماني، ولكن الباب العالى لم يكترث للتهديدات ، فاتجهت الدول الأوروبية وفي مقدمتها روسيا إلى دعم الثوّار، فأرسلت سفنها إلى مياه اليونان لفرض مطالبها بالقوة، ومنع السفن العثمانية والمصرية من الوصول إلى شواطئ هذا البلد، أو إرسال الإمدادات إلى الجيشين العثماني والمصري، وحاصرت أساطيل الحلفاء الأسطولين العثماني والمصري في ميناء نفارين (نوارين) وضربتهما، بدون سابق إنذار، فدمرت الأسطول العثماني بكامله وأغلب السفن المصرية في ٢٠أكتوبر سنة ١٨٢٧م، ولم يكن تدخل الدول الكبرى

من أجل اليونانيين ودفاعاً عن المسيحية فقط ، ولكن من أجل تجارة المنطقة التى قد تقع تحت هيمنة دولة صاعدة مثل مصر.

ونستطيع القول بأن الباشا لم يفقد أغلب أسطوله البحري فى موقعة نفارين بسبب إهمال أو سوء إدارة ، ولكن بسبب عجرفة ورفض السلطان العثماني للوساطة الأوروبية ، وحتى بعد هذه الخسائر طلب الأخير من الباشا وابنه ابراهيم الاحتفاظ بالأراضي الواقعة تحت سيطرتهم فى المورة ، لكن الباشا رفض طلبه ، وانتهى لتوقيع معاهدة مع الدول الأوروبية تضمن لإبنه انسحاباً آمنا منها.

اكتفى السلطان بأن أقطع الباشا جزيرة كريت تقديراً لخدماته وتعويضاً عن بعض ما فقده في الحرب اليونانية ، لكن هذا التعويض لم يكن ذا قيمة ، إذ لم يكن من السهل أن تحكم مصر هذه الجزيرة وأن تستفيد منها لاشتهار أهلها بالعصيان والتمرد.

٤ – بلاد الشام :

رأى الباشا أن يضم بلاد الشام إلى مصر ، يدفعه إلى ذلك عاملان : سياسي واقتصادي:

- أما العامل السياسي فهو اتخاذ بلاد الشام حاجزًا يقي مصر الضربات العثمانية في المستقبل من جهة، وإنشاء دولة عربية، أو قيام سلطنة إسلامية قوية، من جهة أخرى، كما أن بسط نفوذه على هذه البلاد سيُمكنه من تجنيد جيش من سكانها، فيزداد بذلك عدد أفراد جيشه.

- أما العامل الاقتصادي، فإنه أراد استغلال موارد بلاد الشام، من الخشب والفحم الحجري والنحاس والحديد التي كانت تفتقر إليها مصر، فضلاً عن أهميتها الاقتصادية بسبب موقعها الجغرافي واتصالها بالأناضول، وعلاقاتها التجارية بأواسط آسيا حيث تمر قوافل التجارة، وبسبب موقعها على طريق الحج

إلى البيت الحرام .

والراجح أن الباشا كان يطمح إلى ضمّ بلاد الشام منذ عام ١٨١٠م، ويأمل أن يصل إلى حكمها بموافقة السلطان،فطلب من محمود الثاني، في عام ١٨١٣م، أثناء الحرب الوهّابية، أن يعهد إليه بحكم هذه البلاد بحجة أنه بحاجة إلى مدد منها يعاونه على القتال، فوعد السلطان الباشا بأن يوليه عليها نظرًا لأن الحرب في شبه الجزيرة كانت تؤرق مضجعه وكان يتطلّع إلى القضاء على الوهابيين بسرعة خوفًا من أن تؤدي دعوتهم إلى التفرقة بين المسلمين ، ولمّا انتهت الحرب، عاد السلطان وأخلف وعده، إذ شعر أن وجود الباشا في الشام خطرٌ على كيان السلطنة نفسها ، فمهد الباشا لتنفيذ خطته، بأن أخذ يوطد علاقاته بأقوى شخصين في المنطقة وهما: عبد الله باشا والي عكا، وبشير الثاني الشهابي أمير لبنان، وكلاهما مدين للباشا بالبقاء في منصبه ، أما عبد الله باشا فكان محمد علي قد ساعده لدى السلطان، إثر خلافه مع والي دمشق عام ١٨٢١م، فرضي عنه السلطان وأقرّه على ولاية عكا، كما كان الباشا قد أمدّه بالمال في معركته ضد والي دمشق.

أما الأمير بشير فكان قد ناصر عبد الله باشا في ذاك الخلاف، وسار على رأس جيشه وحارب والي دمشق وهزمه. وما كادت الدولة العثمانية تطّلع على هزيمة والي دمشق حتى جردت حملة عسكرية قوية اضطرت الأمير بشير للسفر إلى مصر، حيث رحّب به الباشا، واتفقا على التعاون معًا ، ولمّا كان الباشا على وفاق مع السلطان، فقد استطاع أن يسترضيه ويُلطف موقفه من الأمير بشير، وأن يُعيده إلى إمارته ، ونشأت بين الأمير والباشا علاقة وثيقة وصداقة متينة بعد أن جمعهما طموح مشابه، ألا وهو توسيع رقعة بلاد كل منهما، فتعاهدا على السير معًا في سياسة مشتركة ،أخذت أهداف الباشا تتبلور بدءاً من عام ١٨٢٥ م عندما صارح الفريق أول الفرنسي «بوابيه» بأنه سوف يعمد، بعد أن ينتهي من حرب المورة، إلى وضع يده على بلاد الشام بما فيها ولاية عكا، ولن يقف بجيشه إلا على ضفاف دجلة والفرات، وفي بلاد اليمن والجزء الأوسط من شبه الجزيرة

العربية، وتتوافق هذه الأفكار مع ما أشيع، نقلاً عنه وعن ولده إبراهيم باشـا، بأنـه سيكون المدافع عن حقوق الشعوب العربية التي تعيش تحـت الحكـم العثمـاني حياة التابع البائس المستضعف، وأضحت السـيطرة عـلى بـلاد الشـام، بـدءاً مـن عام ١٨٢٩م، من الأمور الضرورية في سياسته الاستراتيجية.

تُعد حروب الباشا في بلاد الشام حروبًا دفاعية وهجومية في آن معًا، أمـا كونهـا حروبًا دفاعية فلأن الباشا كـان يعلـم أن الدولـة العثمانيـة لا تـألُ جهـدًا في السـعي لاسترداد مركزها في مصر، وأن السلطان محمود الثاني لم يكن صافي النيّة، وأما كونها حروبًا هجومية فلأن هدفه كـان أيضًـا التوسـع ، ويبـدو أن الباشـا قـد أخـذ قـرار التصدي للباب العالي ضمن خلفيّات عدّة ، فقد آنـس في جيشـه القـوة، ووجـد أن الدولة العثمانية في حالة من التدهور والتفكك، وأنها محط أنظـار ومـؤامرات الـدول الأوروبية ، وهكذا وقع والي مصر أسـير عـاملين: أسـير نفسـه، إذ رأى أن البـاب العالي ظلمه عندما منعه من ولاية الشـام، عـلى الـرغم مـن أدائـه خـدمات جليلـة للسلطنة، وأسير اعتقاده أنه أصلح من ولاة الشام.

مرّت الحروب في بلاد الشام بمرحلتين :

أ) انتهت المرحلة الأولى باتفاقية كوتاهية، عام ١٨٣٣م، ورسّـخت السـيطرة المصرية على الشام، في حين انتهت المرحلـة الثانيةباتفاقيـة لنـدن عـام ١٨٤٠م، وقضت بانسحاب الجيش المصري.

استعد الباشا بقواته البرية والبحرية لإخماد الثورة فى أشقودرة (أحد محافظات ألبانيا) بناء على طلب السلطان العثماني ، وقبل تحـرك قواتـه تلقـى أنبـاء القضـاء عليها .

وفى هذا التوقيت كان الباشا غاضباً من والي عكا بسـبب اسـتيلائه عـلى أمـوال التجار المصريين ، ومماطلته فى سداد دين استدانه منه ، ورفض إعـادة الفلاحـين

المصريين الهاربين من مديرية الشرقية ، فاستغل الباشا استعداده العسكري مخاطباً الباب العالى بعزل والي عكا وإلا فهو حر فى تصرفاته.

اكتفى الباب العالي برسالة توبيخ لوالي عكا وأخرى للباشا لإعلامه بخطورة تحركاته بسبب الحالة العامة فى أوروبا .

لم ينتظر الباشا واتخذها ذريعة لبدء معاركه فى الشام بقيادة ابنه إبراهيم باحتلال عكا، وحاول الخليفة مع بريطانيا وقف الزحف البري والبحري للقوات المصرية باعتباره خروجاً على السلطان ومناف للشرع .

وكتب الباشا للباب العالي بعرض مطالبه ، ولكن الأخير رأى أن مطالبه غير مقبولة مؤكداً على سحب قواته .

صدرت أوامر الخليفة بإعداد القوات العثمانية من مختلف الولايات لوقف قوات الباشا عند حدها، واستطاع الجيش المصري خوض معارك عديدة ، وحقق انتصارات ساحقة دمرت فيها القوات العثمانية بكاملها ، وسقطت بعدها دمشق وحلب وأضنه وقونية كما استولى على كوتاهية وأسر محمد رشيد باشا ، وأرسل القائد إبراهيم لأبيه يخطره أنه لم يعد أمامه إلى استانبول أي مقاومة ، وعليه التحرك قبل أن تتدخل الدول الأوروبية ، ولكن الباشا كان يدرك أن السرعة لن تجدى وأن أوروبا لن تستطيع هضمها ، ولذلك جعل القائد إبراهيم يتوقف عند حدود الأناضول ، ويوقع اتفاقية كوتاهية.

وفي هذه الفترة بذلت فرنسا جهودًا مضنية للتوفيق بين وجهتي النظر، العثمانية والمصرية، وهدّدت في إحدى مراحل المفاوضات، بقطع العلاقة مع مصر ، وأخيرًا توصل الجانبان إلى توقيع اتفاقية كوتاهيه، في ٤ مايو سنة ١٨٣٣م، تنازل الباب العالي بموجبها عن كامل بلاد الشام، وأقرّ لمحمد علي باشابولاية مصروكريت وكامل وسوريا الطبيعية (بما يشمل لبنان وفلسطين وأضنة)، وبولاية ابنه إبراهيم على جدّة ، وقد تعهد الباشا لقاء ذلك، بأن يؤدي

للسلطان كل عام الأموال التي كان يؤديها عن الشام الـولاة العثمـانيون مـن قبـل. وهكذا جلا إبراهيم باشا عن الأناضول، وانتهت المرحلة الأولى لحروب الشـام، وبدا أن الأزمة قد انتهت أيضًا.

ب- المرحلة الثانية :

لم تكن التسوية، التي تمّت في كوتاهية، إلا تسوية مؤقتة، إذ أن الباشـا لم يوافـق على عقدها إلا خشية من تهديد الدول الأوروبية بحرمانه من فتوحـه، ومـن جهتـه وافق السلطان محمود الثاني على عقدها مكرهًا تحت ضغط الأحداث العسـكرية والسياسية، وهو عازم على استئناف القتال في ظروف أفضل لاستعادة نفوذه في بلاد الشام ومصر، ولمّا كان التفكير السياسي لكل طرف على هذا الشكل من التناقض، كان لا بد من استئناف الحـرب لتقريـر النتيجـة النهائيـة .ونفّـذ السـلطان سياسـة استراتيجية من شقين: إنه راح يُحرّض سكان بلاد الشام ضد الحكم المصري من جهة،وقام بحشد القوات لضرب الجيوش المصرية وإرغامهـا عـلى الخـروج مـن الـبلاد، بمسـاعدة بريطانيـا، مـن جهـة أخـرى .وأدرك الباشـا، بعـد التطـورات السياسية، بأنّ مواقف الدول الأوروبية كانت لغير صالحه، وبأنّ خططه الانفصالية غير قابلة للتحقيق، لكنه لم يفقد الأمل باعتراف السلطنة بالحقوق الوراثيـة لعائلتـه في حكم المناطق التـي كانـت تحـت إدارتـه، وحـاول أن ينتهـز الفرصـة لإجـراء محادثـات جديـدة، فـأجرى مباحثـات مـع مبعـوث السـلطان، صـارم أفنـدي، في مصر انتهت بالفشل بسبب التصلّب في المواقف.

وهكذا تطورت الأمور السياسية نحو التأزم، وأضحت الحرب بـين الجـانبين أمرًا لا مفر منه، وجرت الاستعدادات الحربية في الآستانة بشكل نشـط ومكثـف، وتابعت الدول الأوروبية الميول العسكرية لدى السلطان باهتمـام بـالغ ، اسـتغل السلطان ثورة سكان بلاد الشام عـلى الحكـم المصـري، ودفـع بجـيش في ربيـع عام ١٨٣٩م، بقيادة حافظ باشا، إلى بلاد الشام، وكان ظهوره عنـد الحـدود كافيًـا

لإيصال الأزمة إلى ذروتها، أما إبراهيم باشا فقد كان يترقب، تنفيذًا لرغبة أبيه في اجتناب كل ما يُظهره بمظهر المعتدي ، وبعد أن احتشد الجمعان، أصدر السلطان أمره إلى حافظ باشا بمهاجمة إبراهيم باشا المتحصن في حلب ، ويبدو أن الباشا تملّكه الفرح لتحمّل السلطان وقائده مسؤولية البدء بالعمليات العسكرية المعادية، لذلك أمر ابنه بمهاجمة الجيش العثماني وكان ذلك في ١٥ يونيو سنة ١٨٣٩م ، وفى معركة نصبين الواقعة شرق عنتاب في الجزيرة الفراتية مُني الجيش العثماني بخسارة فادحة وكارثة حقيقية، إذ كاد الجيش أن يُفنى عن بكرة أبيه، وأسر المصريون نحوًا من خمسة عشر ألف جندي، وغنموا كميات هائلة من الأسلحة والمؤن ، وتوفي السلطان محمود الثاني قبل أن يبلغه نبأ الهزيمة.

خلف السلطان عبد المجيد الأول أباه السلطان محمود الثاني، وهو صبي لم يبلغ الثامنة عشرة من عمره،وسرعان ما سارع إلى إجراء مفاوضات مع الباشا، فاشترط لعقد الصلح أن يكون الحكم في الشام ومصر حقًا وراثيًا في أسرته ، وكاد السلطان عبد المجيد يقبل شروطه لو لم تصله مذكرة مشتركة من بريطانيا وروسيا وبروسيا والنمسا، تطلب منه قطع المفاوضات مع الباشا وكانت الدول الأربع قد اتفقت على منعه من أن يحلّ محل السلطنة العثمانية الضعيفة في المشرق العربي، طريق بريطانيا إلى الهند ، أما فرنسا فقد انفردت في سياستها الشرقية عن الدول الأربع، ورأت أن تستمر في تأييد الباشا، على أمل أن تضمن لها مقامًا ممتازًا في المنطقة ، ولم تلبث الدول الأربع أن عقدت عام ١٨٤٠ مع الحكومة العثمانية مؤتمرًا في لندن بحث فيه المجتمعون ما دُعي «بالمسألة الشرقية»، وأسفر المؤتمر عن توقيع معاهدة التحالف الرباعي، وفي هذه المعاهدة عرضت الدول الأوروبية الأربع على الباشا ولاية مصر وراثيًا، وولاية عكا مدى حياته ، واشترطت هذه الدول أن يُعلن الباشا قبوله بهذا العرض خلال عشرة أيام، فإن لم يفعل تسحب الدول الأربع عرضها الخاص بولاية عكا ، أما إذا لم يُجب في مدة عشرين يومًا فإن الدول الأربع تسحب عرضها كله، تاركةً للسلطان

حرية حرمانه من ولاية مصر.

كان الباشا من جهته مصممًا على التمسك بالبلاد التي فتحها وأقرّته عليها اتفاقية كوتاهيه، وأخذ يراهن على مساعدة فرنسا وعلى حرب أوروبية ينتظرها بين ساعة وأخرى، ولمّا أبلغته السلطنة العثمانية وقناصل الدول الأوروبية في مصر شروط المعاهدة، ترك الأيام العشرة تمر من دون أن يُصدر أي ردّ رسمي، فأبلغه قناصل الدول الأوروبية، في اليوم الحادي عشر الإنذار الثاني، وأمهلوه عشرة أيام أخرى، كما أبلغوه أنه لم يعد له الحق في ولاية عكا ، ومرّت الأيام العشرة الثانية من دون أن يقبل صراحة تنفيذ بنود الاتفاقية، فعدّ قناصل الدول الأوروبية أن ذلك يعني الرفض، عندئذ أصدر السلطان فرمانًا بخلعه من ولاية مصر ، أمام هذا الأمر شرعت الدول الأوروبية باتخاذ إجراءات تمهيدية لتنفيذ تعهداتها، فأمرت بريطانيا أسطولها في البحر المتوسط أن يقطع المواصلات البرية والبحرية بين مصر والشام وضرب موانئ هذه البلاد، وأوعزت إلى سفيرها في الآستانة بإشعال نار الثورة ضد الباشا في المدن والقرى الشاميّة، كما قطعت الدول الأوروبية الأربع علاقاتها بمصر.

استقبل الباشا نبأ عزله بهدوء، وأعرب عن أمله بالتغلب على هذه المحنة، ثم جنح للسلم عندما ظهر أمير البحر البريطاني «نابييه» أمام الإسكندرية، مهددًابلغة الحديد والنار، ورأى أن فرنسا غير قادرة على مقاومة أوروبا كلها، لذلك وقّع اتفاقية مع أمير البحر المذكور وعد فيها بالإذعان لرغبات الدول الكبرى والجلاء عن بلاد الشام بشرط ضمان ولايته الوراثية لمصر[1]، لكن الدولة العثمانية رفضت هذا الشرط بإيعاز من بريطانيا، ساندت فرنسا الباشا في موقفه، وتشدّدت في ذلك حتى خيف من وقوع حرب أوروبية، عندئذ تدخلت كل من النمسا وبروسيا في هذه القضية وأجبرتا بريطانيا وروسيا على تبني وجهة نظر الباشا

(١) ملحق رقم (٣) اتفاقية بين ممثل محمد على وقائد الأسطول الإنجليزي نابييه عام ١٨٤٠م.

وفرنسا، فاجتاز والي مصر مأزق الخلع وإن أُرغم على الاكتفاء بولاية مصر في المستقبل، وفعلاً أصدر السلطان فرمانًا بجعل ولاية مصر وراثية، وانتهت بذلك الأزمة العثمانية – المصرية، وجلا المصريون عن الشام.

وهكذا أجمعت الدول الأوروبية مع الإمبراطورية العثمانية على موقف موحد لتحجيم مصر (سميت بالمسألة الشرقية بموجب معاهدة لندن ١٨٤٠)لإفشال مشروع الباشا والتضييق على آماله فى إقامة دولة ممتدة شرقاً وشمالاً وجنوباً مركزها مصر تتمتع بالاستقلال السياسي وتنعم بمشروع تنموي عملاق ، كما يرى الأستاذ حمدي عثمان أن :

(الدول الأوروبية تدخلت ونجحت فى تقرير مبدأ رأت فيه خدمة مصالحها قبل أي اعتبار آخر ، وهو أن تبقي مصر جزءاً من الإمبراطورية العثمانية المريضة وإعطاء محمد على الحكم الوراثي بها بالضمانات والفرمانات التى صدرت ولا يعكر التسابق على تقسيم الإمبراطورية سلام أوروبا ، ولا تقوم فى الشرق دولة قوية تقف فى وجه أطماع أوروبا) [1].

وأصبح الباشا يحكم مصر وراثياً وأصبحت قوات مصر البحرية والبرية جزءاً من القوات العثمانية تشترك بناءً على طلب السلطان فى الحروب التى يخوضها وأصبحت قوانين الدولة العثمانية ومعاهداتها تطبق على مصر.

لم يؤد قبول الباشا لشروط معاهدة لندن ١٨٤٠م لإنهيار الباشا أو تحطم آماله ، وإنما تفرغ لمشروعه الإصلاحي ، وإعادة ترتيب أوراق البيت المصري فى إطار الأوضاع الجديدة ، فبعد انحسار توسعاته الخارجية تركزت جهوده لاستكمال سياسات التعليم والصناعة والزراعة وأحوال التجارة وإقرار حقوق المواطن .

سعى الباشا لتحسين علاقاته بإنجلترا بعد سقوط وزارة الأحرار فى ١٨٤١م ، ورغم تقاعس فرنسا خلال أزمة ١٨٤٠م إلا أن العلاقات المصرية الفرنسية لم

(١) هؤلاء حكموا مصر – من مينا إلى مبارك ص ٤٣٥ – حمدي عثمان – مراجعة د. ناصر الأنصاري .

يشوبها أي فتور أو تراجع ، فاستمرت بنفس المستوى من الاحترام ، واستمر الفرنسيون فى القدوم لمصر للمشاركة فى المشروعات العمرانية والتجارة ، كما أن العلاقة مع السلطان العثماني سادها الصفاء والمجاملات المتعارف عليها .

السياسة الداخلية :

وما كان يمكن للباشا أن ينفذ سياسته الداخلية ويبسط سلطانه ويقيم الحكومة المركزية التى يريدها ، دون القضاء على دعائم النظام الإقطاعي القائم الذي توزع فيه ولاء المصريين ، وتوزعت السلطة بين زعماء العصبيات المسلحة من أفراد المماليك وقواد الجند ومشايخ القبائل العربية فى مصر ، بالإضافة إلى المشايخ والعلماء بما لهم من نفوذ ديني والملتزمين بما لهم من سلطان على الفلاحين .

وفي هذا السياق يرى الدكتور / أحمد زكريا الشلق

(ولعل مما ساعد محمد علي على المضي قدماً فى الإصلاح ما أدركه جيداً أن مصر تختلف اختلافاً كبيراً عن بقية الولايات العثمانية وأن الأوضاع التى تغيرت فيها بحيث كان يتحتم عليه إذا ما قدر له الاستمرار فى الحكم أن يحكمها بنهج جديد وأسلوب يختلف عما كان عليه الحال من قبل ولعل ما شهدته مصر من إدارة منظمة على عهد الحملة الفرنسية قد تركت أثرها فى ذهن محمد على ، حيث أخذت البلاد تتطلع إلى عهد جديد عقب رحيل الفرنسيين لما ترتب على حملتهم من تأثير كبير ليس فى إحداث تغييرات فى المجتمع وإنما فى إلقائها لبذور التغيير نتيجة ما أحدثته من أساليب وطرائق جديدة فى أنظمة الحكم والإدارة لم تعرفها البلاد قبل مجئ الفرنسيين) [(١)] .

ثم يستطرد قائلاً :

(وقد تمثل مشروع محمد على فى جوانبه الاقتصادية فى بناء اقتصاد متنوع

(١) محمد على وعصره – مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ٢٠٠٥ – د. أحمد زكريا الشلق وآخرون.

ومستقل فى إطار السوق العالمي ، تلعب الدولـة فيـه الـدور الرئيسـي فى إحـداث التراكم متخذاً فى ذلك شكلاً يقترب من رأسمالية الدولة عنـدما أصـبحت الدولـة المحتكر شبه الوحيد لوسائل الإنتاج فى القطـاعين الزراعـي والصـناعي وبالتـالي لناتج العمل الاجتماعي ونظراً لسيطرة النشاط الزراعي عـلى الاقتصـاد المصـري خلال تلك الفترة فقد اسـتهدف مشـروع محمـد عـلى تعبئـة الفـائض فى القطـاع الزراعي إلى أقصى الحدود) . [١]

ثم يضيف :

(وقد استخدم الفائض الذي حصلت عليه الدولة من الزراعة فى إقامـة قاعـدة صناعية فى إطار الهدف العام الذي كان محمد على يسـعى إلى تحقيقـه وهـو إقامـة اقتصاد متنوع ومستقل في إطار السوق العالمي وخلق نمو اقتصادي متوازن) . [٢]

فكان الباشا هو الأقدر والأسرع فى تنفيذ برنامج متكامل مسـتفيداً ممـا وصـل إليه الغرب من تقدم فى إطار مشروعه لبناء دولة حديثة .

فاتجه الباشا إلى بناء دولة عصرية على النسق الأوروبي في مصـر، واسـتعان في مشروعاته الاقتصادية والعلمية بخبراء أوروبيين ومنهم بصفة خاصة الفرنسـيون الذين أمضوا في مصر بضع سنوات في ثلاثينات القرن التاسع عشر وكانوا يدعون إلى إقامة مجتمع نموذجي على أساس الصـناعة المعتمـدة عـلى العلـم الحـديث ، وكانت أهم دعائم دولته العصرية سياسته التعليمية والتثقيفية الحديثة، حيث كـان يؤمن بأنه لن يستطيع أن ينشئ قوة عسكرية على الطراز الأوروبي المتقدم ويزودها بكل التقنيات العصرية وأن يقيم إدارة فعالة واقتصاداً مزدهراً يدعمها ويحميها إلا بإيجاد تعليم عصري يحل محل التعليم التقليدي.

(١) محمد على وعصره – مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ٢٠٠٥ – د. أحمد زكريا الشلق وآخرون.

(٢) محمد على وعصره – مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ٢٠٠٥ – د. أحمد زكريا الشلق وآخرون.

١-عسكريًا :

أدرك الباشا أنه لتحقيق أهدافه التوسعية، كان لا بد له من تأسيس قوة عسكرية نظامية حديثة، تكون بمثابة الأداة التي تحقق له تلك الأهداف ، كان الجيش مؤلفًا من فرق غير نظامية تميل بطبيعتها إلى الشغب والفوضى، معظمها من الأكرادوالألبان والشراكسة، إضافة إلى تلك القوات جماعات من الأعراب الذين كان الولاة يلجؤون إليهم كمرتزقة، وكانت أعمالها لا تتعدى أساليب حرب العصابات والكرّ والفرّ ،فرأى أن هذا الجيش لا يعتمد عليه، فبذل جهده في إنشاء جيش يضارع الجيوش الأجنبية في قتالها، وقرر أن يستبدل جنوده غير النظامية بجيش على النظام العسكري الحديث.

أ- الجيش :

كانت محاولة الباشا الأولى لتأسيس جيش نظامي عام ١٨١٥م، عندما عاد من حرب الوهابيين، حيث قرر تدريب عدد من جنود الأرناؤوط الألبان التابعين لفرقة ابنه إسماعيل على النظم العسكرية الحديثة، في مكان خصصه لذلك في بولاق ، لم يرق لهؤلاء الجنود ذلك، بسبب طبيعتهم التي تميل إلى الشغب والفوضى، فثاروا على الباشا وهاجموا قصره ودار بينهم وبين الحرس قتال، استطاع خلاله حرس الباشا السيطرة على الموقف، فأيقن أنه لا يمكنه الاعتماد على مثل هؤلاء الجند، فأرجأ تنفيذ الفكرة.

لجأ الباشا مجددًا إلى الحيلة، ففي عام ١٨٢٠م، أنشأ الباشا مدرسة حربية في أسوان، وألحق بها ألفًا من مماليكه ومماليك كبار أعوانه، ليتم تدريبهم على النظم العسكرية الحديثة على يد ضابط فرنسي يدعى جوزيف سيف جاء إلى مصر وعرض خدماته على الباشا ، وبعد ثلاث سنوات من التدريب، نجحت التجربة وتخرجت تلك المجموعة ليكون هؤلاء الضباط النواة التي بدأ بها الجيش النظامي المصري.

بعد ذلك، كان أمام الباشا مشكلة، أنه وبالتجربة ثبت أن الجنود الأتراك والأكراد والألبان والشراكسة لم يعودوا يصلحون ليكونوا عماد جيشه لعدم تقبلهم للاندراج في جيش نظامي، لذا تحجج بحاجته إليهم في تأمين الثغور، وأرسلهم إلى دمياط ورشيد ليخلي القاهرة، وليطمئنهم أرسل معهم بعض أبنائه كقادة لهم، ثم أرسل إلى ابنه إسماعيل ليمده بعشرين ألفًا من السودانيين ليتم تدريبهم على الجندية في معسكرات أعدها لهم في بني عدي، على أيدي الضباط الجدد ، إلا أن التجربة فشلت لتفشي الأمراض بين الجنود السودانيين لاختلاف المناخ، لذا لم يكن أمامه إلا الاعتماد على المصريين ، قاوم الفلاحون في البداية تجنيدهم، لأنهم لم يروا مصلحة لهم فيه، واعتبروه عملاً من أعمال السخرة ، ولكن وبمرور الوقت تجاوب الفلاحون مع الوضع الجديد، استشعروا تحت راية الجيش بالكرامة وبحياة مأمونة الملبس والمسكن لا يعانون فيها معاناتهم في الزراعة ، وبحلول شهر يونيو من عام ١٨٢٤م، أصبح لدى الباشا ست كتائب من الجند النظاميين المصريين يتجاوز عددهم ٢٥ ألف جندي، فأمر بانتقالهم إلى القاهرة.

بذلك أصبح لمصر جيش نظامي بدأ يتزايد باطّراد حتى بلغ ١٦٩ ألف ضابط وجندي في إحصاء تم عام ١٨٣٣م، وإلى ٢٣٦ ألف في إحصاء تم عام ١٨٣٩م كما أنشأ الباشا ديوانًا عرف بديوان الجهادية لتنظيم شئون الجيش وتأمين احتياجاته من الذخائر والمؤن والأدوية، وتنظيم الرواتب .كانت أول مشاركات هذا الجيش في حرب المورة، التي أظهرت ما وصلت إليه العسكرية المصرية، وهو ما جعل لها شأنًا بين القوى العسكرية المعاصرة، وقد اعتمد عليه إبراهيم باشا في حملته على الشام والأناضول.

ب- الأسطول :

عندما شرع الباشا في حرب الوهّابيين، اقتضت الحاجة إلى بناء سفن لنقل الجنود عبرالبحر الأحمر، فشرع في بنائها في ترسانة بولاق، ثم نقل القطع على

ظهور الجمال إلى السويس ليتم تجميعها هناك، وقد اقتصر دور هذا الأسطول في البداية على نقل الإمدادات والتموين طوال سنوات الحملة ،وبعد أن أسس الجيش النظامي المصري، وجد أنه من الضروري تأسيس أسطول حربي قوي يعاونه على بسط نفوذه.

اعتمد الباشا في البداية على شراء السفن من أوروبا، كما تعاقد على بناء سفن أخرى في موانئ أوروبا ، ولكن بعد تدمير هذا الأسطول في معركة ناڤارين أمام أساطيل إنجلترا وفرنسا وروسيا الأكثر تطوّرًا، لم ييأس الباشا وأمر في عام ١٨٢٩ ببناء «ترسانة الإسكندرية»، التي عهد في إدارتها إلى مهندس فرنسي اسمه سريزي ، قامت الترسانة بمهمة إعادة بناء الأسطول على الأنماط الأوروبية الحديثة، وقد بلغ عدد السفن الحربية التي صنعت في تلك الترسانة حتى عام ١٨٣٧م(٢٨)سفينة حربية من بينها (١٠) سفن كبيرة كل منها مسلح بمائةمدفع، فاستغنت مصر عن شراء السفن من الخارج ، ومن شدة اهتمام الباشا بهذه الترسانة كان يزورها باستمرار، وكان يستحث العمال على العمل، ويحضر حفلات تدشين السفن الجديدة.

ج- التعليم العسكري :

أمر الباشا بتأليف مجلس يشرف على شئون التعليم والتدريب وسماه «قومسيون المدارس العسكرية » وتوسع فى التعليم العسكري فى مصر فبعد أن أمر ببناء مدرسة الضباط في أسوان ومدرسة الجند في بني عدي، أمر بتأسيس مدارس أخرى في فرشوطوالنخيلة وجرجا ، كما أسس مدرسة إعدادية حربية بقصر العيني لتجهيز التلاميذ لدخول المدارس الحربية، يدرس بها نحو ٥٠٠ تلميذ، لكنها نقلت بعد ذلك إلى أبو زعبل حيث أصبحت تسع نحو ١٢٠٠ تلميذ .

أضاف الباشا بعد ذلك، مدرسة للبيادة في الخانقاه، والتي نقلت إلى دمياط عام ١٨٣٤، ثم إلى أبو زعبل عام ١٨٤١م، ومدرسة للسواري بالجيزة

عام ١٨٣١م، وأخرى للمدفعية في طره عام ١٨٣١ م، كما أسس مدرسة لأركان الحرب في ١٥أكتوبر سنة ١٨٢٥ بالقرب من الخانقاه، ومدرسة للموسيقى العسكرية ، وأنشأ أيضًا معسكراً لتدريب جنود الأسطول على الأعمال البحرية في رأس التين ،ولإعداد الضباط البحريين، وأسس مدرسة بحرية عملية على ظهر إحدى السفن الحربية، ولما اتسع نطاقها قسمت إلى فرقتين كل واحدة منها على سفينة.

د- الصناعات العسكرية :

رأى الباشا أنه لكي يضمن الاستقلالية، وحتى لا يصبح تحت رحمة الدول الأجنبية، عليه إنشاء مصانع للأسلحة في مصر. كان مصنع الأسلحة والمدافع في القلعة باكورة هذا التفكير، والذي أسسه عام ١٨٢٧م، وكان ينتج بين ٦٠٠ و٦٥٠ بندقية، وبين ٣ و٤ مدافع في الشهر الواحد ، كما كان ينتج سيوف الفرسان ورماحهم وحمائل السيوف واللجم والسروج ، وفي عام ١٨٣١م أسس الباشا مصنعاً آخر للبنادق في الحوض المرصود، كان ينتج ٩٠٠ بندقية في الشهر الواحد، ثم مصنعاً ثالثاً في ضواحي القاهرة، وكانت المصانع الثلاثة تصنع في السنة ٣٦.٠٠٠ بندقية عدا الطبنجات والسيوف.

هـ- التجنيد :

كانت حركة التجنيد قائمة على قدم وساق فى جميع أنحاء البلاد ، ولم يأت عام ١٨٢٣ حتى تألفت الأورط الست الأولى فى الجيش المصري ، وعين الألف ضابط الذين تم تدريبهم بمدرسة أسوان الحربية ضباطاً فى هذه الأورط .

وتشير عفاف السيد لتجنيد المواطنين المصريين فى الجيش فتقول :

(أظهرت الحاجة إلى تجنيد المصريين فى الجيش تطوراً إضافياً في اتجاه تحديث الدولة بخلق جيش من أبناء البلاد ليحل محل الجيوش التقليدية من المرتزقة أو المماليك ، هذا الجيش الذي أصبح أداة للوحدة ، أصبح كذلك أداة

لصد الغزو ، بل إنه أصبح بالإضافة إلى ذلك وسيلة لتنفيذ المخططات الإمبريالية ، فجيش من ١٨٠٠٠ – ٢٠٠٠٠ ألف مقاتل كان كافياً لحماية البلاد ، كما كان الحال في عهد المماليك ، لكن جيشاً مكوناً من أكثر من ١٠٠٠٠٠ مقاتل ، كان من الواضح أنه مُشكل ومعه نوايا « إمبريالية » ، وكان ينمو وتنمو معه الرغبة فى التوسع) [١] .

و- الصحافة العسكرية :

المطبعة الأميرية :

عنى الباشا بالصحافة العسكرية والمطبوعات فأنشأ المطبعة الأميرية أو مطبعة صاحب السعادة فى عام ١٨١٩م ، وكانت تقوم بطبع ما يحتاج إليه الجيش من الكتب اللازمة للتعليم ونشر ما ينبغي نشره من القوانين والتعليمات العسكرية ، وبجانب مطبعة بولاق كانت للجيش مطابع خاصة وأهمها مطبعة المدفعية بطرة ، ومطبعة القلعة الخاصة بجرنال الخديوي .

صناعة الورق :

ومن أجل هذه المطبعة حاول الباشا أن ينشئ صناعة الورق على ضفاف النيل كما كان أيام الفراعنة ، واستطاع أن يجعله صناعة وطنية فيما بعد ، وكان المصنع (الكاغدخانة) يخرج بعض أصناف الورق ، وكانت مصر تصدر منه إلى المغرب واليمن والحجاز .

الوقائع المصرية :

أصدر الباشا الوقائع المصرية فى عام ١٨٢٩م وكانت توزع على ضباط الجيش .

ويتحدث د. فلاديمير سافريونوف عن الذاتية المصرية والأدب العربي فى هذا

(١) مصر فى عهد محمد على – المركز القومي للترجمة ٢٠١٦ – عفاف لطفي السيد – ترجمة عبد السميع عمر زين الدين – مراجعة السيد أمين شلبي

العصر قائلاً :

(وشهد القرن التاسع عشر إعادة البناء للمنظومة الأدبية والفكرية التقليدية ، كما شهد تكوين الثقافة الجديدة والحديثة ، وما خلقته هذه الفترة من أدباء بارزين ولامعين لهم من المكانة والأهمية ما كان لشعراء العرب فى القرون الوسطى ربما كان لآثارهم أهمية بالغة من وجهة نظر النقد الأدبي ونظرية الثقافة العالمية).

كما نلاحظ فى هذا السياق حركة نشطة تولدت فى البلاد لأعمال الترجمة والطباعة والنشر وإقامة أول مرصد فلكي يتناولها حمدي عثمان فيقول :

(وكان طبيعياً والتعليم قائم على إدخال علوم كانت حينئذ غريبة أن تقوم حركة ترجمة واسعة لنقل تلك العلوم إلى العربية والتركية ، وتبعاً لذلك أنشئت مطبعة بولاق الأميرية التى تأسست سنة ١٨٢٠ م ، وكانت تقوم بطبع الكتب للمدارس والجيوش ، ثم أخذت تطبع جريدة « الوقائع المصرية » وقامت مطابع أخرى صغيرة إلى جانب تلك المطبعة الكبرى ، مثل مطبعة سراي رأس التين ومطبعة مدرسة الطب فى أبي زعبل ومطبعة القلعة ومطبعة المهندسخانة وأصدر جريدة الجورنال الخديوي ، وأنشأ محمد على أول مرصد فلكي حديث فى مصر وأنشأ مجلس التعليم العام[١] .

٢- التعليم

أدرك الباشا أنه لكي تنهض دولته، يجب عليه أن يؤسس منظومة تعليمية، تكون العماد الذي يعتمد عليه لتوفير الكفاءات البشرية التي تدير هيئات دولتهالحديثة وفي الصدارة منها الجيش، لذا فقد بدأ بإرسال طائفة من الطلبة الأزهريين إلى أوروبا للدراسة في مجالات عدة، ليكونوا النواة لبدأ تلك النهضة العلمية ، كما أسس المدارس الابتدائية والعليا، لإعداد أجيال متعاقبة من

(١) هؤلاء حكموا مصر من مينا إلى مبارك – حمدي عثمان ص ٤٣٢ سلسلة الألف كتاب

المتعلمين الذين تعتمد عليهم دولته الحديثة .

أ- البعثات التعليمية إلى إيطاليا وفرنسا وانجلترا واستكشاف منابع النيل:

في عام ١٨١٣م، ابتعث الباشا أول البعثات التعليمية إلى أوروبا، وكانت وجهتها إلى إيطاليا، حيث أوفد عدد من الطلبة إلى ليفورنو وميلانو وفلورنسا وروما لدراسة العلوم العسكرية وطرق بناء السفن والهندسة والطباعة، ثم أتبعها ببعثات لفرنسا وإنجلترا،كانت البعثات الأولى صغيرة، حيث كان جملة من بعث خلالها لا يتعدى ٢٨ طالبًا، ورغم ذلك فقد لمع منهم عثمان نور الدين الذي أصبح أميرالاي الأسطول المصري ونقولا مسابكي الذي أسس مطبعة بولاق بأمر من الباشا عام ١٨٢١م.

إلا أن العصر الذهبي لتلك البعثات، كان مع بعثة عام ١٨٢٦ التي تكونت من ٤٤ طالبًا لدراسة العلوم العسكرية والإدارية والطب والزراعة والتاريخ الطبيعي والمعادن والكيمياء والهيدروليكا وصب المعادن وصناعة الأسلحة والطباعة والعمارة والترجمة تبعها بعثة ثانية عام ١٨٢٨ إلى فرنسا، وثالثة عام ١٨٢٩ إلى فرنسا وإنجلترا والنمسا، ورابعة تخصصت في العلوم الطبية فقط عام ١٨٣٢ ، وشهد عام ١٨٤٤، أكبر تلك البعثات العلمية والتي أرسلت إلى فرنسا، وعرفت باسم «بعثة الأنجال» لأنها ضمت ٨٣ طالبًا بينهم اثنين من أبناء الباشاوإثنان من أحفاده ، كان إجمالي عدد تلك البعثات تسعاً ، ضمت ٣١٩ طالبًا وبلغ إجمالي ما أنفق عليهم ٣٠٣.٣٦٠ جنيها ،كما أمر، الباشا بتوجيه ثلاث حملات بقيادة البكباشي سليم القبطان أعوام ١٨٣٩، ١٨٤٠،و١٨٤١ لاستكشاف منابع النيل ، كان لتلك الحملات الفضل الكبير في استكشاف تلك المناطق ومعرفة أحوالها .

ب- المدارس العليا :

أنشأ العديد من الكليات وكان يطلق عليها آنذاك «المدارس العليا»، بدأها عام

١٨١٦، بمدرسة للهندسة بالقلعة لتخريج مهندسين يتعهدون بأعمال العمران ، وفي عام ١٨٢٧ أنشأ مدرسة الطب في أبو زعبل بنصيحة من كلوت بك للوفاء باحتياجات الجيش من الأطباء، ومع الوقت خدم هؤلاء الأطباء عامة الشعب، ثم ألحق بها مدرسة للصيدلة، وأخرى للقابلات (الولادة) عام ١٨٢٩، ثم أنشأت مدرسة المهندسخانة في بولاق للهندسة العسكرية، ومدرسة المعادن في مصر القديمة عام ١٨٣٤، ومدرسة الألسن في الأزبكية عام ١٨٣٦، ومدرسة الزراعة بنبروه ومدرسة المحاسبة في السيدة زينب عام ١٨٣٧، ومدرسة الطب البيطري في رشيد ومدرسة الفنون والصنائع عام ١٨٣٩، وقد بلغ مجموع طلاب المدارس العليا نحو ٤.٥٠٠ طالب.

ج- المدارس الابتدائية وديوان المدارس :

لما تقدمت المدارس العليا واتسع نطاقها، قرر الباشا إنشاء «ديوان المدارس» عام ١٨٣٧، وعهد بإدارته إلى بعض أعضاء البعثات العائدين لمصر، لتنظيم التعليم بالمدارس، قرر هذا الديوان توسيع قاعدة التعليم في مصر، فوضع لائحة لنشر التعليم الابتدائي، نصت على ضرورة إنشاء ٥٠ مدرسة ابتدائية، وهو ما وافق عليه الباشا، وأمر بإنشائها على أن يكون ٤ منها بالقاهرة وواحدة بالإسكندرية تضم كل منها ٢٠٠ تلميذ، والباقي توزع على مختلف الأقاليم وتضم كل منها ١٠٠ تلميذ.

ويضيف حمدي عثمان :

« ويلاحظ أنه لم يكن قبل محمد على نظام تعليمي قائم بالمعنى المفهوم ؛ إذ لم يكن هناك سوى الأزهر وبعض المدارس الملحقة بالمساجد والكتاتيب القائمة فى المدن والريف ، ولم تكن تلك المعاهد تكون وحدة تعليمية ، كما لم يكن للحكومة إشراف عليها وكانت مجالسها حينئذ غير صالحة لإمداد محمد على بنوع من الرجال الذين يريدهم للقيام على إصلاحاته ؛ إذ كانت الدراسة فيها قد

اضمحلت أيام الحكم العثماني ؛ لذلك كان على محمد عـلى باشـا أن يـدخل عـلى تلك المعاهد الإصلاحات اللازمة وأن ينشئ معاهد أخـرى تـدرس فيهـا العلـوم الحديثة وبدأ بناء هرمه التعليمي الجديد من القمة وذلك بإنشاء المـدارس العليـا أولاً ، ثم أنشأ المدارس الابتدائية والتجهيزية (الثانويـة) ومـن المـدارس العليـا التى انشأت مدرسة المهندسخانة (الهندسة) والطب البيطري والزراعة والصيدلة والألسن ، هذا بخلاف المدارس الحربية بفروعها» (١) .

٣-الاقتصاد :

لكي يحقق الباشا الاستقلال السياسي، كـان في حاجـة إلى إنمـاء ثـروة الـبلاد وتقوية مركزها المالي، لذا عمد إلى تنشيط النواحي الاقتصادية لمصـر، واسـتخدم لتحقيق ذلك عشرات الآلاف من العمال المصريين .

أ- الصناعة

بني الباشا قاعدة صناعية لمصر، وكانت دوافعه للقيام بـذلك في المقـام الأول توفير احتياجات الجـيش، فأنشـأ مصـانع للغـزل والنسـيج ومصـنعا للجـوخ في بـولاق، ومصـنعا للحبـال اللازمـة للسـفن الحـربية والتجاريـة ، ومصـنع اللأقمشة الحريرية وآخر للصوف ومصـنعا لنسـيج الكتـان ومصـنع الطـرابيش بفوه، ومعمل سبك الحديد ببولاق ومصنع ألواح النحاس التي كانـت تـبطن بهـا السفن، ومعامل لإنتاج السكر، ومصانع النيلةوالصابون ودباغة الجلود برشـيد ، ومصنعاللزجاج الصيني ومصـنعاً للشـمع ومعاصـرللزيوت ، كمـا كـان لإنشـاء الترسانة البحرية دور كبير في صناعة السفن التجارية .

ب- الزراعة

اهـتم الباشـا بالزراعـة، فـاعتنى بـالريّ وشـق العديـد مـن التـرع وشـيّد

(١) هؤلاء حكموا مصر من مينا إلى مبارك – حمدي عثمان ص ٤٣١ سلسلة الألف كتاب

الجسور والقناطر، كما وسّع نطاق الزراعة، فخصص نحو ٣.٠٠٠ فدان لزراعة التوت للاستفادة منه في إنتاج الحرير الطبيعي، والزيتون لإنتاج الزيوت، كما غرس الأشجار لتلبية احتياجات بناء السفن وأعمال العمران، وفي عام ١٨٢١ أدخل زراعة صنف جديد من القطن طويل التيلة يصلح لصناعة الملابس، بعد أن كان الصنف الشائع لا يصلح إلا للاستخدام في التنجيد، وشجع زراعة أصناف مختلفة من المحاصيل الزراعية لتلبية الاحتياجات المحلية والتصدير.

ج- التجارة

بعد أن ازدادت حاصلات مصر الزراعية وخاصة القطن، اتسع نطاق تجارة مصر الخارجية، كما لعب إنشاء الأسطول التجاري وإصلاح ميناء الإسكندرية وتعبيد طريق السويس-القاهرة وتأمينه لتسيير القوافل، دورًا في إعادة حركة التجارة بين الهند وأوروبا عن طريق مصر، فنشطت حركة التجارة الخارجية نشاطًا عظيمًا، حتى بلغت قيمة الصادرات ٢.١٩٦.٠٠٠ جنيه والواردات ٢.٦٧٩.٠٠٠ جنيه عام ١٨٣٦.

د- القناطر الخيرية :

كانت أراضى الوجه البحري إلى أوائل القرن التاسع عشر تروى بطريق الحياض كأراضي الوجه القبلى، فلا يزرع فيها إلا الشتوي ولا يزرع الصيفي إلا على شواطئ النيل أو الترع القليلة المشتقة منه.

وقد أخذ الباشا فى تغيير هذا النظام تدريجاً، إذ أخذ فى شق الترع وتطهيرها وإقامة الجسور على شاطئ النيل ليضمن توفير مياه الرى فى معظم السنة، وصارت الترع تروى الأراضى فى غير أوقات الفيضان جهد المستطاع، ولاسيما بعد إقامة القناطر عليها، وقد توج الباشا أعمال الرى التى أقامها بإنشاء «القناطر الخيرية» واسمها يغنى عن التعريف، فإنها قوام نظام الرى الصيفى فى الوجه البحرى، وهى وإن كانت آخر أعماله فى الرى إلا أنها أعظمها نفعاً وأجلها شأناً وأبقاها على الدهر

أثراً ، وقد فكر فيها بعد ما شاهد بنفسه فوائد القناطر التى أنشأها على الترع المصرية العديدة ، ورأى أن كميات عظيمة من مياه الفيضان تضيع هدراً فى البحر، ثم تفتقر الأراضى إلى مياه الرى ، فاعتزم ضبط مياه النيل للانتفاع بها زمن التحاريق ولإحياء الزراعة الصيفية فى الدلتا ، وذلك بإنشاء قناطر كبرى فى نقطة انفراج فرعى النيل .

عهد الباشا بدراسة هذا المشروع إلى جماعة من كبار المهندسين ، منهم المسيو لينان كبير مهندسيه ، فوضع له تصميماً وشرع فى العمل وفقاً لهذا التصميم سنة ١٨٣٤ ثم ترك لوقت آخر ، وعندما اعتزم استئناف العمل استرشد بمهندس فرنسى آخر وهو المسيو موجيل إذ أعجبته منه مقدرته الهندسية فى إنشاء حوض السفن بميناء الاسكندرية ، فعهد إليه وضع تصميم إقامة القناطر الخيرية ، فقدم مشروعاً يختلف عن تصميم المسيو لينان.

ويتألف المشروع من قنطرتين كبيرتين على فرعى النيل يوصل بينهما برصف كبير ، وشق ترعا ثلاثا كبرى تتفرع عن النيل فيما وراء القناطر لتغذية الدلتا ، وهى الرياحات الثلاثة المعروفة برياح المنوفية ورياح البحيرة ورياح الشرقية الذى عرف بالتوفيقى لأنه أنشئ فى عهد الخديو توفيق باشا.

وقد شرع فى العمل على قاعدة تصميم موجيل بك وبمعاونة مصطفى بهجت (باشا) ومظهر (باشا) المهندسين الكبيرين المتخرجين في البعثات العلمية.

وضع الباشاحجر الأساس للقناطر الخيرية فى احتفال فخم يوم الجمعة عام ١٨٤٧ ميلادية ، وكانت مدة حكمه إلى ذلك العهد ٤٣ سنة ، ولكن العمل كان قد بدأ قبل ذلك ، ثم اعتراه البطء و التراخى لما أصاب همة الحكومة من الفتور فى أخريات أيام الباشا ، ثم توقف العمل بعد وفاته أثناء ولاية عباس الأول بحجة أن حالة الخزانة لا تسمح ببذل النفقات الطائلة التى يتكلفها إنفاذ المشروع ، وقد تم بناء القناطر وأنشئ رياح المنوفية فى عهد سعيد باشا.

٤-الإدارة :

أ- نظام الحكم :

حكم الباشا مصر حكمًا أوتوقراطيًا مع ميل لاستشارة بعض المقربين قبل إبرام الأمور، إلا أنه اختلف عن الحكم الاستبدادي للمماليك في أنه كان يخضع لنظام إداري بدلاً من الفوضى التي سادت عصر المماليك.

- فقد أسس الباشا مجلسًا حكوميًا عرف باسم «الديوان العالي» مقره القلعة يترأسه نائب الوالي الباشا، ويخضع لسلطة هذا الديوان دواوين تختص بشئون الحربية والبحرية والتجارة والشئون الخارجية والمدارس والأبنية والأشغال.

- كما أسس مجلسًا للمشورة يضم كبار رجال الدولة وعدد من الأعيان والعلماء، ينعقد كل عام ويختص بمناقشة مسائل الإدارة والتعليم والأشغال العمومية.

- وضع الباشا قانونًا أساسيًا عرف بقانون «السياستنامة»، يحدد فيه سلطات كل ديوان من الدواوين الحكومية[١].

ب- التقسيم الإداري

قسّم الباشا مصر إلى سبع مديريات أربعة في الوجه البحري وهي الأولى ضمت البحيرة والقليوبية والجيزةوالثانية المنوفية والغربية والثالثة الدقهلية والرابعة الشرقية وواحدة في مصر الوسطى وشملت بني سويف والفيوم والمنيا، واثنتان في مصر العليا الأولى من جنوب المنيا إلى شمال قنا والثانية من قنا إلى وادي حلفا، إضافة إلى خمس محافظات وهي القاهرة والإسكندرية ورشيد ودمياط والسويس.

---

(١) ملحق رقم (٢) بالقانون الأساسي (السياستنامة) عام ١٨٣٧م.

ج- النظام المالي :

ألغى الباشا نظام «الالتزام» الذي كان يسمح لبعض الأفراد الذين يسمون بالملتزمين بدفع حصص الضرائب على بعض القرى، ويخوّل لهم جمعها بمعرفتهم، مما كان يرهق المزارعين لأنهم عادةً ما كانوا يجبون تلك الأموال بقيمة أكثر مما دفعوه، إلا أنه استبدل هذا النظام بنظام «الاحتكار» الذي جعل منه المالك الوحيد لأراضي القطر المصري، وبذلك ألغى الملكية الفردية للأراضي، كما أجهد الشعب بالضرائب التي كان يفرضها عليه ، كلما احتاج لتمويل أحد حملاته أو مشاريعه دون نظام محدد، فشملت الضرائب المفروضة على الأراضي والمزروعات والأفراد والماشية ، وكما احتكر الأراضي والزراعة، احتكر أيضًا الصناعة والتجارة، مما جعل منه المالك الوحيد لأراضي مصر، والتاجر الوحيد لمنتجاتها، والصانع الوحيد لمصنوعاتها .

٥- عمرانياً :

اهتم الباشا ببعض النواحي العمرانية التي تخدم دولته الناشئة، فأسس المدن مثل الخرطوم وكسلا، وأقام القلاع للدفاع عن الثغور وعاصمة البلاد، كما شيّد فنارالإرشاد للسفن في رأس التين بالإسكندرية ، وعني أيضًا ببناء القصور ودور الحكومة، وأنشأ دفترخانة لحفظ الوثائق الحكومية، وداراً للآثار بعدما أصدر أمرًا بمنع خروج الآثار من مصر، وعبّد الطرق التجارية ونظّم حركة البريد وجعل له محطات لإراحة الجياد.

٦- اجتماعياً :

تدرّج المجتمع في عهد الباشا إلى عدة طبقات اجتماعية أعلاها الطبقة الحاكمة التي ضمت أسرته وكبار رجاله وموظفي الدولة من المتعلمين في المدارس والمبتعثين للخارج، ثم طبقة العلماء والأعيان فالمزارعين وعمال المصانع

والعربـان والرقيـق مـن اليونـانيين الـذين أسـروا في حـرب المـورة والجـواري الشركسيات والحبشيات والسودانيات اللاتي كن يخدمن في بيوت الأثرياء ، وقـد ارتفـع تعـداد السـكان في عهـده مـن ٢.٥١٤.٤٠٠ نسـمة عـام ١٨٢٣، إلى ٤.٤٧٦.٤٤٠ نسمة عام ١٨٤٥ .وكان محمد علي باشا متسامحًا واسع الأفـق في الشؤون الدينية ، فقرَّب إليه المسيحيين كما المسلمين، واستعان بهـم في حكمـه وأدخلهم في حاشيته .

وأصدر الباشا سلسلة من التشريعات حـددت علاقـة المـواطنين بالسـلطات الحاكمة ، ومن أهم هذه لائحة الفلاحة ، والقراءة المتأنية لهذه التشـريعات تشـير إلى أنها كانت تهدف لتحقيق عدة أهداف :

١. **وقف التجاوزات والعقوبات المبالغ فيها .**

٢. ضمان تعبئة الفائض من الريف للمدينة مـن ميـاه الـري اللازمـة للزراعـة وعدالة توزيعها وتوفير قوة العمل اللازمة للزراعة والأعمـال العامـة وعـدم تـرك الفلاحين لقراهم .

٣. تحديد مسئوليات الإدارة فى الريف وأحكام الرقابة على القرية .

٤. مواجهة حالات العصيان والتمرد الجماعي ومهاجمة عمال الحكومة أثناء تأديتهم لواجباتهم .

٧- حقوق المواطنة :

فى عصر الباشا تبوأ الأقباط مراكز عليا ، فنجده أعطى بطرس أغا أرمانيوس أن يكون مأموراً لمركز وادي برديس الذي كان يشمل شمال قنا وجنوب جرجا ، كما منح الأقباط رتبة البكوية عرفاناً بخدماتهم واتخذ منهم بعض مستشارين .

كما ألغى قراراً ينص على إجبار الأقباط عـلى ارتـداء أزيـاء معينـة التـي كانـت مفروضة عليهم من قبل السلطنة العثمانيـة التـى كانـت ملتزمـة شـكلياً بالشـريعة

الإسلامية والوثيقة العمرية ، وخلع الأقباط الزي الأزرق والأسود الذي كان مفروضاً عليهم بعد أن كانوا ممنوعين من ذلك وأصبحوا يلبسون الكشمير الملون ، وخلعوا الجلاجل الحديدية التى تسببت فى إزرقاق عظام الترقوة.

- كما سمح للأقباط بركوب البغال والخيول . ولا شك ان هذا كان ممتعاً لهم ان يتمتعوا بالحرية وأن يركبوا ما شاؤوا من البغال ، والسماح بحمل السلاح .
- كما أصبح للأقباط حرية بناء الكنائس وممارسة الطقوس الدينية ولم يرفض أي طلب تقدم الأقباط به لبناء أو إصلاح أي كنيسة .

كثيرا ما عاني الأقباط في عهد المماليك من صعوبات عديدة للحصول علي إذن بزيارة الأراضي المقدسة في فلسطين ، لكن برعاية وتسهيلات الباشا أصبح الأمر ميسرا وممهدا ، وقد عثر على أول وثيقة تعود إلي عام ١٨٢٥ م يوصي فيها الباشامسئول غزة بالقبط الذين يرغبون في الحج إلى القدس ، وألا يدع لأحد مجالا للتدخل في شئونهم، وعثر علي وثائق أخرى بهذا المعنى بين عامي ١٨٢٧ و١٨٢٨م ، موجهة لمسلمي غزة والقدس ، كان الباشا يوصيهم فيها بحماية الرهبان الأقباط والزوار الوافدين إلى القدس كعادتهم كل عام ، حاملين قفص الشموع إلى كنيستهم بالقدس وبحمايتهم وإكرامهم عند وصولهم إلى غزة والقدس.

تلاشت فى عهده الفروق بين الأقباط والمسلمين التى سبق ذكرها فى جميع العصور الإسلامية ، وكان هدف الباشا فى الظاهر الاستيلاء على أراضي الدولة العثمانية ، لهذا كان يوجه جميع إمكانيات مصر لهذا الهدف واتجهت سياسته نحو استغلال الخبرات والكفاءات مهما كان دينها أو ملتها ما دام هدفه هو مصر أولاً ، لهذا نرى أنه عين بطرس أغا مأموراً لمركز برديس وميخائيل أغا مأموراً للفشن بالوجه القبلي وفرج أغا مأموراً لدير مواس وتكلا سيداروس لبهجورة وأنطوان أبو طاقية للشرقية .

وبالنسبة للحملات الحربية التى كان يشنها الباشا فقد تحمل الأقباط نصيبهم في النفقات واشتركوا فيها كجنود وقواد واختلطت دماؤهم مع إخوتهم المسلمين فى غزوات الشام وجبال المروة وسهول آسيا الصغرى .

ويربط د. عبد الوهاب بكر بين الجندية والمواطن والباشا وقيام الجيش المصري لأول مرة فى تاريخ البلاد فى العصر الحديث .

« لا أختلف مع ما أجمع عليه المصريون من أن « محمد على » هو مؤسس مصر الحديثة وباعث نهضتها وصاحب الفضل فى نقلها من عصور الظلام الوسطوية إلى العصر الحديث بما يتضمنه من مستجدات الحداثة والتطوير العقلي والتقني .

كما أني أشارك أولئك الذين ربطوا بين محمد على وبين قيام الجيش المصري الحديث لأول مرة فى تاريخ البلاد وأؤيد نهضته الحربية المشهورة التى أفرزت قيام المؤسسة العسكرية المصرية على النمط الفرنسي المستمد من دور الخبراء الفرنسيين فى تحديث الجيش المصري وإنشاء المدارس العسكرية بأنواعها المختلفة والتشكيلات العسكرية (آليات الغارديا) و (الجرينادير) والجرخجية). [1]

٨- لماذا رفض الباشا فكرة حفر قناة السويس ؟

ظهرت فكرة حفر قناة تربط بين البحر الأحمر والبحر المتوسط لأول مرة أثناء وجود الحملة الفرنسية فى مصر (١٧٩٨ – ١٨٠١م) ، ولكن بسبب خطأ فى الحسابات الهندسية قرر مهندس الحملة الفرنسية لوبير أن البحر الأحمر أكثر ارتفاعاً من البحر المتوسط ، وبالتالي عدم جدوى حفر القناة .

وظل هذا الاعتقاد قائماً حتى جاءت جماعة (سان سيمون الفرنسي) وأعادت دراسة المشروع وأثبتت أن البحرين فى مستوى واحد وأنه يمكن شق قناة بينهما .

(١) الدولة العثمانية ومصر فى النصف الثانى من القرن ١٨م – د. عبد الوهاب بكر.

عرضت جماعة سان سيمون على الباشا فكرة إنشاء القناة بالإضافة إلى مشروعات أخرى فى مصر منها مشروع سد القناطر ، وافق الباشا على مشروع القناطر ولكنه لم يتحمس لمشروع القناة ، واشترط أن تتفق القوى الأوروبية مع الباب العالي فى تركيا على حقوق وواجبات كل طرف فى حال شق هذه القناة .

كان الباشا يرى أن هذا المشروع مختلف عن كل المشاريع التنموية الأخرى التى قام بها فى مصر ، فهو يفتح الباب على مصراعيه لتدخل القوى الأجنبية فى مصر للسيطرة على هذا الطريق الذي سيصبح أقصر الطرق البحرية لربط أوروبا بمستعمراتها فى آسيا وهذا ما حدث بالفعل بعد حفر القناة فى عهد سعيد باشا .

هذا بالإضافة إلى معارضة انجلترا لهذا المشروع ، لأنه سيسهل لبقية الدول الأوروبية مد نفوذها فى جنوب شرق آسيا على حساب النفوذ الإنجليزي هناك ، لذا كان الباشا يعتمد على إنجلترا فى الوقوف ضد المشروع وعدم إتمامه ، والحقيقة أنه لم يكن معارضاً للمشروع فى حد ذاته ، وإنما فى منح شركة أجنبية امتياز الحفر والانتفاع به ، وهو ما عبر عنه القنصل الفرنسي فى القاهرة مسيو بارو بقوله إن الباشا لن يرضى أبداً بمنح شركة أجنبية امتياز حفر هذه القناة وبالتالي لن يسمح مهما كان الثمن لهذه الشركة بالإنتفاع بالقناة .

وهذا القول يكشف لنا عن سياسة الباشا التى انتهجها فى تحقيق نهضة مصر الحديثة ، فكان يقوم بمشاريع اقتصادية ضخمة تمثل نقلة حضارية لمصر في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة ولكن برؤوس أموال مصرية تستثمرها الحكومة المصرية فى هذه المشاريع وتوظف لديها العقول الأوروبية اللازمة للقيام بالدراسة والتخطيط والتنفيذ ، وتجلي ذلك فى مشروع القناطر ومشاريع حفر الترع.

وكان اعتماد الباشا على الخبراء الأجانب وقتي حتى تعود البعثات العلمية المصرية التى أوفدها للدراسة فى الخارج وتتولى هذه المشاريع ، فكان الباشا يدرك أن الأجانب ولاءهم الأول والأخير لحكوماتهم ، لذا يجب الاعتماد على

العنصر المصري للحفاظ على المصلحة الوطنية وتحقيق تنمية طويلة الأمد .

وفي الثاني من أغسطس ١٨٤٩م رحل الباشا عن دنيانا في قصر رأس التين بالإسكندرية عن عمر يناهز الثمانين ، إلا أنه ترك إرثاً عظيماً من القواعد والأسس التى بنى عليها سياسة خارجية استطاع من خلالها تحقيق أكبر قدر من أحلامه ولولا أساليب الدس والخديعة والتآمر التى اتبعتها الدول الأوروبية والسلطان العثماني لكان للباشا ومصر المكانة التى تستحقها فى التاريخ.

لمحة إلى الباشا

- عندما بلغ الباشا العاشرة أشركه والده معه فى تجارة الدخان ، ثم خلف أباه بعد مدة فى رئاسة الجنود غير النظاميين إلى جانب تجارة الدخان، ومن خلالها التقى القنصل الفرنسى فى قولة ويدعى (م. ليون) الذي أصبح شريكاً وصديقاً له.

- وكلما واجه الباب العالى فى الأستانة تمرداً أو ثورة فى إحدى ولاياته بالجزيرة العربية أو الشام أو اليونان أو ألبانيا أرسل فى طلب المعونة والمساعدة من الباشا لنجدته بالقوات المسلحة المصرية برياً وبحرياً .

- وكلما تدخلت انجلترا وفرنسا وبروسيا وروسيا للحد من توسع نفوذ الباشا ، يتحول طلب المعونة والمساعدة التركي منه إلى تحالف مع هذه الدول .

- تزوج الباشا اثنتين :

١) أمينة هانم : كانت سيدة القصر ، تتمتع بشخصية قوية ، ولها مكانة رفيعة لدى الباشا ، أنجبت الأبناء والبنات ، ولم تسافر إلى الأستانة إلا بصحبة أحد أبنائها، وتوفيت عام ١٨٢٤ م لتدفن فى منطقة النبى دانيال بالإسكندرية وسط مشاعر الحزن والأسى من الجميع خاصة الباشا .

٢) ماه دوران هانم: لم يرزق منها بأولاد ، وكان قد تزوجها فى حياة أمينة هانم.

- كان للباشا ٢٧ (مستولدة)[١]، وله من زوجاته جميعاً من الأبناء (١٧) ولداً ومن البنات (١٣) بنتاً .

- أمينة هانم زوجة الباشا الأولى تخلت عن علاقتها الخاصة به لرفضها أن تتقاسم الباشا فى الفراش مع جواري القصر، وله منها ثلاثة أبناء كما أنجبت له بنتين.

- اتخذ الباشا سياسة واضحة منذ توليه السلطة فى البلاد بعد مبايعة الأعيان له والياً منذ عام ١٨٠٥ رافعاً شعار « من الأفضل أن يخشاك الناس على أن يحبوك» .

- التزم الباشا بسياسة الاكتفاء الذاتي اعتماداً على موارد مصر لبناء الدولة الحديثة .

- تحركات الباشا بين القاهرة والإسكندرية وحتى الأقاليم كانت تتسم بعنصر المفاجأة والسرية ، والحذر حتى مع أقرب العاملين معه .

- لم يكن يهتم بالبروتوكول فيما يتصل بذاته ، ولم يستجب لنصائح كلوت بك الغذائية ومع ذلك كان يفرضه على كل من بالقصر .

- كان برجوازياً يبحث عن الهدوء ، محباً لأبنائه ومهتماً بزوجتيه وحتى المستولدات.

- حرص على موعد تناول الغذاء فى الثانية بعد الظهر يومياً فى الحرملك الخاص به .

- أحب التجوال فى سكناه حال توتره ، واضعاً يديه خلف ظهره محدثاً

(١) هي التى أتت بولد بملك اليمين – تأتي فى الترتيب بعد الزوجات ولها الحق فى مشاركة الباشا فراشه وهى فئة من الجواري وُجدت فى عهد سلاطين العثمانيين .

نفسه.

- كان يفضل الإقامة فى قصره بشبرا ، جالساً على وسادة كبيرة ليمارس عادته المحببة لنفسه وهي التدخين (النارجيلة التى أدخلها لمصر) .

- كانت إقامته أثناء سفرياته للأقاليم فى خيام ، يستقبل فيها الأعيان ويتخذ منها مكاناً للنوم .

- اعتاد الباشا العمل دون هواده ، دائم النشاط ، قليل النوم ويستيقظ مبكراً ، فكان يستيقظ فى الرابعة صباحاً ، ويصعد للقلعة قبل الجميع ليستقبل تقارير مختلف نظاره ويُملى كل قراراته .

- أراد معرفة تعداد سكان مصر ، فأصدر أوامره فى عام ١٨٤٧م ، لتكون نتيجة الإحصاء ٤.٤٧٦.٤٤٠ نسمة (ضعف عدد مصر حين تولى حكمها) .

- بعد ٥٠ عاماً توجه لزيارة مسقط رأسه كافالا (قولة) ، حيث استقبله شيوخ القرية وأعيانها وشبابها وحتى الأطفال بحفاوة بالغة ليحكي لهم مشاهد من رحلة كفاحه .

- الأسرة العلوية هي سلالة مصرية من أصول ألبانية أسسها الباشا والياً ومن بعده الأبناء والأحفاد أطلق عليهم خديوى وسلطان ثم ملك حكموا مصر والسودان حوالي ١٥٠ سنة تحت السلطة الإسمية فقط للخلافة العثمانية ما بين عامي ١٨٠٥م ، ١٩١٤م وتحت الحماية البريطانية فى الفترة من ١٩١٤م – ١٩٢٢م ، وحتى بعد إعلان استقلال مصر فى ٢٨ فبراير ١٩٢٢م إلى أن تم إلغاء الملكية بنظام جمهوري في ١٨ يونيو ١٩٥٣ بعد ثورة يوليو ١٩٥٢م .

- كان والد الباشا تاجر تبغ ، وقد صار يتيم الأبوين فى سن مبكرة فكفله عمه (طوسون) وبعد موته تولى رعايته حاكم قولة وصديق والده (الشوربجي إسماعيل) الذي أدرجه فى سلك الجندية فأبدى شجاعة جعلت منه نائباً لرئيس

الكتيبة التى أرسلت ضمن جيش العثمانيين لاسترداد مصر من الفرنسيين وفور وصول الكتيبة إلى ميناء أبو قير قرر رئيسها العودة لقولة ليصبح الباشا قائدها .

- بدأ الباشا حياته بتجارة التبغ التى ورثها عن والده وتعلم أصولها من صديقة التاجر الفرنسي (م . ليون) من مرسيليا ، ثم التحق بالجهادية ليصبح رئيساً للجنود غير النظاميين يجيد فنون القتال واستخدام السلاح فعجل من ترقيته.

- انجلترا حاولت احتلال مصر ثلاث مرات فى فترة حكم الأسرة العلوية:-

١. الأولى عام ١٨٠٧ عندما جردت حملتها المعروفة بحملة الجنرال فريزر فى عهد الباشا ، فكان نصيبها الهزيمة فى (رشيد) و (الحماد) على أيدي المقاومة المصرية الشعبية الباسلة .

٢. الثانية عام ١٨٤٠ بعد انتصار القوات المسلحة المصرية فى معركة (نصبين) فى الشام على القوات العثمانية انتصاراً ساحقاً ، فألبت إنجلترا على مصر الدول الأوروبية واتفقت والحلفاء العثمانيين على عودة مصر لحدودها ، وحركت أسطولها إلى الشواطئ المصرية بقيادة الكومودور نابييه لتهديدها ويتوعدها بالاحتلال ، لكن القوات المسلحة المصرية بحراً وبراً كانت تقف بالمرصاد فى مواجهتها واتفق الطرفان الإنجليزي والمصري على انسحاب الأسطول الإنجليزي من أمام الشواطئ المصرية فى الوقت الذي عقدت فيه معاهدة لندن .

٣. عام ١٨٨٢ وأثناء الثورة العرابية ، أرسلت إنجلترا حملة بقيادة الأميرال سيمور إلى الشواطئ المصرية فى اسكندرية والقناة ، ليتمكن نتيجة للخيانة والتخاذل من احتلال البلاد .

- كان الباشا يميل للتخلص من الزعامة الشعبية التى نادت به والياً بدلاً من خورشيد باشا ، وناصرته فى مواجهة الباب العالي عندما صدر فرمان بولايته لجدة،

وأيدت موقفه عندما فرض الضرائب لإعادة ترتيب البيت من الداخل فهذه الزعامة كانت فى السنوات الأولى من حكمه بمثابة سلطة ذات شأن تراقب أعماله وكانت ملجأ الشاكين .

- عمل الباشا على نشر التعليم على اختلاف درجاته من عال وثانوي وابتدائي ويتضح من مقارنة تاريخ المنشآت التعليمية أنه عنى أولاً بتأسيس المدارس العليا وإيفاد البعثات ، ثم وجه نظره إلى التعليم الإبتدائي ، لأن الأمم تنهض أولاً بالتعليم العالي باعتباره أساس النهضة ، كما اهتم بالطباعة والصحف والترجمة والدواوين والمجالس المتخصصة والتشريع.

- حكومة الباشا كانت حكومة مطلقة تسود فيها قاعدة حكم الفرد ، لكنها كانت مختلفة عما كان عليه الحال فى عصر المماليك ، فالباشا وضع نظاماً لإدارتها بدلاً من الفوضى والارتباك ، وعلى الرغم من اعتبار نظام حكمه نقطة ضعف فى تاريخه إلا أن غايته كانت الإصلاح وبناء دولة حديثة .

- حروب الباشا مكنت مصر ومعها السودان من تحقيق استقلالها القومي تحت خلافة عثمانية إسمية ، وليست كالولايات الأخرى يتعاقب عليها الحكام كل سنة أو سنتين.

- طوال حياته ارتدى الباشا أبسط الملابس ، عكس الملابس الفاخرةالتى كان يرتديها المحيطون به من أبنائه ورجال بلاطه.

- كان للباشا ضحكة مكتومة قصيرة وجافة ، وتحركاته برفق وهدوء حتى أنه كثيراً ما أفزع خدم القصر بظهورة فجأة ودون توقع فكانوا يقولون عنه « أنه يعرف كل شئ».

- أحب الأجانب والأقليات ، الذين اعتبرهم رجال أعمال محل ثقة ، خاصة اليونانيين والأرمن والفرنسيين ، وقد يرجع ذلك إلى علاقات عمل قديمة إبان اشتغاله في تجارة الدخان ، وهو ما يفسر دعوته لهم للاستقرار فى مصر وأسبغ

عليهم رعايته (بصفتهم مستثمرين) .

- كان الباشا ثعلباً ماكراً وحاذقاً وحذراً ، لكن فى نفس الوقت جذاباً ذا تربية عالية وأخلاق كريمة ، وصفه القنصل البريطاني (بالمرستون) بأن أفكاره عملية فقد كان يعتد به ويعتمد عليه فى الخروج بأفضل النتائج من المواقف السيئة .

- الباشا هو رجل عسكري استطاع تدمير أعدائه بوسائل عسكرية مثلما فعل مع المماليك ، لكنه كان أيضاً ذلك السياسي الماهر ، الذي حاول أن يشتري أعداءه أو يبطل مفعولهم ، ولا يستخدم القوة إلا كملجأ أخير ، وكان بصفة عامة غير مرتاح لاستخدام القوة ، لأنه كان يؤمن أنها تترك بعدها مذاقاً كريهاً ، وإن الاستمالة كانت دائماً البديل الأفضل .

- إن مصر قد صنعت الباشا ، تماماً كما ساعد هو مصر على أ ن تسترد عافيتها من الحالة المرضية فى القرن الثامن عشر ، فقد لمح من خلال أعمال الفرنسيين فى مصر من نظم حديثة ، فشرع فى الجري على سياسة إصلاح واسعة النطاق والاستعانة بهم فى تنفيذها .

- كان وصول الباشا لولاية مصر عن طريق الشعب عاملاً مقلقاً للسلطة العثمانية ، فرغم صدور فرمان بتوليته حكم مصر ، إلا أن ذلك لم يكن بنية خالصة من السلطان ، وأصبح الشك والتوجس هو ما يحكم علاقة السلطان وبلاطه بوالي مصر .

- رأى السلطان العثماني فى الباشا قوة يمكن تطويعها لصالح دولة الخلافة يحقق بها أمرين: الأول: ضرب الانتفاضات المتوالية على سلطان الدولة والثاني: أضعاف قوة الباشا وجعلها تدور فى فلك الخلافة ولا تخرج عنها .

- مرحلة التحول الكبير والتى تمتد بين عامي ١٨٢٠ م - ١٨٣١م شهدت بعضاً من التغييرات الاجتماعية وأهمها نشأة وتطور جماعة الأفندية التى ظلت تمثل

ركيزة الطبقة الوسطى الصغيرة لفترة طويلة بعد ذلك.

رؤية المفكرين لمشروع الباشا [1]:

انقسمت آراء المفكرين حول مشروع الباشا لثلاثة توجهات أولها لا يـرى فيـه أية مثلبة والثاني: يجرحه تماماً والثالث: بين بين :

١ – الاتجاه الأول

يرى أنصار هذا الاتجاه أن (محمد علي) صـاحب مشـروع نهضـوي ومـنهج فكرى، كانت نتيجته إحداث نهضة علمية واقتصادية واجتماعية وعسكرية في مصـر ، امتدت إلى باقي الدول العربية وكان لها تأثيرها على نمو الحركـات الإصـلاحية في السلطنة العثمانية ذاتها، ويمثل هذا الاتجاه جمال الدين الأفغاني وعباس العقاد .

أثنى جمال الدين على منهج محمد على ونهضته ، بل إنه يصفه أنه نابغة من نوابغ الدهر ، ويرى أن مصر قد دخلت معه عصراً جديداً تفوقت فيه على كل جاراتها من الأمم في عصور المدنية ، ويعدد مآثر هذا التفـوق ، فيراهـا في الحكومـة النظاميـة والتفوق الاقتصادي المتمثل في الزراعة وتطـور وسـائلها وانتشـار معاهـد العلـم والمعارف الصحيحة والتقدم في إنشاء الطرق والمواصلات وما إليها مـن مظـاهر تدل على التقدم المادي والاقتصادي ، ناهيك عن انتشار الأفكار الوطنية بين أهالي مصر .

أما عباس العقاد فيعتبر محمد عـلي مـن العبـاقرة في صـناعة الحكـم وسياسـة الشعوب ، فقد أفلح في إنشاء دولة جديدة وأخرجها من الفوضى إلى النظـام ، فقـد كـان منهجـه وتفكيـره النهضـوي قائمـاً عـلى البداهـة العقليـة والبصـيرة النافـذة والاستنارة ، فلم يترك أي مجال من مجالات النهضة القومية للصدفة ، من إنشـاء القوة العسكرية والبحرية ونشر التعليم وإرسال البعثـات العلميـة وترجمـة الكتـب

(١) موقع الملك فاروق الأول –ملك مصر – مقالات وآراء .

والاهتمام بالزراعة والصناعة ، حتى إدراكه لقيمة العلاقة الجيدة بينه وبين الرعية ، ولذلك اختار لمشروعه هيئة نيابية تناسب الوقت من العارفين لشؤون الإدارة وأحوال الأقاليم ، ولم ينس تمثيل الصحافة في الهيئة النيابية ، فكان ممثل الوقائع المصرية من أعضائها .

ويبرر عباس العقاد استبداد محمد علي السياسي ، من أنه لم يكن أمامه إلا أن يظل الحكم على حالة الفوضى بين عشرات الأمراء أو أن يوجد الرجل الذي يقضي على تلك الفوضى ويجتهد في تنظيم الأحوال على دعائم الاستقرار والإصلاح ، وقد كان محمد علي هو الحاكم العبقري الذي استطاع تأسيس دولة قوية وتقرير النظم وتكوين نهضة سليمة مطردة على سنن التقدم والحرية .

٢- الاتجاه الثاني :

هو الاتجاه الرافض لمنهج محمد على وإصلاحاته ويركز على سلبياته أكثر من إيجابياته وكل مفكر له وجهة ينظر منها إليه ، ويمثل هذا الاتجاه كل من :

الإمام محمد عبده ، د. لويس عوض

بداية يحمل الإمام محمد عبده علي محمد علي حملة شعواء ، فينتقد منهجه وأسلوبه في مختلف نواحيه ، أول هذه الانتقادات هي استبداد محمد علي في التعامل مع المخالفين له في الرأي والفكر ، فكان يستعين بالجيش للتخلص من خصومه ، وكان يستعين بمن يستميله من الأحزاب لسحق حزب آخر ثم يستدير على من كان معه فيتخلص منه ، وعلى ذلك حتى فسد بأس الأهالي وزالت ملكة الشجاعة منهم .

وثاني هذه الانتقادات هو أسلوب محمد علي في التعامل مع الأجانب ، فقد أعلى كعبهم وأغدق عليهم الوظائف ووهب لهم المكانة الاجتماعية حتى ضعفت نفوس الأهالي وتمتع الأجنبي بحقوق المواطن التي حرم منها ، وهكذا اجتمع على

المصري ذل الحكومة الاستبدادية المطلقة من ناحية وذل إذلال الأجانب لهم من ناحية أخرى .

وثالث هذه الانتقادات هو: أن إصلاحات محمد علي كانت في مجملها موجهة ناحية الجيش والأغراض العسكرية ولم تكن موجهة ناحية الأمة المصرية ، فقد اعتنى بالطب والهندسة لأجل الجيش حتى البعثات العلمية كانت من أجل خدمة أغراضه وبذلك قتل الحرية الفكرية لدى الشعب .

ورابع هذه الانتقادات هو أن محمد علي لم يفكر مطلقاً في إصلاح اللغة سواء أكانت العربية أم التركية ، ولم يجعل للأهالي رأياً في حكوماتهم ولم يضع حكومة قانونية منظمة يقام بها الشرع ويستقر بواسطتها العدل ، ولم يفكر كذلك في بناء التربية على قاعدة من الدين أو الأدب ، حتى الكتب التي ترجمت في شتى فروع المعرفة من تاريخ وفلسفة وأدب لم ينتفع بها الشعب المصري لأن محمد علي لم يعمل على تكوين أرضية عريضة من أبناء الشعب المصري تستفيد من هذه الكتب.

الانتقاد الخامس ينصرف إلى اهتمام محمد علي بتكوين جيش قوي وأسطول بحري ولكنه أهمل تعليم المصريين الجندية ، فلم يعلم المصريين حب التجند رغبة في الفتح والغلبة والافتخار ، بل علمهم الهروب منها ، لذلك لم يشعر المصري يوماً أن هذا جيشه وأسطوله وأنه في خدمته وخدمة وطنه ، وقد ظهر ذلك الأثر العظيم في أثناء إخماد ثورة عرابي ، فقد دخل الإنجليز مصر كأسهل ما يكون ، عكس ما حدث من مقاومة المصريين للفرنسيين أثناء دخولهم مصر .

الانتقاد السادس هو إهمال محمد علي للناحية الدينية في نهضته ، فيرى أن محمد علي لم يهتم يوماً بالدين إلا من ناحية استمالة بعض رجاله المنافقين لدعم سلطانه أو للقضاء على الوهابية ذلك العمل الذي بدأ في ظاهرة خدمة للدين ، في حين أنه عمل سياسي محض لا شأن له بالدين أو بغلو الوهابيين في بعض

معتقداتهم .

خلاصة القول فيما يرى محمد عبده أن محمد علي كان تاجراً وزارعاً وصانعاً وجندياً باسلاً ومستبداً ماهراً ، ولكنه كان لمصر قاهراً ولحياتها الحقيقية معدماً .

هذا هو رأى محمد عبده في نهضة محمد على فهو لم ير فيها أي جانب إيجابي ، وبغض النظر عما قيل حول هذا الرأي من أنه كتب بدوافع سياسية نتيجة لخصومته مع الخديوى عباس وتسلحه بمؤازرة الإنجليز له.

أما د. لويس عوض فإنه يسجل بعض الانتقادات على نهضة محمد علي ، خاصة الصناعية وأسلوبه في إدارتها ، فيرى أن أسلوب محمد علي الصناعي أدى إلى تأخر انتشار الأفكار الديمقراطية وتبلور مبادئ حقوق الإنسان في المجتمع المصري الحديث ، ومرد ذلك إلى أن نشأة الصناعة المصرية في أيام محمد علي في كنف رأسمالية الدولة أو نظام الاحتكار وفي كنف العسكرية المصرية بدلاً من نشأتها في كنف الاستثمار الفردي أولاً ، والشركات المساهمة ثانياً كما حدث في البلاد الأخرى ، وقد أدى هذا إلى أن الطبقات المتوسطة المدنية التي تكونت منها البرجوازية المصرية اصطبغت بصبغة مَيَّزَتْها عن بقية البرجوازيات الأخرى ، فكان العمود الفقري لها هم الطبقة الفنية والصناعية والعسكرية والتجارية بمختلف مستوياتها بالإضافة إلى الطبقة البيروقراطية التي تتألف من جيش الكتبة والإداريين ، ويرى لويس عوض أن هؤلاء أقرب إلى الموظفين الذين يفضلون الأمان والمعاش المنتظم على الحرية والاستقلالية ويستمدون فكرة الكرامة لا من نمو الفردية أو قوة الشخصية أو القدرة على الاقتحام والابتكار.

كما يرى لويس عوض أن كل ما استحدثه محمد علي في مصر من أدوات الدولة الحديثة سواء في باب التنظيم والإدارة أو في باب العلوم والتكنولوجيا كان مجرد وسائل لخدمة أهدافه العسكرية ، وذلك أن آخر ما كان يفكر فيه محمد علي هو بناء الإنسان على أرض مصر ولذلك انهارت إنجازاته سريعاً بمجرد انهيار

دولته وغاصت مصر مرة أخرى في الجهل والتخلف ، والسبب أن محمد علي لم يكن هو ذلك المستبد المستنير الذي تحتاجه الأمة للنهوض بها ، بل كان مستبداً أكثر منه مستنيراً .

يتفق لويس عوض مع سابقيه إسماعيل مظهر وحسين فوزي النجار في أن محمد علي أهمل تنمية الوعي القومي المصري بالنهضة ، وأن نهضته غلب عليها الطابع الشخصي أكثر من الطابع القومي الحقيقي ، ويركز لويس عوض في ذلك على ضرورة بناء شخصية الإنسان المصري وتنمية فرديته واستقلاليته التي أهملها محمد على في إطار اهتمامه باستبداد الدولة وهذا هو سبب انهيار إصلاحاته سريعاً في نظره .

٣- أما الاتجاه الثالث :

فهو ما يمكن أن نطلق عليه الاتجاه الحيادي وهو الاتجاه الذي يسجل لمحمد على إنجازاته ويعتد بها ، وهو فى الوقت نفسه يسجل عليه أخطاءه وهفواته ويزن لكل جانب ما له من أهمية وقيمة وتأثير فى النهضة ويمثل هذا الإتجاه سلامة موسى وأحمد حسين .

يرى سلامة موسى أن محمد علي كان يؤمن بالحضارة الغربية ، فأسس المصانع على النمط الأوربي وأوجد في نفوس الأمة المصرية حب العمل بعد أن كانت طبائع الاستبداد الشرقية قد طبعت فيهم حب الخمول والدعة .

وعلى الجانب الآخر لم يكن محمد علي يثق بالمصريين أو يحسب لكرامتهم حساباً ، ولذلك كانت بعثاته إلى أوروبا مؤلفة من غير المصريين من المماليك والمقدونيين ، فكانت نهضته ناقصة لم تستقر فيها عوامل النمو .

أما أحمد حسين فيرى أن محمد علي أنشأ جيشاً وبنى أسطولاً وفتح المدارس وأرسل البعثات العلمية ، وترجم الكتب في مختلف الفنون وشق الترع وبنى المصانع ، وخاض معارك رفعت اسم مصر عالياً في ذلك الوقت ، وكان مضرب

المثل للشباب المصري حين يبحث عن قدوة في القدرة علـى النهـوض ، والأخـذ بأسباب الحضارة العلمية والتفوق على كثير من دول آسيا وأوربا في التقدم .

ويبدأ في تحليل المآخذ التي تؤخذ على محمد على وأهمها من الناحية السياسية هي استبداده المطلق بالحكم وأنه لم يكن يخضع لقانون سوى محض إرادته ، وأن نظرته إلى شعب مصر كانت نظرة عنصرية ضيقة ، ويتفق مع أصـحاب هـذا الـرأي وخاصة الإمام محمد عبده – كما سلف الذكر – ولكنه يـري أن محمـد عـلي ابـن عصره في العالم عامة ، فقبل سنوات قليلة من قيام حكم محمد عـلى كانـت فرنسـا، بل أوربا كلها تحكم بهذه المقاييس السابقة ، وكان نظـام الإقطـاع يجعـل الأرض ومن عليها ملكاً للملك أو الأمير ، لذلك عندما نتحـدث عـن عصـر محمـد عـلي يجب أن نعي أنه لم تكن في مصـر ديمقراطيـة قبلـه وألغاهـا أو كانـت بهـا محـاكم وعدالة فحولها إلى ظلم ، أو نظام فَحَوَّلَـهُ إلى فوضـى ، ولم تكـن الأرض الزراعيـة مملوكة للفلاحين وانتزعها منهم ، ولم يكن لمصر جيش مـن أبنـاء الـبلاد فحولـه محمد علي إلى جيش للأتراك ، بقى القول بأن محمد علي أصل أسس الحكم التـي جري عليها العمل في مصر خلال أجيال وقرون عديدة .

أما ما يقال حول النزعة الشخصية والرغبة في تكوين ملـك عظـيم يتـوارث لـه ولأبنائه من بعده فهذا ما يقره أحمد حسين ، ولكنه يري أنـه مـن التجنـي القـول أن مصر لم تستفد من ذلك ، **بل يمكن القول بأن فتـرة حكـم محمـد علـي هـي البدايـة الفعلية لتاريخ مصر الحديث ، حيث خرجت مصر من عزلتها التي فرضتها عليهـا قرون من الحكم العثماني لتتفاعل مع التيارات العالمية حتـى تثبـت قـدرة الشـعب المصري على التجدد والانطلاق نحو التقدم والنهضة .**

ويركز أحمد حسين على انهيار نهضة محمد علـى فيراهـا فى تـربص دول أوروبـا بالعالم الإسلامي كله والشرقي خاصة ، واختصاص مصر بالدرجة الأولى بأطماعـه ومناوراته.

رؤية لباحثين ومؤرخين لمشروع الباشا :

١- من كتاب محمد على وعصره ص ٦٢ للدكتور / أحمد زكريا الشلق وآخرون

« لقد تحيز كثير من الباحثين لمحمد على ، واعتبروه بحق عبقرية نادرة فى مجالات الإصلاح السياسي والاقتصادي والعسكري والإداري ، بل وصانع مصر الحديثة، ومن الواضح أن أولئك الباحثين إنما يرتبطون بالمنهج التاريخي الذي يؤكد على دور الفرد في صناعة التاريخ ، وهو المنهج الذي عبر عنه المؤرخ العالمي أرنولد توينبي بالشخصيات العظيمة الذي كان محمد على بكل تأكيد يعد واحداً منهم ، وإن كانت الحقيقة أنه لم يكن له ما كان لولا أرض مصر ومقدراتها وشعبها ، حيث تمكن بفضل موارد البلاد البشرية والاقتصادية وطاقتها الفكرية أن ينفض عنها عوامل الركود والتخلف التى عانت منها خلال عدة قرون من الحكم العثماني المملوكي . ومن ثم قضي محمد على السنوات الأولى من حكمه يعمل على تقويض النظام القديم واستبداله بنظام جديد .

وقد يكون صحيحاً أن الشعب المصري قد تحمل خلال تلك السنوات الأولى الكثير من المشاق ، خاصة وأن الظروف التى أحاطت بمحمد على هي التى أجبرته على فرض الضرائب الفادحة التى عانى منها الشعب معاناة شديدة ، فضلاً عن **أن سنوات الهدم كثيراً ما يشوبها العنف والمصادرة والقسوة ، غير أن ما تحمله الشعب من شدائد ومحن لم تكن إلا بعض آلام المخاض التى تسبق الميلاد الجديد، وكان الميلاد الجديد هو نهضة مصر فيما تلا ذلك من سنوات النصف الأول من القرن التاسع عشر ، حين تخلصت من ركام النظام العثماني المملوكي القديم ، وبدأت تظهر معالم الدولة الحديثة نتيجة ما شهدته البلاد من تغييرات راديكالية ، اقتصادية وسياسية واجتماعية وعسكرية وإدارية ، بشكل يجعلنا نقرر بإطمئنان أن تاريخ مصر الحديث إنما يبدأ من عصر محمد على ، أو على الأحرى بنضج الوعي**

الشعبي الذي أوصل محمد على إلى الحكم ، ومن ثم تضعف إلى حد كبير وجهات نظر بعض الباحثين الذين يرون أن الغزو العثماني أو الحملة الفرنسية على مصر هي الأحداث التى تشكل المعالم البارزة لبداية التاريخ المصري الحديث[1] ».

٢- المشروع السياسي لمحمد على باشا : دراسة أعدها الدكتور رؤوف عباس أُعيد نشرها « بتصرف » :

« لعل محمد على باشا كان أكثر من عاصروا تجربة العدوان الغربي (كما مثلته الحملة الفرنسية) فهما لدلالة ذلك الحدث التاريخي الخطير بالنسبة للدولة العثمانية ، فأدرك أن ضعف هذه الدولة الإسلامية مرده إلى تخلفها وعجزها العسكري ، وأن ما حدث فى مصر لابد أن يتكرر فيها أو في غيرها من بلاد الدولة العثمانية ، وأنه لا منجاة للدولة من المصير الذي يتهددها إلا إذا تزودت بأسباب القوة والمنعة التى تجعلها قادرة على الصمود فى وجه التحدي الغربي ، وهو ما لا يمكن تحقيقه إلا بإصلاح الأداة العسكرية للدولة لما يتطلبه ذلك من العمل على سد فجوة التخلف الحضاري الذي تعاني منه بلاد الدولة ، غير أن محمد على باشا كان جندياً ألبانيا متواضعاً ، ساعدته ظروف مصر على أن يلي أمرها ، ولا يتيح له مركزه المتواضع كوال لمصر أن يصلح من شأن الدولة العثمانية كلها إلا إذا فوضه السلطان فى ذلك ، وهو أمر بعيد المنال بالنسبة لمثله ، فلماذا لا يحاول أن يحقق ما يصبوا إليه فى البلاد التى يتولي حكمها ؟ ولماذا لا يستغل ضعف الدولة وعجزها ليوسع من رقعة نفوذه حتى تحين الفرصة التى تمكنه من تحقيق أمله ؟ ولماذا يتقاعس عن تحقيق حلمه وقد أثبتت الأيام غياب المستحيل من حياته ؟ ألم يستطيع أن يغير مسار حياته من ضابط غير نظامي مغمور إلى أن أصبح باشا يحكم

---

(١) محمد على وعصره – دار الكتب والوثائق المصرية

د. أحمد زكريا الشلق – د . جمال زكريا قاسم – د . خالد فهمي – د . عبد الواحد النبوي – د .يونان لبيب – د . محمد صابر عرب – د . على بركات .

ولاية من أهم ولايات الدولة ؟

وهكذا سعى محمد على إلى أن يقيم فى مصر (دولة نموذجية) حديثة توفر لـه فرصة إقامة دولة إسلامية قوية من خلال تطبيق نموذج مصر على الدولة العثمانيـة ذاتها وكان اختيار محمد على لمصر كقاعدة لمشروعه السياسي ينم عـن بعـد نظـر ذلك الرجل الذى كان يمتلـك موهبـة رجـل الدولـة الـذي يـدرك أبعـاد الظـرف التاريخي ويحسن توظيفه.

مشروع سياسي نهضوي

كان محمد على باشـا – إذن – صـاحب مشـروع سياسـي نهضـوي يهـدف في المقام الأول إلى بناء قاعدة عسـكرية وسياسـية حديثـة ذات شـأن تقـي المشـرق العربي عدوان الغرب لا عن طريق المواجهـة وإنمـا عـن طريـق التـزود بأسـباب المنعة والقوة التي تحقق نوعا من توازن القوى مع الغرب وتجعل الأخير يتعامـل مع الدولة العثمانية معاملة الند للند، ومن ثم كانت حروب محمد على فى الجزيـرة العربية ، وبلاد اليونان ، تلبية لدعوة السلطان، تتسق مع تلك الرؤية الاسـتراتيجية وحتى فتحه السودان ، وحروبه ضد السلطان فى الشام تدور فى هذا الإطـار ، وهـو إحياء القوة العسكرية للدولة باعتبارها حجر الزاويـة للإصـلاح السياسـي فيهـا ، ولعل الفكرة التى دارت برأسه يوماً من الأيام تكشف مراميه البعيـدة، لـذلك فقـد سعى إلى أن يقيم في مصر «دولة نموذجية» حديثة توفر له فرصة إقامة دولة إسلامية قوية من خلال تطبيق نموذج مصر على الدولـة العثمانيـة ذاتهـا، فقـد صـرح يومـا لبعض خلصائه برغبته في الوصول إلى الآستانة، وخلع السلطان وتولية ابنه الصـبي وتنصيب نفسه وصيا عليه لتتاح له فرصة إصلاح الدولة كلها.

وهكذا كانت مصر – عنـد محمـد عـلى – قاعـدة انطـلاق لمشـروع سياسـي إقليمي يعتمد على بناء قوة عسكرية كبيرة حديثة، وبناء مثل هـذه القـوة يحتـاج إلى موارد مالية ضخمة تقصر دونها خزانة والي مصر التي كانـت تعتمـد عـلى الخـراج

والمكوس، ولا يستطيع محمد على أن ينشد تلك الموارد من مصادر خارجية كالاستدانة مثلا، فقد جعله الحرص على استقلال قراره السياسي ينفر من فكره الاستدانة ويرفضها عندما عرضت عليه في العقد الأخير من حكمه، فلا مفر أمامه من أن يدبر الموارد اللازمة لمشروعه السياسي من مصر ذاتها وهو أمر لا يمكن تحقيقه إلا إذا استطاعت «الدولة» أن تضع يدها على موارد البلاد كلها، تديرها وتنميها بالقدر الذي يوفر الأموال اللازمة لبناء القوة العسكرية الحديثة، بما تتطلبه تلك القوة من مؤسسات إنتاجية وخدمية، ومن ثم كانت السياسات الاقتصادية التي نفذها محمد على - تدريجيا - وانتهت بوضع الاقتصاد تحت إدارة السلطة المركزية وتعبئة الموارد لخدمة المشروع السياسي الإقليمي وإدخال تغييرات هيكلية على النظام الإداري وما ارتبط بذلك من تطور في نظام التعليم وما نتج عنه من صحوة ثقافية.

سياسة خارجية خاصة

واستطاع محمد على باشا أن يرسم لنفسه سياسة خارجية خاصة لتحقيق مشروعه السياسي الإقليمي ، ودعاه إلى ذلك أنه كان والياً على قطر مهم في إمبراطورية ضعيفة متهالكة ، عانت من ضغوط الدول الأوروبية فى القرن الثامن عشر ، ووضعت عشرات المشروعات لاقتسام أملاكها. وأدرك محمد على أن انهيار الدولة العثمانية سيجرف مصر معه ، ولذلك سعى- بسياسته الخارجية – أن يجمع لنفسه من حطام الدولة كياناً يتولى حكمه وأسرته من بعده ، مع بذل الهمة لتوسيع رقعة ذلك الكيان بقدر الإمكان .

لذلك بذل محمد على باشا أقصى الجهد ليفيد من ضعف الدولة العثمانية وعجزها ، فهذا الضعف يتيح الفرصة ليقوي نفسه فى إطار الإمبراطورية العثمانية وبموافقة السلطان فنجده يلبي أوامر السلطان لنجدته فى الولايات التى اندلعت فيها الثورات ضد الحكم العثماني ، فاستخدم الباشا الموارد المصرية لإنقاذه

سيادة الباب العالي على بلاد العرب وكريت واليونان وأتاح له ذلك فرصة مد نفوذه إلى تلك البلاد وراء قناع السيادة العثمانية ، كما أتاح له فرصة بناء قواته العسكرية فمكنته حروب بلاد العرب من بناء أول أسطول له فى البحر الأحمر ، وكانت حرب المورة أول الميادين التى نزل إليها جيشه الجديد واشترك فيها أسطوله الذي بناه فى دور الصناعة الأوروبية وفي ترسانة الأسكندرية ، فأتاحت له تلك الحروب التى خاضها باسم السلطان فرصة تجربة قواته العسكرية وإكسابها المهارات القتالية ، فضلاً عن الإعلان عن وجود تلك القوة لديه لمن يعنيهم أمر إقليم شرق البحر المتوسط .

وأكثر من ذلك أغرى ضعف الدولة العثمانية محمد على باشا بالتوسع خارج حدود ولاية مصر فأصبح حاكماً على أهم بلاد الدولة العثمانية الناطقة بالعربية ، وأراد محمد على بهذا الاتساع أن يبسط سلطانه على المنافذ المؤدية للطرق التجارية القديمة ، وإلى أن يجعل من بلاد إمبراطوريته الصغيرة : مصر والسودان ، وبلاد العرب والشام ، وحدة إقتصادية متكاملة ومكتفية ذاتياً ، فيعوض بذلك النقص في موارد مصر ويخفف اعتماده عليها وحدها فى المال والرجال.

جهود إصلاحية وإنجازات مختلفة

ولكن محمد على باشا كان يعلم أن جهوده الإصلاحية ، وإنجازاته المختلفة وتلك الإمبراطورية التى كونها ومركزه الشخصي ومصير أسرته من بعده معلق على إرادة السلطان ولا سبيل إلى ضمانه إلا بقبول الأخير منح مصر وضعاً خاصاً داخل الدولة العثمانية يتيح لمحمد على قدر أكبر من الحركة على الصعيدين الإقليمي والدولي .

وقد فكر محمد على أن يقيم هذا الكيان الخاص خارج إطار الدولة العثمانية فيستقل عنها ، ويخلص نفسه من القيود التى تربطه بها ، وبذلك يسلم بملكه من مصير هذه الدولة الضعيفة العاجزة أمام الضغط الأوروبي ، ويستطيع أن يتابع فى

(دولتـه) إصـلاحاته الاقتصـادية والإداريـة والعسـكرية ، دون أن تقيـده بتبعيـة لسلطان، أو جزية يؤديها لدولة تمارس حق السـيادة عـلى (أملاكـه) فـإن حالـت الظروف الدولية دون تحقيق هذا الاستقلال سعى الباشا إلى أن ينـال هـذا الكيـان الخاص داخل الدولة ويعني ذلك أن يظل معترفاً بسيادة الدولة العثمانية الإسـمية على البلاد المنضوية تحت لواء حكمه ، على أن يكون الحكم فى (دولته) وراثياً فى أسرته ويمنحه الباب العالي الضمانات الكافية لبقـاء حكـم تلـك الـبلاد فى أسـرته واستقلاله بإدارتها .

وكان محمد على يدرك أن بقاء مصر عضـواً فى المجموعـة التـى تتـألف منهـا الدولة العثمانية لا يخلو من مزايا ، بل قد ترجح هذه المزايا ما عداها ، لأن الدول العثمانية لم تحتفظ بكيانها إلى ذلك الوقت إلا بفضل عدم إتفاق الـدول الأوروبيـة جميعاً على اقتسامها ونتج عن ذلك إقرار المبدأ الذي ظل من المبادئ الأساسـية في سياسة دول غرب أوروبا ، وهـو ضـمانة الـدول لسـلامة ووحـدة أمـلاك الدولـة العثمانية ومصر – باعتبارها ولاية عثمانية – تستطيع أن تستفيد من هـذه الضـمانة العامة .

الاصطدام بالسياسة الأوروبية

وقد ظل محمد على حريصاً – طوال حكمه – على عـدم الاصـطدام بالسياسـة الأوروبية ، أو بقوة حربية أوربية ، فهـو لا يسـتطيع أن يسـقط مـن حسـابه الـدول الأوروبية وموقفها إزاء الدول العثمانية والشرق الأدنى عامة ومصر خاصة ، بل إنه كان يرحب بأن يتم إقرار العلاقات العثمانية – المصرية برضا من الدول الأوروبية صاحبة الشأن ، ويسعى إلى أن ينال موافقة على التسـوية النهائيـة ليتخـذ مـن هـذه الموافقة ضمانة لمصر إزاء المطامع الأوروبية من ناحية ، والتدخل العثمـاني مـن ناحية أخرى .

وكان محمد على يقدر قيمة الصداقة البريطانية وينشدها ، فقوة بريطانيا تواجهه

من أمام حيث الوجود البريطاني فى البحر المتوسط ، ومن خلف حيث الاستعمار البريطاني فى الهند والنفوذ البريطاني فى البحر الأحمر والخليج العربي . وقد نال الباشا تقدير الإنجليز – فى أعقاب حملة فريزر عام ١٨٠٧ – حين رد أسراهم وتعهد مرضاهم ، وبادر إلى الإتفاق معهم وفي عام ١٨١٠ أبرم إتفاقاً مع شركة الهند الشرقية تعهد فيه بأن يحمي القوافل التى تجتاز مصر ، وبألا تجبي رسوماً على المسافرين من الإنجليز الذين يمرون بمتاعهم الشخصي وبأن يظل قائماً على حماية الرعايا والممتلكات البريطانية إذا قامت الحرب بين بريطانيا والدولة العثمانية وفي أثناء حرب المورة أظهر محمد على رغبته فى أن ينال صداقة بريطانيا، فانسحب من المورة أملاً أن ينال بذلك تقديرها ، فتعينه على زيادة حجم أسطوله ، ولا تعارض توسعه فى بلاد العرب ، وتوافق على استقلاله عن الدولة العثمانية .

محمد على وموقفه من الإنجليز وفرنسا

وقد كادت هذه السياسة أن تؤدي إلى الصدام بين الإنجليز ومحمد على الذي احتل – وقتاً ما – موقعاً على الفرات ، ومد سلطانه نحو الخليج العربي ومدخل البحر الأحمر ، وخضعت له الحسا والقطيف ، وانتصرت قواته فى عسير ، واحتل – لفترة قصيرة – عدن ، وزاد محمد على من توجس الإنجليز منه عندما بادل شاه فارس شعائر الود . ولكن الحكومة البريطانية نجحت فى وضع حد لتوسع محمد على فى مناطق كانت تعدها من مناطق نفوذها .

هذه العوامل كلها – مضافاً إليها الخوف من تهديد السلم الأوروبي – جعلت بريطانيا تتمسك بسياستها التقليدية الرامية إلى المحافظة على سلامة الدولة العثمانية ، فردت قوة محمد على إلى داخل مصر ذاتها .

أما فرنسا ، فكانت تنظر إلى الدولة العثمانية نظرة أخرى : فقد أقدمت على احتلال مصر (١٧٩٨) ، ثم عادت فاحتلت الجزائر (١٨٣٠) ، ولم تتورع عن إرسال أحد وزرائها المفوضين إلى الإسكندرية رأسا وقدمت لمحمد على بعثة

عسكرية ، وعرض عليه الماليون الفرنسيون قرضاً ، وبادل الباشا الفرنسيين أقـوى صلات الود : فأحسن معاملة الفرنسيين فى حكومته ، واسـتعان بـاللوائح والـنظم الفرنسية فى التعليم والجيش ، وأوفد إلى فرنسا أكثر الطلاب ولكـن فرنسـا كانـت مترددة فى سياستها الشرقية وكانت تخشى – كبريطانيا – أن يهـدد توسـع محمـد على السلم الأوروبي ، ويهيئ لروسيا الفرصة لبسط سيطرتها على الدولة العثمانية . ولهذا كانت السياسة الفرنسية تميـل إلى حـل النـزاع بـين محمـد عـلى والسـلطان بالاتفاق والتراضي ، وليس هنـاك مـا يحـول دون أن يـتم الإتفـاق بـين الطـرفين مباشرة ، ومواجهة الدول بذلك .

وتزعمت بريطانيا مجمع الدول ، وأعلنت معاهدة لندن (يوليو ١٨٤٠) التـى قامت على مبدأ المحافظة على الدولة العثمانية ، مع إعطاء مصر مركـزاً يقـل كثيـراً عما كان يتطلع إليـه محمـد عـلى ، ولكنـه يمتـاز عـن مركـز الولايـات العثمانيـة الأخرى، فأعطـت محمـد عـلى حكـم مصـر وراثيـاً فى أسـرته ، وجنـوب الشـام (فلسطين) مدى حياته ، فإذا رفض ذلك فى مدة عشرة أيـام نزعـت منـه الأراضـي الشامية ، وإذا استمر فى الرفض مـدة عشـرة أيـام أخـرى نزعـت منـه مصـر أيضـاً وأعانت الدول السلطان على إخضاعه .

ورفض محمد على هذه التسوية التى اتخذت طابع إنذار ، على أمـل أن ينفـرط عقد التحالف الأوروبي ، وأن تتحرك فرنسـا لتأييـده ، ولكـن لـوي فيليـب ملـك فرنسا كان يخشى التورط فى الحـرب ، فلـم تخـرج حكومتـه عـلى إجمـاع الـدول وحوصرت السواحل المصرية ، وإنهار الحكم المصري فى الشام ، وانتهى الأمـر بقبول محمد على حكم مصر الوراثي ، وأصدر السلطان الفرمان المعـدل (يونيـو ١٨٤١) المؤسس على معاهدة لندن .

وأكدت التسوية النهائية أن مصـر جـزء مـن الدولـة العثمانيـة ، تسـري عليهـا قوانينها ومعاهداتها مع الدول ، وأن جيش مصر جزء من جيش السلطان ، وأنـه لا

يجوز لوالي مصر أن يبنى سفنا حربية إلا بموافقة السلطان ومنحت التسوية حكم مصر وراثياً لأسرة محمد على وبذلك لم يبق لمحمد على سوى حق التصرف فى موارد البلاد وفق ما يراه ، بعد أن يؤدي الجزية المفروضة على مصر للدولة العثمانية .

وقد ظلت التسوية – فى أساسها – قائمة حتى ١٨ ديسمبر ١٩١٨ ، عندما انتهت – من الناحية الفعلية – السيادة العثمانية على مصر بإعلان الحماية البريطانية ، فيما عدا بعض التعديلات التى وسعت حقوق والي مصر والتى نالها الخديوي إسماعيل أما من الناحية القانونية ، فقد ظلت تلك التسوية تحدد علاقة مصر بتركيا حتى تنازلت الأخيرة عن سيادتها على مصر فى مؤتمر لوزان عام ١٩٢٣ »[١].

- **ويبقى السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح :**

لماذا لم يتول السيد عمر مكرم ورفاقه حكم مصر بدلاً من ترشيح محمد على والياًبعد أن طالت سنوات حكم الآخرين ، وصعود نجم المقاومة الشعبية بعد جلاء الفرنسيين ؟

وللإجابة على هذا السؤال أوجز وجهة نظري فيما يلي:

١. أن هذا التصرف كان يمثل خروجاً عن الدور التقليدي الذى ظل زعماء الشعب يقومون به كوسطاء بينهم وبين الحكام لرفع المظالم عنهم .

٢. لم تكن السنوات الثلاثة التى قضاها المحتل الفرنسي فى مصر مدة كافية لتهيئتهم للعب دور مختلف (الفترة بين ١٧٩٨-١٨٠١م) .

٣. أن العثمانيين والمماليك ظلوا أصحاب القوة العسكرية يحملون السلاح حتى بعد خروج المحتل الفرنسي من مصر ، بينما المصريون متجردون منه .

(١) مجلة الهلال الشهرية – عدد أكتوبر ١٩٩٨ – دراسة.

٤. لم يتعود المصريون على تولى المناصب الإدارية ، يدعم هذا أنهم لم يأخذوا مأخذ الجد نظام الديوان الذي أشركهم فيه نابليون والذي توسع فيه مينو .

كما يؤكد ذلك الجهد الذي بذله نابليون لإقناع المصريين بتولى أحد مشايخهم منصب القضاء بعد هروب القاضي التركي خارج البلاد .

٥. كانت الإرادة المصرية التى اختارت الباشا كواحد من المتصارعين على الحكم من النخبة العسكرية العثمانية تعبر عن رفضها للظلم وتستهدف الأعدل والأصلح ، وليس استقلالاً سياسياً عن دولة الخلافة العثمانية.

٦. اعتاد المواطن المصري منذ فجر التاريخ على التعامل مع النيل انتظارا للفيضان ، ومع الأرض انتظاراً لنمو المحصول ، ومع السماء تضرعاً ودعاءً لخالقه وشكراً على نعمه ، ولا يلقي بالاً بمن يحكم قريته أو إقليمه أو وطنه ، ما دام أنه يشعر بالأمن والأمان.

تقييم رؤية ومشروع الباشا :

هناك شخصيات تمر فى التاريخ من دون أن تترك أثراً يذكر أو محدود التأثير ، وهناك شخصيات يتوقف عندها التاريخ طويلاً .

من هؤلاء شخصية الباشا ، يعود المصريون اليوم إلى تلك الفترة من حياة وطنهم بشغف كبير ، وكأنما ليعيدوا الاعتبار لأحد بناة دولتهم الحديثة .

كما يحق للتاريخ بجميع مراحله الوقوف بإعزاز وإكبار أمام تلك الشخصية المصرية روحاً وفكراً ، رغماً عن كونها ليست مصرية جنساً ودماً ، هذه هي شخصية الباشا الذي أخذ بيد مصر عبر بوابة التاريخ الحديث والمعاصر .

تعتبر إنجازاته تفوق كل إنجازات الرومان والروم والبيزنطيين والمماليك والعثمانيين وذلك لأنه كان طموحاً بمصر ومحدثاً لها ومحققا لوحدتها الكيانية وجاعلا المصريين بشتى طوائفهم مشاركين فى تحديثها والنهوض بها معتمداً على

الخبراء الفرنسيين ، كما أنه كان واقعياً عندما أرسل البعثات لفرنسا واستعان بها وبخبراتها التى اكتسبتها من حروب نابليون ، وهو لم يغلق أبواب مصر بل فتحها على مصاريعها لكل وافد ، وانفتح على العالم ليجلب خبراته لتطوير مصر ، ولأول مرة أصبح التعليم منهجياً فأنشأ المدارس التقنية ليلتحق خريجوها بالجيش ، وأوجد زراعات جديدة كالقطن وبني المصانع واعتنى بالري وشيد القناطر الخيرية على النيل عند فمي فرعي دمياط ورشيد .

وعندما استطاع القضاء على المماليك ربط القاهرة بالأقاليم ووضع سياسة تصنيعية وزراعية موسعة ، وضبط المعاملات المالية والتجارية والإدارية والزراعية لأول مرة في تاريخ مصر ، وكان جهاز الإدارة أيام الباشا يهتم بتحصيل الأموال الأميرية وتعقب المتهربين من الضرائب وإلحاق العقاب الرادع بهم ، وكانت الأعمال المالية يتولاها الأرمن ، والصيارفة كانوا من الأقباط والكتبة من الترك وذلك لأن الرسائل كانت بالتركية ، وكان حكام الأقاليم وأعوانهم يحتكرون حق إلتزام الأطيان الزراعية وحقوق امتيازات وسائل النقل فكانوا يمتلكون مراكب النقل الجماعي فى النيل والترع بما فيها المعديات .

أدرك الباشا أن ثروة البلاد والمحافظة على كيانها المالي من أكبر دعائم الاستقلال، لأن العمران مادة التقدم ، والثروة الأهلية قوام الاستقلال المالي ، ولا يتحقق الاستقلال السياسي مالم يدعمه الاستقلال المالي والاقتصادي ، لذلك كان أول ما هدف إليه فى سياسته إصلاح حالة البلاد الإقتصادية ، وإنشاء أعمال العمران لتنمو ثروتها القومية ، وتتوافر الأموال اللازمة للتسليح وإنشاء المصانع وغيرها .

وقد تولى الباشا بنفسه تنفيذ هذه السياسة الحكيمة ، بعزيمة حديدية ، وبذل فى ذلك جهوداً جبارة حتى خلف أعمالاً ومنشآت يزدان بها تاريخه ، فشملت البلاد موجة من النهوض الزراعي كفلت لها الرخاء والأموال الطائلة التى أمكن بفضلها

الاحتفاظ بقوات عسكرية كبيرة .

ألسنا نلمس بوضوح وجلاء عبقرية الباشا الفذة ، التى أضحى الجيش المصري بفضلها أكبر دعامة لاستقلال البلاد ؟ وأنه ليكفينا أن نعلم أن تعداد الجيش فى عام ١٨٣١ بلغ ٧٠.٠٠٠ مقاتل ، ثم بلغ فى عام ١٨٣٣ حوالي ١٩٤.٠٣٢ مقاتل بينهم ٢٥.١٤٣ من البحارة وعمال الترسنات البحرية ، وفي عام ١٨٣٩ زاد إلى ٢٣٦ ألف مقاتل .

بعد انسحاب الجنود المصرية من بلاد الشام وفصل الأخيرة عن مصر وعودتها لربوع الدولة العثمانية بدعم دولي كبير، وبعدما تبيّن أن فرنسا ليست مستعدة لخوض حرب في سبيل مصر أو واليها، أصيب الباشا بحالة من جنون الارتياب، وأصبح مشوش التفكير شيئًا فشيئًا، ويُعاني من صعوبة في التذكّر، ومن غير المؤكد إن كان هذا نتيجة جهده الذهني خلال حروب الشام، أو حالة طبيعية نتيجة تقدمه بالسن، أو كان تأثير نترات الفضة التي نصحه أطباؤه بتعاطيها منذ زمن لعلاج نفسه.

ما زاد حالة الباشا سوءًا كانت المصائب التي حلّت بمصر وعليه شخصيًا في أواخر عمره، ففي سنة ١٨٤٤ تبيّن لرئيس الديوان المالي شريف باشا، أن ديون الدولة المصرية قد بلغت ٨٠ مليون فرنك، وأن المتأخرات الضريبية قد بلغت ١٤.٠٨١.٥٠٠ قرشًا من الضريبة الإجمالية المقدرة بحوالي ٧٥.٢٢٧.٥٠٠ قرش، وتخوّف شريف باشا من عرض الموضوع عليه لما قد يكون له من وقع شديد على صحته، فعرض المسألة على إبراهيم باشا الذي اقترح أن تقوم أحب شقيقاته إلى والده بنقل الخبر، إلا أن ذلك لم يكن له الأثر المرجو، فقد فاق غضب الباشا ما توقعه الجميع، ولم يهدأ باله ويستكين خاطره إلا بعد مرور ستة أيام.

بعد عام من هذه الحادثة، أصيب إبراهيم باشا بالسل، واشتد عليه داء المفاصل، وأخذ يبصق دمًا عند السعال، فزاد ذلك من هموم الباشا وحزنه،

فأرسل ولده إلى إيطاليا للعلاج، على الرغم من أنه أدرك في قرارة نفسه أن ولـده في عداد الأموات، ويتضح ذلـك جليًـا ممـا قالـه للسـلطان عنـدما زار الآسـتانة في سنة ١٨٤٦ ، حيث عبّر عن خوفه من ضياع إنجازاتـه بسـبب عـدم كفـاءة أحفـاده لتحمّل مسؤولية البلاد والعباد، فقال :«ولدي عجوزٌ عليل، وعبّاس متراخ كسول، من عساه يحكم مصر الآن سوى الأولاد، وكيف لهؤلاء أن يحفظوها؟ » بعد ذلك عاد الباشا إلى مصر وبقي واليًـا عليهـا حتـى اشـتدت عليهالشـيخوخة، وبحلـول عام ١٨٤٨ كان قد أصيب بالخرف وأصبح توليه عرش الدولـة أمـرًا مسـتحيلاً، فعزله أبناؤه وتولّى إبراهيم باشا إدارة الدولة.

إن أكثر النظريات السائدة عند المؤرخين وفي الأوساط العامّة، هي تلـك التـي تقول أن الباشا هو « مؤسس مصر الحديثـة»، لكونـه كـان الحـاكم الأول عليهـا، والذي استطاع تجريد الباب العالي مـن سـلطته الفعليّـة عـلى الـبلاد، منـذ الفـتح العثماني لمصر عام ١٥١٧ ،وعلى الرغم من أنـه فشـل في تحقيـق الانفصـال التـام لمصر عن الدولة العثمانية، إلا أنه وضع أسـس الدولـة المصـرية الحديثـة، التـي تبلورت بعد وفاته ، فمن خلال بنائه لجيش كبير وقوي يُدافع عـن بـلاده ويوسـع رقعتهـا، وإنشـاء بيروقراطيـة مركزيـة ونظـام تعليمـي سـمح بحصـول حـراك اجتماعي في المجتمـع المصـري، وقاعـدة اقتصـادية واسـعة تسـتند إلى الزراعـة والصناعات العسكرية ، وقد كان من شأن جهوده وأعمالـه هـذه أن توطّـد حكـم ذريته لمصر والسودان طيلـة ١٥٠ عامًـا تقريبًـا، كانـت مصـر فيهـا دولـة تتمتـع باستقلال ذاتي قانوني في ظل الدولة العثمانية، ثم في ظل الحماية البريطانية.

ومع ذلك يبقى الباشا ملقبـاً بـالعزيز أو عزيـز مصـر مؤسسـاً للأسـرة العلويـة وحاكماً لمصر ما بين عامي ١٨٠٥ إلى ١٨٤٨ وصـفه المؤرخـون بأنـه « مؤسـس مصر الحديثة » ، ووصفه « جيلبرت سينويه » بأنه الفرعون الأخيـر فى كتابـه الـذي يحمل نفس العنوان .

استطاع أن يعتلي عرش مصر عام ١٨٠٥ بعد أن بايعه أعيان البلاد ليكون والياً عليها ، بعد أن ثار الشعب على سلفه خورشيد باشا ، ومكنه ذكاؤه واستغلاله للظروف المحيطة به من أن يستمر فى حكم مصر لكل تلك الفترة ، ليكسر بذلك العادة العثمانية التى كانت لا تترك والياً على مصر لأكثر من عامين .

خاض محمد على في بداية فترة حكمه حرباً داخلية ضد الإنجليز والمماليك إلى أن خضعت له مصر بالكلية ، ثم خاض حروباً بالوكالة عن الدولة العثمانية فى جزيرة العرب ضد الوهابيين وضد الثوار اليونانيين على الحكم العثماني فى المورة، كما وسع دولته جنوباً بضمه للسودان وبعد ذلك تحول لمهاجمة الدولة العثمانية حيث حارب جيوشها فى الشام والأناضول ، وكاد يسقط الدولة العثمانية لولا تعارض ذلك مع مصالح الدول الغربية التى أوقفت الباشا وأرغمته على التنازل عن معظم الأراضي التى ضمها .

إن الذين شوهوا تجربة الباشا واتهموه بالرغبة فى إنشاء إمبراطورية شخصية لم يفهموا التجربة فى إطارها الموضوعي والزمنى الخاص ببناء القوة الذاتية ، والذي جعل القوى الأوروبية بالاتفاق مع السلطان العثماني تقوض نفوذه فى عام ١٨٤٠م .خلال فترة حكم الباشا استطاع أن ينهض بمصر عسكرياً وتعليمياً وصناعياً وزراعياً وتجارياً وأن يستقل بقرارها ، مما جعل من مصر دولة ذات ثقل كبير في تلك الفترة ، إلا أن حالتها تلك لم تستمر بسبب ضعف خلفائه وتفريطهم فيما حققه من مكاسب بالتدريج إلى أن سقطت دولته فى ١٨ يونيو سنة ١٩٥٣م ، بإلغاء الملكية وإعلان الجمهورية فى مصر .

الفصل الثاني

الزعيم



نشأته

- ولد الزعيم في ١٥ يناير ١٩١٨ م في حي باكوس بمحافظة الإسكندرية .

- رغم ولادته في الوجه البحري إلا أنه يعود لأصول صعيدية، حيث تعود أصول أبيه لقرية بني مر بمحافظة أسيوط ، كما ولدت أمه السيدة فهيمة حماد في قرية ملوي بمحافظة المنيا.

- الزعيم هو أكبر إخوته، وكان له ثلاث إخوة أشقاء هم عز العرب والليثي وشوقي.

- طفولة الزعيم مليئة بالتنقلات في ثنايا الوطن مما كان له دور فى تشكيل شخصيته الوطنية، فقد انتقل للعيش في أكثر من مدينة مما أدى لالتحاقه بأكثر من مدرسة في مرحلته الإبتدائية، فقدالتحق بمدرسة الخطاطبة الإبتدائية لمدة عامين ١٩٢٣م و١٩٢٤م ، ثم انتقل بعد ذلك للعيش مع عمه خليل حسين بحي الجمالية بمحافظة القاهرة، فالتحق بمدرسة النحاسين لثلاثة أعوام من ١٩٢٥ م حتى ١٩٢٨م.

- توفيت أمه عام ١٩٢٦م بعد أن وضعت أخاه الأصغر شوقي بيوم واحد ، لم يخبره أحد بذلك حتى ذهب لزيارة أسرته في العطلة الصيفية فعلم بالأمر.

- إلتحق الزعيم بمدرسة العطارين بالإسكندرية عام ١٩٢٨م بعد أن أرسله والده للعيش مع جده لأمه.

- إلتحق بعد ذلك بمدرسة حلوان الثانوية الداخلية عام ١٩٢٩م ليقضي بها عاما واحداً ينتقل بعده لمدرسة رأس التين بالإسكندرية عام ١٩٣٠م بعد انتقال والده للعمل هناك.

***

على أبواب الحياة السياسية :

• جاء دخول الزعيم عالم السياسة من قبيل الصدفة البحتة، فقد رأى مظاهرة في ميدان المنشية بالإسكندرية فانضم إليها دون أن يعرف مطالبها، علم بعد ذلك أنها من تنظيم جمعية مصر الفتاة، وكانت تندد بالتدخل الأجنبي في شؤون مصر بعد قيام إسماعيل صدقي رئيس الوزراء آنذاك بإلغاء دستور ١٩٢٣م، ألقي القبض عليه ليقضي ليلة في الحجز.

• عام١٩٣٣م انتقل والده إلى القاهرة وهو معه ليلتحق بعد ذلك بمدرسة النهضة الثانوية بحي الظاهر.

• نما نشاطه السياسي منذ ذلك الحين، ففي ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ قاد الزعيم مظاهرة تندد بتدخل بريطانيا في شؤون مصر، أصيب في هذه المظاهرة.

تكوين شخصيته وتشكيل وجدانه :

• كان لانتقال الزعيم مع والده عام ١٩٣٣م أثر كبير في تكوين شخصيته، فقد سكن بجوار دار الكتب والوثائق القومية مما ساعده على قضاء معظم وقته في القراءة، فقد قرأ سيرة الرسول ﷺ والصحابة الكرام، كما قرأ السيرة الذاتية للعديد من زعماء العالم مثل نابليون وأتاتورك وغيرهم.

• أيضاً تأثر الزعيم بفكرة القومية العربية بشدة التي اعتنقها كثير من الكتاب والأدباء والساسة في ذلك الوقت.

• كما تأثر بشدة برواية عودة الروح للكاتب توفيق الحكيم، فكانت بداية إلهام الزعيم لثورة ١٩٥٢.

• وفي ١٩٣٥ م فى حفل مدرسة النهضة الثانوية لعب الزعيم دور « يوليوس قيصر » بطل تحرير الجماهير فى مسرحية « شكسبير » في حضور وزير المعارف فى ذلك الوقت .

قراءاته ونشاطه السياسي المبكر:

تعددت قراءاته لتشمل المؤلفات العربية والإنجليزية ، وهو طالب بالكلية الحربية فى سنتى ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ ... وقد سجل قائمة ببعض تلك الكتب الكاتب السويسري جورج فوشيه فى كتابه « جمال عبد الناصر ورفاقه » ونشرتها مجلة الهلال فى عددها الصادر فى ١/ ١١/ ١٩٧٠م .

وقد انضم الزعيم في هذا الوقت إلى وفود الطلبة التي كانت تسعى إلى بيوت الزعماء تطلب منهم أن يتحدوا من أجل مصر، وقد تألفت الجبهة الوطنية سنة ١٩٣٦ بالفعل على أثر هذه الجهود.

إلا أن اتحاد الزعماء السياسيين على كلمة واحدة كان فجيعة لإيمان الزعيم، على حد تعبيره في كتاب «فلسفة الثورة»، فإن الكلمة الواحدة التي اجتمعوا عليها كانت معاهدة ١٩٣٦ م التي قننت الاحتلال، فنصت على أن تبقى في مصر قواعد عسكرية لحماية وادي النيل وقناة السويس من أي اعتداء، وفى حال وقوع حرب تكون الأراضي المصرية بموانيها ومطاراتها وطرق مواصلاتها تحت تصرف بريطانيا، كما نصت المعاهدة على بقاء الحكم الثنائي في السودان.

وكان من نتيجة النشاط السياسي المكثف للزعيم في هذه الفترة الذي رصدته تقارير البوليس أن قررت مدرسة النهضة فصله بتهمة تحريضه الطلبة على الثورة، إلا أن زملاءه ثاروا وأعلنوا الإضراب العام وهددوا بحرق المدرسة فتراجع ناظر المدرسة في قراره.

ومنذ المظاهرة الأولى التي اشترك فيها الزعيم بالإسكندرية شغلت السياسة كل وقته، وتجول بين التيارات السياسية التي كانت موجودة في هذا الوقت فانضم إلى مصر الفتاة لمدى عامين، ثم انصرف عنها بعد أن اكتشف أنها لا تحقق شيئاً، كما كانت له اتصالات متعددة بالإخوان إلا أنه قد عزف عن الانضمام لأي من

الجماعات أو الأحزاب القائمة لأنه لم يقتنع بجدوى أي منها ، فلم يكن هناك حزب مثالي يضم جميع العناصر لتحقيق الأهداف الوطنية.

في المرحلة الثانوية بدأ الوعي القومي يتسلل إلى تفكيره، فكان يخرج مع زملائه كل عام في الثاني من شهر نوفمبر احتجاجاً على وعد «بلفور» الذي منحت به بريطانيا لليهود وطناً في فلسطين على حساب أصحابه الشرعيين.

أما عن مؤلفاته والتى نشرت خلال فترة حياته :

- يومياته عن حرب فلسطين ١٩٥٥ نشرت فى آخر ساعة .
- فلسفة الثورة ١٩٥٥ نشرتها دار المعارف
- فى سبيل الحرية ١٩٥٩ تولت نشرها الشركة العربية ، حيث صاغها الكاتب عبد الرحمن فهمي.

ويضيف الدكتور جمال شقرة رؤيته عن التكوين الفكري للزعيم (أن عبد الناصر انفتح على كل الأيديولوجيات والتيارات السياسية التى عاصرها سواء فى مرحلة الدراسة أم بعد وصوله إلى السلطة ، وسواء كانت وطنيته برجوازية ، أم أصولية إسلامية ، أم فاشية إيطالية ونازية ، فضلاً عن الماركسية بطروحاتها العديدة ، وبديهي أن هذه الأيديولوجيات متناقضة بطبيعتها ، لكن (عبد الناصر) حاول أن يقفز فوق التناقضات ، كما حاول صهرها على أرض الواقع السياسي المصري والعربي ، للإستفادة منها كلما كان ذلك ممكنا ومناسباً لظروف بلاده)[(١)] .

تطورات حياته العسكرية ونشاطه مع الضباط الأحرار وزواجه :

- لم يكن التحاق الزعيم بالكلية الحربية أمراً سهلاً خاصة بعدما ذاع صيته كمناضل وسجل اسمه في العديد من محاضر الشرطة .

(١) مصادر التكوين الفكري لقائد ثورة ٢٣ يوليو١٩٥٢ جمال عبد الناصر أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر – جامعة عين شمس.

- تقدم الزعيم بطلب للالتحاق بالكلية الحربية لكنه رفض نتيجة لماضيه السياسي .
- التحق بعد ذلك بكلية الحقوق لكنه ما لبث أن تركها بعد فصل دراسي واحد ليتقدم من جديد بطلب التحاق للكلية الحربية .
- في مارس ١٩٣٧ استطاع مقابلة إبراهيم خيري باشا وزير الحربية آنذاك واستطاع اقناعه بالموافقة على طلبه .
- تعرف الزعيم على رفيقي دربه محمد أنور السادات وعبد الحكيم عامر اللذين أصبحا نائبيه حين أصبح رئيساً للجمهورية .
- تخرج الزعيم من الكلية الحربية بعد ١٧ شهراً فى يوليو ١٩٣٨ .
- عام ١٩٤١ طلب نقله للسودان وقد كانت جزءًا من مصر آنذاك وفي نهاية عام ١٩٤١ بينما كان « روميل » يتقدم نحو الحدود المصرية الغربية عاد الزعيم إلى مصر ونقل إلى كتيبة بريطانية تعسكر خلف خطوط القتال بالقرب من العلمين .
- وأثناء وجوده فى العلمين جرت أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ حينما توجه السفير البريطاني – السير مايلز لامسبون » – ليقابل الملك فاروق بسراي عابدين فى القاهرة بعد أن حاصر القصر بالدبابات البريطانية ، وسلم الملك إنذاراً يخيره فيه بين إسناد رئاسة الوزراء إلى مصطفى النحاس مع إعطائه الحق فى تشكيل مجلس وزراء متعاون مع بريطانيا وبين الخلع ، وقد سلم الملك بلا قيد ولا شرط.
- رُقى جمال عبد الناصر إلى رتبة اليوزباشي (نقيب) فى ٩ سبتمبر ١٩٤٢ وفى ٧ فبراير ١٩٤٣ عين مدرساً بالكلية الحربية .
- وفي ١٩ يونيو ١٩٤٤ تزوج جمال عبد الناصر من تحية محمد كاظم – ابنة تاجر إيراني - كان قد تعرف على عائلتها عن طريق عمه خليل حسين ، وقد أنجب

ابنتيه هدى ومنى وثلاثة أبناء هم خالد وعبد الحميد وعبد الحكيم .

• تم قبوله فى كلية الأركان العامة فى نفس العام ، ثم بدأ حينها فى تشكيل ما عرف بالضباط الأحرار فيما بعد .

• وعقب صدور قرار تقسيم فلسطين فى سبتمبر ١٩٤٧ عقد الضباط الأحرار اجتماعاً واعتبروا أن اللحظة جاءت للدفاع عن حقوق العرب ضد هذا الانتهاك للكرامة الإنسانية والعدالة الدولية واستقر رأيهم على مساعدة المقاومة فى فلسطين.

• وفي اليوم التالي ذهب الزعيم إلى مفتى فلسطين الذي كان لاجئاً يقيم فى مصر الجديدة فعرض عليه خدماته وخدمات جماعته الصغيرة كمدربين لفرقة المتطوعين وكمقاتلين معها ، وقد أجابه المفتي بأنه لا يستطيع أن يقبل العرض دون موافقة الحكومة المصرية ، وبعد بضعة أيام رفض العرض فتقدم بطلب إجازة حتى يتمكن من الإنضمام إلى المتطوعين ، لكن قبل أن يبت فى طلبه أمرت الحكومة المصرية الجيش رسمياً بالاشتراك فى الحرب ، فسافر الزعيم إلى فلسطين فى ١٦ مايو ١٩٤٨م بعد أن كان قد رقي إلى رتبة صاغ (رائد) فى أوائل عام ١٩٤٨م.

• لم يكن الجيش المصري مستعداً للحرب حينها فهزم فى مواجهة الجيش الإسرائيلي وانتهى الأمر بالزعيم وفرقته محاصرين فى الفالوجه لكنهم رفضوا الاستسلام ، بعدها تم التوصل لاتفاق هدنه التى فرضتها الأمم المتحدة فى ٢٤ فبراير ١٩٤٩ ، وقد جرح جمال عبد الناصر مرتين أثناء حرب فلسطين ونقل إلى المستشفى ، ونظراً للدور المتميز الذي قام به خلال المعركة فإنه منح نيشان (النجمة العسكرية) في عام ١٩٤٩.

• استضافت المطربة أم كلثوم احتفال الجمهور بعودة الضباط رغم تحفظات الحكومة الملكية ، التى كانت قد تعرضت لضغوط من قبل الحكومة

البريطانية لمنع الاستقبال ، وزاد ذلك من عزم الزعيم على الإطاحة بالملكية .

• وبعد عودته من فلسطين عين الزعيم مدرساً فى كلية أركان حرب التى كان قد نجح في امتحانها بتفوق في ١٢ مايو ١٩٤٩ وبدأ من جديد نشاط الضباط الأحرار وتألفت لجنة تنفيذية بقيادته ، وتضم كمال الدين حسين وعبد الحكيم عامر وحسين إبراهيم وصلاح سالم وعبد اللطيف البغدادي وخالد محيي الدين وأنور السادات وحسين الشافعي وزكريا محيي الدين وجمال سالم ، وهي اللجنة التى أصبحت مجلس قيادة الثورة فيما بعد عام ١٩٥٠م ، ١٩٥١م .

• وفي ٨ مايو ١٩٥١ رقى الزعيم إلى رتبة البكباشي (مقدم) وفي نفس العام اشترك مع رفاقه من الضباط الأحرار سراً فى حرب الفدائيين ضد القوات البريطانية فى منطقة القناة التي استمرت حتى بداية ١٩٥٢ ، وذلك بتدريب المتطوعين وتوريد السلاح الذي كان يتم فى إطار الدعوة للكفاح المسلح من جانب الشباب من كافة الاتجاهات السياسية والذي كان يتم خارج الإطار الرسمي .

• لم يعرف أحد جميع الأعضاء ، ومكانهم فى التسلسل الهرمي لتنظيم الضباط الأحرار باستثناء الزعيم وكان يرى أن الضباط الأحرار لم يكونوا على استعداد للتحرك ضد الحكومة ، وظل نشاطه مقتصراً لمدة تقارب العامين على تجنيد الضباط ونشر المطبوعات السرية .

• في أكتوبر سنة ١٩٥١ م ، ألغت حكومة الوفد بقيادة النحاس باشا المعاهدة البريطانية المصرية لعام ١٩٣٦م ، والتى أعطت السيطرة لبريطانيا على قناة السويس حتى سنة ١٩٥٦م فقرر الزعيم حينها شن « حملة اغتيالات على نطاق واسع ، وفي يناير عام ١٩٥٢م ، حاول الزعيم وحسن إبراهيم قتل حسين سري عامر ببنادقهم الرشاشة ، بينما كان يقود سيارته فى شوارع القاهرة ، وبدلاً من قتل الضابط ، أصاب المهاجمون امرأة مارة بريئة ، وذكر الزعيم أنه بكي لذلك ، وجعله

هذا الأمر يعدل عن رأيه .

- كان حسين سري عامر مقرباً من الملك فاروق ، ورشح لرئاسة نادي الضباط وكان الزعيم مصمماً على استقلال الجيش عن النظام الملكي ، وطلب من محمد نجيب الانضمام إلى الضباط الأحرار ، عن طريق عبد الحكيم عامر ، وكان محمد نجيب ضابطاً شعبياً ، قدم استقالته إلى الملك فاروق في عام ١٩٤٢م، وأصيب ثلاث مرات فى حرب فلسطين .

التطورات المحلية وقيام الثورة:

١- حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ بعد مذبحة الإسماعيلية :

حدث حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ بعد اندلاع المظاهرات فيها احتجاجاً على مذبحة رجال البوليس بالإسماعيلية التى ارتكبتها القوات البريطانية فى اليوم السابق ، والتى قتل فيها ٤٦ شرطياً وجرح ٧٢ وقد اشتعلت الحرائق فى القاهرة ، ولم تتخذ السلطات أي إجراء ولم تصدر الأوامر للجيش بالنزول إلى العاصمة ، إلا فى عصر ذلك اليوم بعد أن دمرت النار أربعمائة مبنى ، وتركت ١٢ ألف شخص بلا مأوى ، وقد بلغت الخسائر ٢٢ مليون جنيه .

٢- أزمة انتخابات نادي ضباط الجيش وتقديم موعد تحرك الجيش :

وفي ذلك الوقت كان يجري صراع سافر بين الضباط الأحرار وبين الملك فاروق فيما عرف بأزمة انتخابات نادي ضباط الجيش ، حيث رشح الملك اللواء حسين سري عامر المكروه من ضباط الجيش ليرأس اللجنة التنفيذية للنادي ، وقرر الضباط الأحرار أن يقدموا قائمة مرشحيهم وعلى رأسهم اللواء محمد نجيب للرئاسة ، وقد تم انتخابه بأغلبية ساحقة وبرغم إلغاء الانتخابات بتعليمات من الملك شخصياً ، إلا أنه كان قد ثبت للضباط الأحرار أن الجيش معهم يؤيدهم ضد الملك فقرر الزعيم – رئيس الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار – تقديم الموعد الذي كان محدداً له قبل ذلك عام ١٩٥٥ م.

٣- تحركت كتيبة من الجيش ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م بقيادة البكباشي (يوسف صديق)[١] من معسكر الهايكستب قبل الموعد المحدد لتنفيذ الخطة بساعة وتـم احتلال مبنى قيادة الجيش بكوبري القبة وإلقاء القـبض عـلى قـادة الجـيش الـذين كانوا مجتمعين لبحث مواجهة حركة الضباط الأحرار بعد أن تسرب خبـر عنهـا ، مما كان له أكبر الأثر فى نجاح الثـورة . وجـه الـزعيم بإرسـال تعزيـزات مـن أول الأجنحة التابعة للثورة لمساندة يوسف صديق ، وتحركت باقي القوات فى الموعد المتفق عليه لتنفيذ باقى الخطة..

وبعد نجاح حركة الضباط الأحرار قُدم محمد نجيب على أنه قائد الثورة ، وتم إذاعة البيان الأول صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢م[٢] وكان الضباط الأحرار قـد فـاتحوه قبلها بشهرين فى احتمال انضمامه إليهم إذا ما نجحت المحاولة .

٤- وفي ٢٦ يوليه أُجبر الملك فاروق على التنازل عن العرش لابنه أحمـد فـؤاد الثاني ومغادرة البلاد ، وفي اليوم التالي أُعيد انتخاب الزعيم رئيساً للهيئة التأسيسـية للضباط الأحرار .

٥- وفي ٩ سبتمبر ١٩٥٢ م صـدر قـانون الإصـلاح الزراعـي الأول لتحديـد الملكية الزراعية وضبط العلاقة الإيجارية بين المالـك والمسـتأجر بسـبعة أمثـال الضريبة وتحديد (المزارعة) بنصف المحصول ليتمكن الفلاحون مـن الانتفـاع الحقيقي بجزء من ناتج قوة عملهم .

- كما تقرر إلغاء الفصل التعسفي للعمال وانشـاء صـندوق للتـأمين وآخـر

(١) فى الذكرى الـ ٦٦ لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ منح الرئيس السيسي قلادة النيل لاسم البكباشي يوسف صديق وتسلمتها كريمته ليلى – تعرض الراحل للاعتقال وتحديد إقامته بعد خلافات مـع أعضـاء مجلس الثورة حول عودة الحياة النيابية ووزارة ائتلافية والديمقراطية .

(٢) ملحق رقم (٤) نص البيان الأول لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م بخط يد الصاغ أركان حرب جمـال حمـاد وتصحيح اللواء محمد نجيب .

للادخار وإصابات العمل والعجز والوفاة .

- وفي ١٧/ ٩/ ١٩٥٢م صدر أول قانون لتخفيض إيجارات المساكن بنسبة ١٥٪.

٦- وقعت حكومة الثورة اتفاق السودان بين الحكومة المصرية والحكومة البريطانية بشأن الحكم الذاتي وتقرير المصير للسودان فى ١٢/ ٢/ ١٩٥٣م ومثل الحكومة المصرية اللواء محمد نجيب.(١)

٧- وفي ١٨ يونيه ١٩٥٣ صدر قرار من مجلس قيادة الثورة بإلغاء الملكية وإعلان الجمهورية ، وبإسناد رئاسة الجمهورية إلى محمد نجيب إلى جانب رئاسته للوزارة التى شغلها منذ ٧ سبتمبر ١٩٥٢ ، أما الزعيم فقد تولى أول منصب عام كنائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية فى هذه الوزارة ، وفي الشهر التالي ترك الزعيم منصب وزير الداخلية – الذي تولاه زكريا محيي الدين – واحتفظ بمنصب نائب رئيس الوزراء .

٨- ثم بدأت بعد ذلك أحداث الشغب التى دبرتها جماعة الإخوان التى أصدر مجلس قيادة الثورة قراراً مسبقاً بحلها فى ١٤ يناير ١٩٥٤ ، (قرار المجلس بحل جماعة الإخوان المسلمين) وقد تورط أيضاً بعض عناصر النظام القديم فى هذه الأحداث.

٩- وقد تجلى الصراع داخل مجلس قيادة الثورة فى هذه الفترة فى القرارات التى صدرت عنه وفيها تراجعاً عن المضي فى الثورة :

فأولاً : ألغيت الفترة الانتقالية التى حددت بثلاث سنوات ، وتقرر في ٥ مارس ١٩٥٤ اتخاذ الإجراءات فوراً لعقد جمعية تأسيسية تنتخب بالاقتراع العام المباشر

(١) ملحق رقم (٥) اتفاق السودان بين الحكومة المصرية والحكومة البريطانية بشأن الحكم الذاتي وتقرير المصير للسودان وهو ما يؤكد عن انفصال السودان عن مصر تم بموافقة اللواء محمد نجيب وتوقيعه وليس بعد إعفائه كما يشيع البعض.

على أن تجتمع فى يوليه ١٩٥٤ وتقوم بمناقشة مشروع الدستور الجديد وإقراره والقيام بمهمة البرلمان إلى الوقت الذي يتم فيه عقد البرلمان الجديد وفقاً لأحكام الدستور الذي ستقره الجمعية التأسيسية ، وفي نفس الوقت تقرر إلغاء الأحكام العرفية والرقابة على الصحافة والنشر .

وثانياً : قرر مجلس قيادة الثورة تعيين محمد نجيب رئيساً للمجلس ورئيساً لمجلس الوزراء .

وقد انعكس هذا الصراع على الجيش ، كما حاول السياسيون استغلاله وخاصة الإخوان وأنصار الأحزاب القديمة الذين كانوا فى صف نجيب وعلى اتصال به .

١٠- وفي ١٧ أبريل ١٩٥٤ تولى الزعيم رئاسة مجلس الوزراء واقتصر محمد نجيب على رئاسة الجمهورية إلى أن جرت محاولة لاغتيال الزعيم على يد الإخوان عندما أطلق عليه الرصاص أحد أعضاء الجماعة وهو يخطب في ميدان المنشية بالإسكندرية فى ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤ ، وثبت من التحقيقات مع الإخوان أن محمد نجيب كان على اتصال بهم وأنه كان معتزماً تأييدهم إذا ما نجحوا فى قلب نظام الحكم ، وهنا قرر مجلس قيادة الثورة فى ١٤ نوفمبر ١٩٥٤ إعفاء محمد نجيب من جميع مناصبه على أن يبقى منصب رئيس الجمهورية شاغراً وأن يستمر مجلس قيادة الثورة فى تولي كافة سلطاته بقيادة الزعيم .

١١- وقع الزعيم مع بريطانيا اتفاقية الجلاء عن قاعدة القنال في ١٩ أكتوبر سنة ١٩٥٤م(١) .

١٢- وفي ١٨ يناير سنة ١٩٥٦ م ، وضعت حكومة الثورة دستوراً جديداً أعلن

(١) ملحق رقم (٦) اتفاقية الجلاء بين حكومة جمهورية مصر وحكومة المملكة المتحدة فى ١٩/ ١٠/ ١٩٥٤م.

عنه الزعيم رئيس الوزراء ورئيس مجلس قيادة الثورة فى وجود مؤتمر شعبي كبير بميدان عابدين ، وحدد يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٦ م موعداً لاستفتاء الشعب على الدستور وعلى رئاسة الجمهورية.

١٣- أسفر الاستفتاء على الدستور بنعم وانتخاب الزعيم رئيساً للجمهورية وتلك أول مرة في تاريخ مصر استفتي الشعب على الدستور وأول مرة انتخب الشعب فى استفتاء عام رئيساً لجمهورية مصر وأول مرة اشتركت فها المرأة فى الاستفتاء والانتخاب .

١٤- تأسيس الاتحاد القومي وانتخاب مجلس الأمة:

مع تعزيز موقعه الداخلي إلى حد كبير ، أصبح الزعيم قادراً على ضمان أسبقيته على زملائه فى مجلس قيادة الثورة ، واكتساب سلطة صنع القرار من دون منازع ، خاصة فى السياسة الخارجية .

نص الدستور على تأسيس نظام الحزب الواحد تحت مظلة الاتحاد القومي يفلسف الزعيم الاتحاد القومي بقوله :« إن الاتحاد القومي ليس حزباً ، وإنما هو وطن بأكمله داخل إطار واحد .. ويحقق أهداف ثورته ، كان الاتحاد القومي هو نفسه هيئة التحرير بعد إعادة تشكيلها بعد أن فشل الزعيم فى حشد المشاركة الشعبية الكبيرة فيها حاول أن يخرط المزيد من المواطنين فى الحركة الجديدة ، على أن يتم تقديم طلبات الانتساب إلى لجان شعبية مختصة توافق عليها أولاً ، وذلك فى سبيل ترسيخ الدعم الشعبي لحكومته .

وبموجب الدستور أنشئ مجلس الأمة الذي تضمن ٣٥٠ عضواً وجرت الانتخابات فى يوليو سنة ١٩٥٧ . منح الدستور حق الاقتراع للمرأة وحظر التمييز القائم على نوع الجنس ، وكفل حماية خاصة للنساء فى مكان العمل تزامناً مع الدستور الجديد ورئاسة الزعيم ، وحل مجلس قيادة الثورة .

السياسة الداخلية :

اصطدمت سياساته الخارجية والداخلية المستقلة بشكل متزايد مع المصالح الإقليمية لكل من المملكة المتحدة وفرنسا ، أدانت الأخيرة دعمه القوي لاستقلال الجزائر ، واهتاجت حكومة أنطوني إيدن فى المملكة المتحدة من حملة الزعيم ضد حلف بغداد بالإضافة إلى ذلك ، فقد أدى تمسك الزعيم بالحياد الإيجابي بشأن الحرب الباردة ، والاعتراف بالصين الشيوعية ، وصفقة الأسلحة مع الكتلة الشرقية إلى انزعاج الولايات المتحدة فى ١٩ يوليو ١٩٥٦ ، فسحبت الولايات المتحدة وبريطانيا فجأة عرضهما لتمويل بناء السد العالى ، حيث أعربتا عن خوفهما من أن الاقتصاد المصري سوف يغرق بسبب هذا المشروع .

١ -**تأميم قناة السويس** : بعد إعلان أمريكا وانجلترا سحب عرضهما المساهمة فى بناء السد العالي وانضمام البنك الدولي لهما :

في ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦م ، أعلن الزعيم القرار الجمهوري الذي قضى بتأميم الشركة العالمية لقناة السويس شركة مساهمة مصرية وانتقال جميع ما لها من أموال وحقوق وما عليها من التزامات إلى الدولة وحل جميع الهيئات واللجان القائمة وقتئذ على إدارتها وذلك بمناسبة الاحتفال بذكرى الثورة ، وهو قرار يسجل بالفخر والاعتزاز : فقد جاء قرار التأميم عقب إعلان الحكومتين : الأمريكية والبريطانية سحب عرضهما فى المساهمة فى تمويل مشروع السد العالي وانضمام البنك الدولي إلى رأيهما وفي نفس يوم التأميم صدر قرار تأليف هيئة الإدارة المصرية للقناة من ذوي الجنسية المصرية وكان إصدار قرار التأميم محوطاً بالسرية والكتمان ولم يعلم به الملأ إلا من خطبة الزعيم مساء ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ م ، وبلغ الكتمان غايته لدرجة أن الوزراء لم يعلموا به إلا قبل إلقاء الخطبة بساعة[١] .

---

(١) ملحق رقم (٧) قرار رئيس الجمهورية بالقانون رقم ٢٨٥ لسنة ١٩٥٦م بتأميم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية شركة مساهمة مصرية ونشر بالوقائع المصرية يوم الخميس الموافق ٢٦/ ٧/ ١٩٥٦م العدد (٦٠).

٢- الضغوط التى واجهت الزعيم بعدوان ثلاثي (انجلترا وفرنسا واسـرائيل) ومساندة الشعب المصري والعربي له :

إذا كان الشعب المصري والعربى استقبل القرار بكل غبطة وسرور وابتهـاج ، فإن الدول الغربية لم يكن موقفها كذلك وهدفت إلى الضغط السياسي والاقتصادي والعسكري على مصر ، للتراجع عن هذا القرار ، وقامت تلـك الـدول بتجميـد مـا لمصر من الأرصدة بهذه الدولة ووجهـوا الكثيـر مـن التهديـد والوعيـد والإنـذار لحكومة مصر ، وأعقب ذلك صدور قرار جمهوري بإنشاء جيش التحريـر الـوطني وأن يؤلف من الحرس الوطني وكتائب الشباب والمتطوعين مـن سـن ١٨ إلى ٥٠ سنة ، وتولية « كمال الدين حسين » قيادة هذا الجيش لأنه بـدأت تظهـر نيـة تلـك الدول في العدوان المسلح عـلى مصـر ، فأخـذ المواطنـون يتـدربون عـلى القتـال ويستعدون للمقاومة وأمدتهم الحكومة بالسـلاح فى أنحـاء الجمهوريـة ، وأعلـن الشعب استعداده للقتال دفاعاً عن القناة ورفضه انتزاعها منه وجعلها منطقة دوليـة وتعيين هيئة دولية لإدارتها ؛ فلجأت الدول العظمى إلى أسلوب آخر للضـغط عـلى مصر وهو سحب المرشدين الأجانب من قناة السويس لشل الحركة بهـا وتعطيـل الملاحة ؛ ولكن بقدرة المصري وإصراره استطاع إدارة دفة الأمور وأحـبط تلـك المؤامرة الاستعمارية ، الأمر الذي حدا بإسرائيل وفرنسـا وبريطانيـا إلى الهجـوم على مصر فى أكتوبر سنة ١٩٥٦ م : بـراً وبحـراً وجـواً ، ولكـن الشـعب والجـيش والقيادة فى مصر استطاعوا أن يصمدوا متكتلين مدافعين عن البلاد بـاذلين أقصـى ما لديهم من جهد فى رد العدوان ، محاولين تكبد أقل قدر من الخسائر ، وقـدمت مدن القناة أروع صورة للجهـاد والكفـاح حتـى سـلمت الـبلاد مـن هـذا الخطـر الاستعماري الخارجي ، الـذى استهدف ضـرب الثـورة والقضـاء عـلى رجالهـا ووقفت الشعوب العربية والعالم الثالث والاتحاد السوفيتي مساندة ومؤيدة لمصر.

كما أدانت أمريكا العدوان الثلاثي ، ودعمت قرارات الأمم المتحدة المطالبـة بسحب قوات الدول الثلاثة الغازية ، وأثنى الـزعيم عـلى أيزنهـاور مشـيراً إلى أنـه

لعب « أكبر الأدوار وأكثرها حسماً في وقف (المؤامرة الثلاثية) وبحلول نهاية شهر ديسمبر انسحبت القوات البريطانية والفرنسية تماماً من الأراضي المصرية فى حين أنهت إسرائيل انسحابها فى مارس ١٩٥٧ وأطلقت سراح جميع أسرى الحرب المصريين ونتيجة لأزمة السويس ، أصدر الزعيم مجموعة من اللوائح فرضت شروطاً صارمة للحصول على الإقامة والمواطنة ، والتى أثرت فى أغلبها على المواطنين اليهود المصريين والأجانب على حد سواء ، وطرد الآلاف منهم أو أجبروا على مغادرة البلاد .

يوم ٨ أبريل أعيد فتح القناة وتم تعزيز الموقف السياسي للزعيم بشكل كبير بسبب فشل الغزو ومحاولة الإطاحة به .

٣- إعلان مصر عدم التزامها بنصوص اتفاقية الجلاء :

نتيجة لذلك أعلنت مصر عدم إلتزامها بنصوص اتفاقية الجلاء المبرمة مع بريطانيا فى ١٩ أكتوبر سنة ١٩٥٤م ونجح عبد الناصر فى قلب العملية العسكرية العدوانية إلى انتصار سياسي ضخم لمصر ، وبالتالي ازداد الولاء له ولكل ما يصدر عنه.

٤- بحلول نهاية عام ١٩٥٧ ، أمم الزعيم كل ما تبقى من الشركات البريطانية والفرنسية فى مصر ، بما فى ذلك مصانع التبغ والأسمنت والأدويةوالفوسفات ، بينما لم تسفر جهوده لتقديم حوافز ضريبية وجذب الاستثمارات الخارجية عن نتائج ملموسة ، فأمم الزعيم المزيد من الشركات وجعلها جزءاً من منظومة التنمية الاقتصادية . كان ثلثا الاقتصاد لا يزال فى أيدي القطاع الخاص حينها . حقق هذا المجهود قدراً من النجاح ، مع زيادة الانتاج الزراعي والاستثمار فى التصنيع ، بدأ الزعيم إنشاء مصانع الصلب بحلوان ، والتى أصبحت فيما بعد أكبر المشاريع فى مصر ، ووفرت عشرات الآلاف من فرص العمل ومجمع الألومنيوم فى نجع حمادي وكيما فى أسوان والتوسع فى المصانع القائمة ، وقرر أيضاً التعاون مع

الاتحاد السوفيتي فى بناء السد العالي كبديل للولايات المتحدة التى سحبت تمويلها للمشروع.

٥- وضعت الثورة سياسة ثابتة من الناحية الاقتصادية أساسها التصنيع وتنمية الانتاج القومي للبلاد عامة ، ونفي المقولة الشائعة بأن مصر بلد زراعي فقط ؛ فمن أجل ذلك أنشئت وزارة الصناعة فى يوليو سنة ١٩٥٦ م فبدأ الاهتمام بتوليد الكهرباء من خزان أسوان والتوسع فى استخراج البترول وتكريره بالسويس والإسكندرية والقاهرة وإقامة صناعة الحديد والصلب فى حلوان وإقامة صناعات جديدة أخرى كالأجهزة المنزلية والسيارات والتوسع فى الصناعات القائمة كالأدوية والمنسوجات والمواد الغذائية وإنشاء المصانع الحربية التى حررت البلاد من احتكار السلاح ، مع الاهتمام بالتدريب المهني وتشجيع استثمار رأس المال الأجنبي وإصدار قوانين لتنظيم الشركات، وقد اتجهت سياسة الزعيم إلى الميل نحو الاشتراكية ، وظهر ذلك فى إصدار قوانين التأميم والتمصير للمؤسسات المالية لتعويض الشعب عن سنوات الحرمان .

٦- فى مجال الإنشاءات فلقد أقام الزعيم الكثير من المشروعات العمرانية وفي مقدمة هذه الأعمال تمهيد طريق كورنيش النيل ، وتوسيع ميادين القاهرة وأهمها ميدان التحرير وإقامة مبنى مجمع التحرير ومبنى جامعة الدول العربية وفندق النيل هيلتون ، أما ميدان رمسيس فتمت توسعته بدرجة كبيرة ، ونقل إليه تمثال ضخم لرمسيس الثاني وأنشئ كوبري الجامعة وبرج القاهرة ، ولا ننسى الصرح العظيم الذي شيده الزعيم وهو مشروع السد العالي ، كذلك امتد العمران إلى جميع محافظات مصر حتى الوادي الجديد ومديرية التحرير ، ولم تغفل اصلاحات الزعيم العمال وتحسين أوضاعهم وإصدار الكثير من التشريعات التى تعمل على رفع مستوى عمال مصر بل جعل أول مايو من كل عام عيداً للعمال ، بعد أن تمتعوا بالتأمينات وحق الانتخاب للمراكز القيادية ، وتقرر إنشاء الوحدات المجمعة فى الأرياف بحيث تقام بالقرية وحدة مجمعة تضم مدرسة ومستشفى

وعيادة وصيدلية ومعملاً للتحاليل وجمعيات تعاونية للشئون الزراعية وفي المجال التعليمي زيد عدد المدارس .

٧- أنشأت بجانب المدارس الإعدادية العامة أنواع من المدارس الإعدادية الفنية : زراعية وصناعية وتجارية وعنيت الدولة بالتعليم الفني وأنشأت العديد من الجامعات فى مصر خاصة جامعة أسيوط وتطوير جامعة الأزهر ، بجانب الاهتمام بمجال الملاحة البحرية والطرق الحديدية .

٨- صدر قانون الإصلاح الزراعي الثاني الذي جعل الحد الأقصى للملكية الزراعية ١٠٠ فدان للأسرة .

٩- كما صدرت قوانين يوليو الاشتراكية التى أكدت على الملكية الزراعية ، وتم تأميم نحو ١٥٠ شركة ومؤسسة وإشتراك القطاع العام في أكثر من ٩٠ شركة ، وجعل الحد الأقصى لمرتب أي موظف ٥٠٠٠ جنيه فى السنة ولا يشغل أي شخص أكثر من وظيفة واحدة ، وتخصيص ٢٥٪ من أرباح الشركات للعاملين فيها، واشتراك العمال فى مجالس إدارات الشركات والمصانع وتحديد ساعات العمل بسبع ساعات فقط يومياً ، وزيادة الضريبة التصاعدية وتخفيض إيجار المساكن .

١٠- وفي مايو ١٩٦٢م أعلن تكوين الاتحاد الاشتراكي القائم على أساس تحالف قوى الشعب العاملة.

١١- تحديث الأزهر

كان الزعيم أول من جمع القرآن مسموعاً بصوت كبار القراء ،وفي عهده بنى عشرة آلاف مسجد ، وأول من أنشأ محطة للقرآن الكريم لإذاعة القرآن والبرامج الدينية ٢٤ ساعة ، وهو من جعل مادة التربية الدينية إجبارية في التعليم ،وفي عهده تم تطوير الأزهر الشريف وتحويله إلى جامعة عصرية تدرس العلوم الطبيعية

بجانب العلوم الدينية ، وهو من أنشأ مدينة البعوث الإسلامية التى كانت وما يزال فيها عشرات الآلاف من الطلاب المسلمين من جميع أنحاء العالم ، وتوسع فى إرسال بعثات الأزهر والأوقاف لمختلف البلاد الإسلامية ، والدعاة والقراء فى شهر رمضان لمختلف دول العالم ، وأنشأ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية..

١٢- الميثاق الوطني :

في أكتوبر سنة ١٩٦١ بدأ الزعيم برنامجاً كبيراً للتأميم في مصر، معتبرا أن اعتماد قراراته الاشتراكية سيكون الحل لمشاكل بلاده ، من أجل تنظيم وترسيخ قاعدته الشعبية مع المواطنين في مصر ومواجهة نفوذ الجيش، فقدم الميثاق الوطني في سنة ١٩٦٢ ووضع دستوراً جديداً. دعا الميثاق للرعاية الشاملة والصحية، والإسكان بأسعار معقولة، والمدارس المهنية، وبمزيد من الحقوق للمرأة وبرنامج تنظيم الأسرة، فضلا عن توسيع قناة السويس ، وإنشاء بنوك الادخار.

حاول أيضا الحفاظ على مراقبة الخدمة المدنية في البلاد لمنعها من التضخم، مما جعلها تصبح عبئا على الدولة. أصدر قوانين جديدة تحدد الحد الأدنى لأجور العمال، وتحديد نسبة لهم من الأرباح، والتعليم المجاني والرعاية الصحية المجانية، وتخفيض عدد ساعات العمل، والتشجيع على المشاركة في الإدارة ، كفل قانون الإصلاح الزراعي حقوق المزارعين،و تم الترويج للنمو الزراعي، والحد من الفقر في المناطق الريفية ، ونتيجة لتدابير سنة ١٩٦٢، وصلت ملكية الحكومة من الشركات المصرية إلى ٥١ في المئة، وأعيدت تسمية الاتحاد القومي إلى الاتحاد الاشتراكي العربي.

١٣- أعيد انتخاب الزعيم لولاية ثانية كرئيس للجمهورية العربية المتحدة بعد استفتاء في البلاد، وحلف الزعيم اليمين الدستورية يوم ٢٥ مارس ١٩٦٥. كان هو المرشح الوحيد لهذا المنصب، حيث حظر القانون ترشح جميع خصومه

السياسيين تقريبا للرئاسة. في تلك السنة نفسها، سُجن سيد قطب حيث اتهم بالتخطيط لاغتيال الزعيم، وأعدم في سنة ١٩٦٦ .

١٤- ابتداء من سنة ١٩٦٦ ومع تباطؤ نمو الاقتصاد المصري، وصار الدين الحكومي مرهقا على نحو متزايد، بدأ الزعيم في تخفيف سيطرة الدولة على القطاع الخاص، وتقديم الحوافز لزيادة الصادرات .

الظروف المحلية والعالمية المحيطة بهزيمة يونيو ١٩٦٧ :

في أوائل سنة ١٩٦٧ حذر الاتحاد السوفيتي الزعيم من هجوم إسرائيلي وشيك على سوريا، على الرغم من أن رئيس هيئة الأركان محمد فوزي وصف ذلك التحذير بأنه «لا أساس له من الصحة» ، استخدم عامر التحذيرات كذريعة لإرسال قوات إلى سيناء ، وطالب الزعيم في وقت لاحق بسحب قوات الطوارئ الدولية في شمال سيناء.

تلقى الزعيم تحذيرا من الملك حسين من التواطؤ الإسرائيلي الأمريكي لجر مصر إلى الحرب، على الرغم من أنه في الأشهر السابقة، كان حسين والزعيم قد اتهما بعضهما البعض بتجنب معركة مع إسرائيل، كان حسين خائفا من أن الحرب المصرية الإسرائيلية ستتسبب في احتلال الضفة الغربية من قبل إسرائيل بينما الزعيم كان يرى أن الولايات المتحدة تستطيع كبح جماح إسرائيل ، من مهاجمة مصر بسبب التأكيدات التي تلقاها من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، وفي المقابل طمأن أيضا الزعيم كلا القوتين أن مصر ستدافع عن نفسها فقط.

يوم ٢١ مايو، أمر عامر بمحاصرة مضيق تيران وإغلاقه يوم ٢٢ مايو بعد سحب قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة يوم ١٨ مايو، في خطوة اعتقد الزعيم أن إسرائيل ستعتبرها سببا للحرب، طمأنه عامر أن الجيش كان مستعدا للمواجهة، ولكن الزعيم كان يشك في ذلك ، علاوة على ذلك توقع عامر هجوما

إسرائيليا وشيكا ودعا لضربة استباقية ،رفضها الزعيم ومع ذلك قال أنه إذا هاجمت إسرائيل ستكون لمصر ميزة كثرة القوى العاملة والأسلحة، مما يمكنها من درء القوات الإسرائيلية لمدة أسبوعين على الأقل، مما يسمح ببدء الجهود الدبلوماسية لوقف إطلاق النار ، كانت هناك ضغوط متزايدة للتحرك العسكري من قبل كل الجماهير العربية ،وفي ٣٠ مايو ١٩٦٧م انضم الملك حسين بالأردن في تحالف مع مصر وسوريا.

في صباح يوم ٥ يونيو١٩٦٧م ، ضرب سلاح الجو الإسرائيلي القواعد الجوية المصرية، ودمر جزءا كبيرا منها . قبل انتهاء اليوم الأول من الحرب كانت وحدات مدرعة إسرائيلية قد اخترقت خطوط الدفاع المصرية ، واستولت على مدينة العريش، وفي اليوم التالي أمر عامر بانسحاب فوري للقوات المصرية من سيناء، مما تسبب في سقوط غالبية الضحايا المصريين خلال الحرب وهو تكرار لسيناريو حرب ١٩٥٦م، لم يعلم الزعيم بخطورة الوضع إلا عندما استولى الإسرائيليون على شرم الشيخ ، فأسرع إلى مقر قيادة الجيش للاستفسار عن الوضع العسكري ، ذكر الضباط الحاضرون أن الزعيم وعامر قد انفجرا في «مباراة من الصراخ دون توقف» ، اللجنة التنفيذية العليا التي شكلها ناصر للإشراف على أوضاع الحرب، أرجعت الهزائم المتكررة والعجز الكلي لعامر.

استولت إسرائيل بسهولة على سيناء وقطاع غزة من مصر والضفة الغربية من الأردن، وهضبة الجولان من سوريا، وبالرغم من ذلك كان العرب مصدقين ادعاءات محطة الإذاعة العربية بأن الانتصار العربي وشيك يوم ٩ يونيو أعلن الزعيم على شاشات التلفزيون للمواطنين في مصر هزيمة بلادهم ، وأعلن استقالته، وتنازل عن السلطات الرئاسية إلى نائبه آنذاك زكريا محيي الدين، الذي لم يكن لديه معلومات مسبقة عن القراروقد رفض هذا المنصب ، بينما الملايين من المتعاطفين مع الزعيم تدفقوا إلى الشوارع والميادين في مظاهرات حاشدة في جميع أنحاء مصر ، وجميع أنحاء الوطن العربي رفضا لاستقالته، وهتفوا: «نحن جنودك،

يا جمال! » الزعيم تراجع عن قراره في اليوم التالي ! استجابة لنداء الشعب(١) .

إعادة بناء القوات المسلحة :

يوم ١١ يوليو، عين الزعيم الفريق أول محمد فوزي قائداً عاماً للقوات المسلحة بديلا عن عامر ، حدثت احتجاجات من الموالين لعامر في الجيش ٦٠٠ منهم ساروا إلى مقر قيادة الجيش، وطالبوا بإعادة عامر. كان رد الزعيم هو إقالة ثلاثين من الموالين لعامر في الجيش ، وضع عامر وحلفاؤه خطة للإطاحة به في ٢٧ أغسطس ، ولكن عامر انتحر في ١٤ سبتمبر ، وعلى الرغم من توتر علاقته مع عامر، تحدث الزعيم عن فقدانه «الشخص الأقرب إليه» ، وبعد ذلك بدأ الزعيم عملية عدم تسييس القوات المسلحة، واعتقل عشرات من أبرز الشخصيات العسكرية والمخابرات الموالين لعامر.

الإصلاحات المحلية والتغييرات الحكومية :

عين الزعيم نفسه رئيسا للوزراء وقائدا أعلى للقوات المسلحة في ١٩ يونيو ١٩٦٧م كمنصبين إضافيين ، غضب الزعيم من نظر المحكمة العسكرية التساهل مع ضباط القوات الجوية المتهمين بالتقصير خلال حرب ١٩٦٧م ، أطلق العمال والطلاب احتجاجات تطالب بإصلاحات سياسية كبرى في أواخر فبراير ١٩٦٨م، وكان ذلك هو التحدي الأكبر أمامه منذ احتجاجات العمال في مارس ١٩٥٤م ، رد الزعيم على المظاهرات بتعيين ثمانية مدنيين بدلاً من العديد من أعضاء الاتحاد الاشتراكي العربي في الحكومة في ٣ مارس ١٩٦٨م، وجه الزعيم جهاز المخابرات المصري إلى التركيز على الشؤون الخارجية بدلاً من التجسس المحلي، وأعلن «سقوط دولة المخابرات» ، وتقديم المسئولين عن تجاوزاتها إلى المحاكمة وأولهم صلاح نصر.

(١) ملحق رقم (٨) بيان الرئيس جمال عبد الناصر إلى الشعب والأمة ، بإعلان التنحي عن رئاسة الجمهورية يوم ٩/ ٦/ ١٩٦٧م.

يوم ٣٠ مارس ١٩٦٨ م أعلن الزعيم بيانًا ينص على استعادة الحريات المدنية وزيادة استقلال البرلمان عن السلطة التنفيذية،وشمل البيان بعض التغييرات الهيكلية الرئيسة الأخرى، حيث شنت الأجهزة الأمنية حملة لتخليص الحكومة من العناصر الفاسدة.

عين الزعيم السادات وحسين الشافعي في منصب نائب للرئيس في ديسمبر ١٩٦٩م بحلول ذلك الوقت توترت علاقات الزعيم مع رفاقه العسكريين الآخرين، خالد وزكريا محيي الدين ونائب الرئيس السابق على صبري ، وبحلول منتصف سنة١٩٧٠م فكر الزعيم باستبدال السادات بالبغدادي بعد التصالح مع الأخير.

حرب الاستنزاف مقدمة وممهدة لمعركة التحرير فى أكتوبر ١٩٧٣م:

بدأ الزعيم حرب الاستنزاف فى الفترة من أول يوليو ١٩٦٧م وحتى ٧/ ٨/ ١٩٧٠ م لاستعادة الأراضي التي احتلتها إسرائيل وتخطى الحاجز النفسي فى أعقاب الهزيمة فى يونيو١٩٦٧م حيث تمكنت القوات المسلحة برياً وبحرياً وجوياً من أداء بطولي وخوض معارك متعددة ،فأمر بشن هجمات ضد مواقع إسرائيلية شرق قناة السويس ثم حاصر القناة أهمها معركة رأس العش وتدمير المدمرة إيلات وتفجير الحفار الإسرائيلي وتدمير أرصفة وبوارج إسرائيلية فى ميناء إيلات ومعارك جوية فقد فيها العدو عدد كبير من طائراته وتكبيده خسائر بشرية ومعدات فى سيناء وأسر عدد من أفراده .عرض مساعدة حركة فتح بالأسلحة والأموال بعد أدائهم ضد القوات الإسرائيلية في معركة الكرامة ، كما نصح عرفات بالتفكير في إقامة دولة فلسطينية تضم الضفة الغربية وقطاع غزة، بذلك يعتبر الزعيم قد تنازل فعليا منذ ذلك الحين عن قيادته للقضية الفلسطينية لعرفات.

ردت إسرائيل على عمليات القوات المسلحة المصرية جواً وبحراً وبراً

بالقصف المدفعي والغارات الجوية ، وأدى ذلك إلى نزوح المدنيين من المدن المصرية على طول الضفة الغربية لقناة السويس (من السويس والإسماعيلية وبور سعيد لمحافظات مصر حفاظاً على الأرواح وتقليل الخسائر) ، أوقف الزعيم جميع الأنشطة العسكرية وبدأ برنامجا لبناء شبكة من الدفاعات الداخلية (حائط الصواريخ) ، في حين تلقى الدعم المالي من مختلف الدول العربية ، فاستؤنفت الحرب في مارس ١٩٦٩م، وفي نوفمبر وبوساطة الزعيم تم عقد اتفاق بين منظمة التحرير الفلسطينية والجيش اللبناني الذي منح المقاتلين الفلسطينيين الحق في استخدام الأراضي اللبنانية لمهاجمة إسرائيل.

مبادرة روجرز :

فى يونيو ١٩٧٠م قبل الزعيم مبادرة روجرز التى ترعاها الولايات المتحدة ، والتى دعت إلى وضع حد للأعمال العسكرية والانسحاب الإسرائيلي من الأراضي المصرية ، والتى رفضتها كل من إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية ، ومعظم الدول العربية باستثناء الأردن ، وكان الزعيم فى البداية رافضاً الخطة ، لكنه قبل تحت ضغط من الاتحاد السوفيتي ، والذي كان يخشى من احتمال جره إلى حرب مع الولايات المتحدة نتيجة تصاعد الصراع الإقليمي ، أحبط الزعيم أي تحرك نحو المفاوضات المباشرة مع إسرائيل فى عشرات الخطب والبيانات ، معتبراً أن أي محادثات سلام مباشرة مع إسرائيل هي بمثابة الاستسلام وبعد قبوله مبادرة روجرز ، وافقت إسرائيل على وقف إطلاق النار ، وكانت فرصة لنقل صواريخ أرض جو نحو منطقة القناة لاستكمال بناء حائط الصواريخ وتحصين خطوط الدفاع.

الزعيم فى مواجهة المشير :

بعد انفصال سوريا، تنامت مخاوف الزعيم من عدم اهتمام عامر بتدريب وتحديث الجيش، ومن ظاهرة الدولة داخل الدولة التي خلقها عامر بإنشاء جهاز

القيادة والاستخبارات العسكرية. وفي أواخر سنة ١٩٦١م أصدر الزعيم مرسوما يقضي بإعطاء الرئيس سلطة الموافقة على جميع التعيينات العسكرية العليا، بدلا من ترك هذه المسؤولية فقط لعامر. وعلاوة على ذلك أعطى الزعيم التعليمات بأن يكون المعيار الأساسي للترقية هو الجدارة وليس الولاء الشخصي ، تراجع الزعيم عن مبادرته تلك بعد تهديد حلفاء عامر من الضباط له بالحشد ضده.

في أوائل ١٩٦٢م حاول الزعيم مرة أخرى انتزاع السيطرة على القيادة العسكرية من عامر ، رد عامر من خلال مواجهة مباشرة معه لأول مرة، وحشد الضباط الموالين له سرا. فتراجع الزعيم في نهاية المطاف، حيث كان قلقا من مواجهة عنيفة محتملة بين الجيش والحكومة المدنية ، وفقا لعبد اللطيف البغدادي، بسبب التوتر الناجم عن انهيار الجمهورية العربية المتحدة والحكم الذاتي المتزايد لعامر، أصبح الزعيم (الذي كان بالفعل مريضا بالسكري)، يعيش عمليا على المسكنات منذ ذلك الحين.

السياسة الخارجية

١- مؤتمر باندونج ١٩٥٦ م :

في مؤتمر باندونج في إندونيسيا في أواخر أبريل ١٩٥٦م ، كان الزعيم يعامل كأبرز ممثلي الدول العربية، وكان واحداً من الشخصيات الأكثر شعبية في القمة. وكان الزعيم قد زار باكستان في وقت سابق ٩ أبريل والهند ١٤ أبريل ، وبورما وأفغانستان في الطريق إلى باندونغ ، وأقام معاهدة صداقة مع الهند في القاهرة يوم ٦ أبريل ، مما عزز العلاقات المصرية الهندية في السياسة الدولية والتنمية الاقتصادية.

توسط الزعيم في مناقشات المؤتمر بين ممثلى الدولة الموالية للغرب، والموالية للاتحاد السوفيتي ، وسعت جهوده للتصدي للاستعمار في أفريقيا وآسيا وتعزيز السلام العالمي في ظل الحرب الباردة بين الغرب والاتحاد

السوفيتي ،كما قدم الدعم من أجل استقلال تونس والجزائر والمغرب عن الحكم الفرنسي، ودعم حق عودة الفلسطينيين لمنازلهم، ودعى لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة فيما يتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي ، ونجح في الضغط على الحضور لتمرير قرارات بشأن كل من هذه القضايا، وأبرزها ضمان الدعم القوي من الصين والهند.

بعد مؤتمر باندونج، أعلن الزعيم رسميا «الحياد الإيجابي» لمصر بشأن الحرب الباردة، وتم استقبال عبد الناصر من قبل حشود كبيرة من الجماهير غطت شوارع القاهرة لدى عودته إلى مصر في ٢ مايو ، وتم الإعلان على نطاق واسع في الصحافة عن إنجازاته وقيادته للمؤتمر، ونتيجة لذلك تعززت مكانة الزعيم إلى حد كبير كما زادت ثقته في نفسه.

٢- أدت سياسات الزعيم المحايدة خلال الحرب الباردة إلى توتر العلاقات مع القوى الغربية، التى سحبت تمويلها للسد العالي ، الذي كان يخطط لبنائه. ورد الزعيم على ذلك بتأميم شركة قناة السويس سنة ١٩٥٦م ، ولاقى ذلك استحساناً داخل مصر والوطن العربي وبالتالي قامت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل باحتلال سيناء ، لكنهم انسحبوا وسط ضغوط دولية ، وقد عزز ذلك مكانة الزعيم السياسية بشكل ملحوظ ونمت شعبيته فى المنطقة بشكل كبير ، وتزايدت الدعوات إلى الوحدة العربية تحت قيادته ، وتحقق ذلك بتشكيل الجمهورية العربية المتحدة مع سوريا (١٩٥٨م- ١٩٦١م).

٣- قبل سنة ١٩٥٧م ، كانت القومية العربية هي الأيديولوجية السائدة في الوطن العربي، واعتبر المواطن العربي عبد الناصر زعيمه بلا منازع ، ودعم ذلك انتصاره في أزمة السويس، واتخاذه من القاهرة مقرا لإذاعة صوت العرب، التي نشرت أفكاره في جميع أنحاء العالم الناطقة باللغة العربية.

اللبنانيون المتعاطفون مع الزعيم والسفارة المصرية في بيروت اشتروا الكثير

من وسائل الإعلام اللبنانية للمساهمة في زيادة نشر أفكاره عالميا ، كما تمتع الزعيم بدعم من المنظمات القومية العربية، في جميع أنحاء المنطقة ، وكان العديد من أتباعه يمولونه تمويلاً سخياً، ولكنهم افتقروا إلى أي هيكل أو تنظيم دائم ، دعوا أنفسهم «الناصريين»، على الرغم من اعتراض الزعيم على التسمية، حيث قال أنه يفضل مصطلح «القوميين العرب».

٤- في يناير ١٩٥٧م، اعتمدت الولايات المتحدة مبدأ أيزنهاور وتعهدت بمنع انتشار الشيوعية في الشرق الأوسط ، على الرغم من أن الزعيم كان معارضا للشيوعية في المنطقة، كانت زعامته للعرب مُعتبَرة كتهديد من قبل الدول الموالية للغرب في المنطقة ، حاول أيزنهاور عزل الزعيم وتقليل نفوذه الإقليمي من خلال محاولة تحويل الملك سعود إلى مناوئ له. أما رئيس الوزراء الأردني المنتخب -والمؤيد لعبد الناصر- سليمان النابلسي فقد انضم بالأردن إلى معاهدة عسكرية مع مصر، وسوريا.

تدهورت العلاقات بين الزعيم والملك حسين في أبريل ١٩٥٧م عندما اتهم حسين الزعيم بالتورط في دعم محاولتي الانقلاب ضده، التى قادها علي أبو نوار ورفاقه على الرغم من أن الزعيم لم يشترك فيهما، وحل حسين حكومة النابلسي ، انتقد الزعيم في وقت لاحق حسين على راديو القاهرة، واصفا إياه بأنه «أداة للإمبريالية» ، أصبحت علاقاته مع الملك سعود عدائية أيضا، حيث بدأ هذا الأخير في الخوف من أن زيادة شعبية عبد الناصر في المملكة العربية السعودية أصبح تهديدا حقيقيا لبقاء العائلة المالكة، وعلى الرغم من معارضة حكومات الأردن والمملكة العربية السعودية والعراق ولبنان له، حافظ الزعيم على مكانته بين المصريين ومواطني البلدان العربية الأخرى.

٥- عقد مؤتمر التضامن الأفريقي الآسيوي الثاني فى القاهرة سنة ١٩٥٨م ، وانتخب السيد « محمد أنور السادات » رئيساً للمؤتمر ، وفي السنة نفسها عقد

المؤتمر الثالث لهذا التضامن فى أكرا ومثل مصر فيـه الـدكتور « محمـود فـوزي » وزير الخارجيـة. وفي أول فبرايـر سـنة ١٩٥٨م أعلـن مـيلاد الجمهوريـة العربيـة المتحدة وقيـام الوحـدة بـين مصـر وسـوريا (الـزعيم والمـواطن الأول شـكري القوتلي) وكان ذلك جزءاً من مخطط كبيـر رسـمه الـزعيم يهـدف إلى جمـع شـمل الشعب العربي فى وحدة حقيقية متكاملة لا تشوبها شائبة وهو الهدف الذي عـاش طوال حياته يعمل على تحقيقه : سياسياً وعسكرياً واقتصادياً .

٦- وضع الميثاق العسكري للدفاع المشترك بـين مصـر وسـوريا فى يـوم ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٥٥م (سمي بيوم الجيش) بل أرسلت مصر جزءاً من جيشـها سـنة ١٩٥٧ إلى سوريا للوقوف بجانبها عندما حدث النزاع حول لواء الإسكندرونة من جانب تركيا ، أعقبه زيـارة بعـض أعضـاء مجلـس الأمـة المصـرية برئاسـة أنـور السادات وكيل المجلس لدولة سـوريا ، لتوثيـق العلاقـات مـع مجلـس النـواب السوري .

٧- وبعد ذلك تم انتخاب الزعيم رئيساً للجمهورية العربيـة المتحـدة . وفي ٦ مارس سنة ١٩٥٨ أصدر الزعيم بدمشق قراراً جمهورياً بتعيين أربعة نواب لـرئيس الجمهورية (عبد اللطيف البغـدادي – عبـد الحكـيم عـامر – أكـرم الحـوراني – صبري العسلي) وتعيين ٣٤ وزيراً للجمهورية منهم ٢٠ من مصر و ١٤ وزيراً مـن سوريا . وفي مارس سنة ١٩٥٨ م ، وقعـت الـيمن اتفاقـاً مـع الجمهوريـة العربيـة المتحدة يتضمن إقامة إتحاد فيدرالي بـين البلـدين ، وكـذلك توطـدت العلاقـات الودية والأخوية بين شعبي وادي النيل (مصر – السودان) .

٨- تغير الموقف الإقليمي للزعيم بشكل غيـر متوقـع عنـدما أطـاح الضـباط اليمنيون بقيادة عبد الله السلال -المؤيد للزعيم- بالإمام البدر في شمال الـيمن في ٢٧ سبتمبر ١٩٦٢م . بدأ البدر وأنصاره من القبائل يتلقون مزيداً مـن الـدعم مـن المملكة العربية السعودية لمساعدتهم في إعادة المملكة، بينما قبل الزعيم في وقت

لاحق -بناء على طلب من السلال- مساعدة الحكومة الجديدة عسكريا يوم ٣٠ سبتمبر ، ونتيجة لذلك أصبحت مصر متورطة على نحو متزايد في الحرب الأهلية المطولة في اليمن حتى سحبت قواتها في سنة ١٩٦٧م. معظم زملاء الزعيم القدماء تساءلوا عن الحكمة من استمرار الحرب، ولكن عامر طمأن الزعيم من قرب انتصارهم ، قال الزعيم في وقت لاحق -في سنة ١٩٦٨م- أن التدخل في اليمن كان «سوء تقدير» خلال حديثه مع خالد محيي الدين.

٩- في يوليو سنة ١٩٦٢م، استقلت الجزائر عن فرنسا. وكمؤيد سياسي ومالي قوي لحركة الاستقلال الجزائرية، اعتبر الزعيم استقلال البلاد نصرا شخصيا له، ووسط هذه التطورات، لجأت العصبة المؤيدة لناصر في العائلة المالكة السعودية بقيادة الأمير طلال إلى مصر، جنبا إلى جنب مع كبير الموظفين الأردنيين في أوائل سنة ١٩٦٣م.

في ٨ فبراير ١٩٦٣م أطاح انقلاب عسكري في العراق بقيادة تحالف بعثي- ناصري بعبد الكريم قاسم (الذي قتل في وقت لاحق) ، اختير عبد السلام عارف -الناصري- ليكون الرئيس الجديد. أطاح تحالف مماثل بالحكومة السورية يوم ٨ مارس ، وفي ١٤ مارس أرسلت الحكومتان الجديدتان العراقية والسورية الوفود للزعيم للضغط عليه من أجل عمل اتحاد عربي جديد ، وخلال الاجتماع انتقد الزعيم البعثيين «لتسهيلهم» خروج سوريا من الجمهورية العربية المتحدة، وتم الاتفاق على عمل وحدة انتقالية تنص على نظام فيدرالي، ووقعت الأطراف على الاتفاق في ١٧ أبريل، وكان من المقرر إنشاء الاتحاد الجديد في مايو ١٩٦٥م. ولكن تم صرف النظر عن الاتفاق في وقت لاحق عندما تخلى البعثيون في سوريا عن أنصار الزعيم من الضباط ، وفشل بعد ذلك انقلاب مضاد قام به عقيد ناصري، وصف الزعيم البعثيين بـ«الفاشيين».

١٠- في يناير ١٩٦٤م، دعا الزعيم لعقد قمة الجامعة العربية في القاهرة،

وأعقبه مؤتمر ثان في الإسكندريةلتشكيل موقف عربي موحد ضد خطط إسرائيل لاستخدام مياه نهر الأردن لأغراض اقتصادية، والتي اعتبرتها سوريا والأردن عملا من أعمال الحرب ، ألقى الزعيم باللوم على الانقسامات العربية، ووصف الوضع بأنه «كارثي». شجع الزعيم سوريا والفدائيين الفلسطينيين ضد استفزازات الإسرائيليين، وأعلن أنه لا يخطط لحرب مع إسرائيل ، وخلال القمة بدأ ناصر علاقات ودية مع الملك حسين، وأصلح العلاقات مع حكام المملكة العربية السعودية وسوريا والمغرب ، وفي مايو بدأ ناصر يشارك رسميا بدوره القيادي في قضية فلسطين، قبل الشروع في إنشاءمنظمة التحرير الفلسطينية ، وقد استخدمها الزعيم ليسيطر على الفدائيين الفلسطينيين. وكان رئيسها ومرشح الزعيم الشخصي هو (أحمد الشقيري).

١١- ولقد حاولت الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٦٣م أن تطلب حق تفتيش المصانع الحربية بمصر بدعوى التأكد من وجود توازن فى القوى المسلحة بين مصر وبين إسرائيل فما كان من الزعيم إلا أن رفض ذلك الطلب .

١٢- وفي العام نفسه كانت دعوته إلى إنشاء منظمة أفريقية لمساندة حركات التحرير الوطني فى أفريقيا ورعاية مصالح شعوب القارة ؛ فتمخض اجتماع أديس أبابا سنة ١٩٦٣م عن إعلان إنشاء منظمة الوحدة الأفريقية ، وعلى ذلك كان أول مؤتمر قمة للمنظمة الأفريقية بعد تأسيسها رسمياً عقد فى القاهرة سنة ١٩٦٤م ، واختير الزعيم أول رئيس لهذه المنظمة ، وكان تأييد ثورة اليمن التى نشبت فجأة فرصة لإظهار موقف الثورة المصرية من جهة ، وإعلاناً للتضامن العربي الثوري فى تأييد حركات التحرير والكفاح من جهة أخرى فتم إرسال بعض قوات الجيش المصري للمشاركة فى حرب اليمن سنة ١٩٦٤م ولقد دفعت حرب اليمن بعض قادة الثورة إلى الاحتجاج على التورط فيها والتنبيه إلى ما سيجره ذلك من نتائج غير معروفة فكان نصيبهم ترك مقاعدهم في القيادة .

وقد التجأ الزعيم إلى تجميع زعماء العالم العربي والإسلامي للوقوف أمام الخطر الصهيوني طامع فى صداقة ومساندة الاتحاد السوفيتي.

١٣- حركة عدم الانحياز

بعد سنوات من التنسيق فى السياسة الخارجية وتطوير العلاقات بعد مؤتمر باندونج قام الزعيم والرئيس الأندونيسي سوكارنو والرئيس اليوغسلافي تيتو ورئيس الوزراء الهندي نهرو بتأسيس حركة عدم الإنحياز في سنة ١٩٦١م عقد أول مؤتمر لها فى بلجراد حضره ممثلو ٢٥ دولة ،وكان هدفها المعلن هو ترسيخ مبدأ عدم الإنحياز وتعزيز السلام العالمي فى ظل الحرب الباردة ، والقضاء على الاستعمار وزيادة التعاون الاقتصادي فيما بين البلدان النامية ، وفي سنة ١٩٦٤م أصبح الزعيم رئيساً لحركة عدم الانحياز وعقد المؤتمر الثاني للمنظمة فى القاهرة، وتوالى انعقاد مؤتمراتها حتى المؤتمر الأخير بطهران فى أغسطس ٢٠١٢م ووصل عدد أعضائها إلى ١١٨ دولة ، وفريق رقابة مكون من ١٨ دولة و ١٠ منظمات.

أدى الزعيم دوراً مهماً فى تعزيز التضامن الأفريقي فى أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات وخلال هذه الفترة جعل مصر ملجأ للقادة المناهضين للاستعمار ، وسمح للعديد من البلدان الأفريقية ببث الدعاية المناهضة للاستعمار من القاهرة ابتداء من سنة ١٩٥٨م وأدى دوراً رئيساً فى المناقشات بين القادة الأفارقة التى أدت إلى إنشاء منظمة الوحدة الأفريقية فى سنة ١٩٦٣م.

١٤- قمة الخرطوم (قمة اللاءات الثلاثة) :

هو مؤتمر القمة الرابع الخاص بجامعة الدول العربية ، والذي عقد بالعاصمة السودانية الخرطوم فى ٢٩ أغسطس ١٩٦٧ على خلفية نكسة ١٩٦٧ ، انحسر دور الزعيم القيادى المعتاد ، حيث قاد العاهل السعودي الملك فيصل ملوك ورؤساء وأمراء الدول العربية ، وقد عرفت القمة بإصرارها على التمسك بالثوابت من خلال لاءات ثلاثة: لا صلح ولا اعتراف ولا تفاوض مع العدو الصهيوني قبل أن

يعود الحق لأصحابه . تم تخصيص دعم مالي من الدول العربية لـدول المواجهـة مع إسرائيل ومشاركة البعض منها بقوات رمزية فى معركة التحرير .

١٥ - منظمة التعاون الإسلامي :

عرفت باسم منظمـة المـؤتمر الإسـلامي ، وعقـد أول مـؤتمر فى ٢٥ سـبتمبر ١٩٦٩م بالعاصمة المغربية الرباط ، وكان يهدف إلى اتخاذ سياسة موحدة للـدول الإسـلامية فى مواجهـة قيـام عناصـر إسـرائيلية بحـرق المسـجد الأقصـى ، وقـد حضرت وفود تمثـل ٢٦ دولـة بالإضـافة إلى وفـد منظمـة التحريـر الفلسـطينية ، ساهمت مصر فيه بجهد كبير أدى لنجاحه.

١٦ - مؤتمر القمة فى ٢٧ سبتمبر ١٩٧٠م :

وكان آخر عمل قام به الزعيم سنة ١٩٧٠م أنهى به حياته القياديـة ، هـو دعـوة الملوك والرؤساء العرب إلى مصر فى ٢٧ سـبتمبر لحـل الأزمـة التـى نشـبت بـين الحكومة الأردنيـة ومنظمـة التحريـر الفلسـطينية ، وأدت إلى انـدلاع القتـال بـين الفريقين وقد نجح المؤتمر فى وقف نزف الدماء العربية ، لكن الجهد الكبير الذي بذله الزعيم فى المؤتمر أثر عـلى صـحته وأدى إلى وفاتـه بعـد سـاعات قليلـة مـن انقضاء المؤتمر .

بعض الانتقادات التى وُجهت للزعيم :

١ - حقوق الإنسان :

يعتبر منتقدو الزعيم من المصريين ومنظمات حقوق الإنسان والدول الغربيـة والمعادية له أنه ديكتاتور، أحبط التقدم الديمقراطي، وتسبب في سجن آلاف مـن المعارضين، وقاد الإدارة القمعية المسـؤولة عـن العديـد مـن انتهاكـات حقـوق الإنسان.

٢- قمع وتقييد الصحافة

قمع الصحافة وجعلها بوقا لسياساته وأقال وحبس الصحفيين الـذين انتقـدوه أو خالفوا سياساته حتى المقربين مـنهم مثـل إحسـان عبـد القـدوس و مصـطفى أمين(مؤسس صحيفة أخبار اليوم) وفكري أباظة (رئيس تحرير المصور ورئيس مجلس إدارة دار الهلال) وأحمد أبو الفتح (مؤسس جريـدة المصـري) ، وفي سـنة ١٩٥٤م أصدر وزير الإرشاد قرارا بإلغاء تراخيص عدد من الصحف والمجـلات المتنوعة ، وحل مجلس نقابـة الصـحفيين عـام ١٩٥٤ وتفـويض وزيـر الإرشـاد القومي لتشكيل لجنة بديلة.

٣-مسئولية عامرعن فشل مشاريع الوحدة مع سوريا واليمن والعراق :

من جملة الانتقادات الداخلية التي وجهت للزعيم كانت إطلاق يد المشير عبد الحكيم عامر، الذي يتهمه كثيرون بعدم المسؤولية والاستعلاء،وعن فشل الوحدة مع سورية ، وعن فشل مشاريع الوحدة مع العراق واليمن بسبب تصرفات الجيش في سورية واليمن التي عدت كتصرفات قوات غازية ومحتلة ذات طبيعة عنجهية.

٤- أسلوب تنفيذ فكرة الإصلاح الزراعي :

أدت طريقة وأسلوب تنفيـذ فكـرة الإصـلاح الزراعـي للقضـاء عـلى سـيطرة الإقطاع إلى تفتيت الأرض الزراعية وخسارة مصر لأجود أراضيها وكان الأولى بـه تكوين جمعيات تعاونية لكل من ٣-٥ آلاف فدان تضـم عـدداً مـن المنتفعـين بهـا يتشاركون فى الاهتمام بها وزراعتها والاستفادة من محاصيلها فى إطار هذا النظـام التعاوني حفاظاً على الأرض والحرص على إنتاج المحاصيل التى يحتاجها الوطن.

٥- الهزيمة التى تعرضت لها مصر وبعض الدول العربية فى يونيو ١٩٦٧م:

بدأت بزيارة للمشير عامر لسيناء بينما طيران العدو يدك كـل مطاراتنـا ويـدمر طائراتنا .

أ) فتصف الدكتورة لطيفة سالم تلك الأحداث :

«قامت من مطار ألماظة طائرتان من طراز إليوشن ١٤ بين الساعة ٨.١٥ والساعة ٨.٣٠ صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧م تحمل المشير عبد الحكيم عامر والفريق أول صدقي محمود قائد القوات الجوية والدفاع الجوي والفريق أنور القاضي رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة ووزير الحربية شمس بدران وبعض المعاونين والمساعدين ، بالإضافة لبعض ضباط مكاتبهم متجهة إلى مطار بئر تمادا فى سيناء ، والطائرة الثانية تحمل طاهر يحيي رئيس وزراء العراق يرافقه حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية متجهة إلى قاعدة فايد لزيارة القوات العراقية الرمزية بمنطقة فايد ، حيث أعلن العراق استعداده للمشاركة العسكرية فى المعركة ضد إسرائيل» .[1]

ونظراً لأهمية سلامة هذه المسارات الجوية ، علاوة على زيادة نشاط قوات المدفعية المضادة للطائرات جواً إلى المطارات المختلفة فى سيناء ومنطقة القناة لتعزيز الدفاع الجوي بها لذلك صدرت تعليمات القيادة العليا بتقيد نيران الصواريخ والمدفعية المضادة للطائرات من الساعة الثامنة صباح ٥ يونيو وإلى حين صدور تعليمات أخرى .

وقبل بداية الهجوم الجوي بدأ العدو بمعاونة أجهزة السفينة الأمريكية «ليبرتي» في إعاقة خطوط الاتصالات السلكية واللاسلكية الموجهة وكذا إعاقة أجهزة الرادار للتتبع والتوجيه كما تمكنت هذه السفينة بأجهزتها الإليكترونية الحديثة التعرف على الترددات التى تعمل عليها أجهزة الجيش المصري اللاسلكية والقنوات الإشارية ، كما تمكنت من تحديد أماكن تمركز جميع القيادات الميدانية الكبيرة المؤثرة سواء فى الجيش الميداني فى جبهة سيناء أو

(١) فى محبة التاريخ – دراسات فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر – لطيفة محمد سالم – عبد المنعم سعيد الهيئة المصرية العامة للكتاب .

المطارات وعناصر الدفاع الجوي خاصة أجهزة الرادار سواء الإنذار أو التوجيه .

وإن كان الزعيم قد تحمل المسئولية كاملة وقرر التنحي عن الحكم استناداً إلى ذلك، فإن أسباب تلك الهزيمة كثيرة ومتعددة ومن أبرزها تآمر الكثير من الدول الكبرى عليه لا سيما الولايات المتحدة الأمريكية التى خدعته واستدرجته إلى حرب لم يكن مستعداً لها ، ناهيك عن الدور الذي لعبته بعض القوى الإقليمية من خلال توريطه فى حرب العصابات فى اليمن مما أضعف من إعداد الجيش المصري لمحاربة إسرائيل ، ولا ننسى دور أجهزة المخابرات من التأثير على بعض الرؤوس فى الدولة المصرية قد لعب دوراً لا يستهان به فى تسهيل تلك الهزيمة الكارثية .

ب) ويؤكد ذلك لواء د. سمير فرج فى مقاله بمجلة المصور باعتباره شاهد عيان :

« أحد الأسباب المباشرة لهزيمة مصر فى حرب ٦٧ أمام إسرائيل .. بسبب وجود القوة الرئيسية للجيش المصري ، آنذاك ، فى اليمن ، إضافة إلى ما تسببت فيه تلك الحرب من أبعاد الجيش المصري عن أساليب القتال الحديثة ، إذ ظلت القوات المصرية تحارب فى اليمن بعقيدة « حرب العصابات» والتغلب على الكمائن الجبلية ، دون الدخول فى أعمال قتالية نظامية تقليدية ، فكان ذلك سبباً مباشراً فى خسارتها أمام إسرائيل ، عندما خاضت حرباً نظامية حديثة مع قوات مدربة على أعلى مستوى في فنون القتال فى الحروب الحديثة ، بعلم وقدرات عسكرية تمثل أحدث ما هو موجود فى ترسانات الأسلحة في العالم . وقد كنت شاهد عيان على ذلك .. إذ شاركت فى حرب اليمن ، وحرب ٦٧ ، وأحمد الله الذي منّ علي بأن شاركت فى انتصار أكتوبر ٧٣ ».[1]

ج) أما رشاد كامل فى هذا الصدد فيضيف قائلاً: (إن نفس الأخطاء ومنهج

(١) المصور العدد ٤٨٣٣ فى ٢٤/ ٥/ ٢٠١٧ لواء دكتور سمير فرج.

التفكير الذي جرى فى حرب ١٩٥٦م هو نفسه بحذافيره الذي جرى فى ١٩٦٧م لقد اكتفينا فى ١٩٥٦ بالنصر السياسي ، دون محاولة دراسة وفهم أ خطائنا العسكرية القاتلة ... لقد دخلنا حرب ١٩٦٧م بنفس السيناريو السابق لحرب ١٩٥٦م ونفس العقلية ونفس التفكير ... ونفس المنهجية!!! .

لقد لفت انتباهي ما يرويه (أمين هويدي) فى أحداث النكسة (الفرص الضائعة) فيقول بالحرف الواحد (فعبد الحكيم عامر كان يعتقد أنه يقود أقوى قوة فى الشرق الأوسط ، لدرجة أنه كان يردد عقب جلسة مساء يوم ٢ يونيو ٦٧ والتى حضرها جمال عبد الناصر وأدى فيها أن الهجوم الإسرائيلي واقع فى ظرف يومين وأنه سيفتتح بضربة جوية كبيرة « بأنه لا يتمنى أن يكون فى وضع موشي ديان الذي لابد وأن يكون الآن حائراً فيما يمكن أن يفعله إزاء قوة الاستعداد المصري ».

وفي نفس الوقت كان وزير الحربية (شمس بدران) قد ردد كلاماً بنفس المعنى عند اجتماعه مع كوسيجن رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي حيث قال تبعاً لما ورد في المحاضر الرسمية للمباحثات : (حتى إذا وجهت إسرائيل قواتها إلى جبهتنا وتركت باقي الجبهات خالية فنحن مستعدون لإسرائيل ومن هم وراء إسرائيل فلا يهمنا أمريكا ولا غير أمريكا)[١] .

د) كما يؤكد د. رؤوف عباس فى دراسة له نشرتها مجلة الهلال المؤامرة التى تعرضت لها مصر وتصفية الزعيم :

«ولا يعنى ذلك أن إسرائيل استطاعت وحدها أن تصفي الدور الإقليمي لمصر لصالحها ، ولكنها كانت رأس الحربة للغرب فى مشروع التصفية ، الذي بدأ التخطيط له فى شتاء ١٩٦٤ م فى اجتماع عقده حلف الأطلنطي خصيصا بناء على طلب تركيا ، لوضع حد للمتاعب التى يثيرها عبد الناصر في منطقة الشرق الأوسط

(١) لغز يونيو ١٩٦٧ الهزيمة والعقاب – سوزانا للنشر – مطبعة روز اليوسف .

ضد مصالح الغرب ولذلك كانت ورقة العمل الرئيسية المقدمة للاجتماع من إعداد وزير الخارجية التركي وتحمل عنوان : تصفية عبد الناصر.

بعد مقدمة طويلة شرح فيها الجانب التركي الدور المشاكس لمصالح الغرب الذي لعبته مصر – بزعامة عبد الناصر – منذ قيام الثورة وخاصة تحريضها لشعوب المنطقة ضد السيطرة الغربية ، ومقاومتها لسياسة الأحلاف ، ثم تبنيها لحركة القومية العربية التى اشتد عودها بعدما كسب عبد الناصر سياسياً من وراء حرب السويس ١٩٥٦م، وما كان من قيام الوحدة بين مصر وسوريا التى قلبت الموازين الاستراتيجية فى منطقة الشرق الأوسط .

ورغم ضرب الوحدة ، نجح عبد الناصر فى أن يمد نفوذه ووجوده الاستراتيجي إلى اليمن بمناصرته لثورتها ، وتدخله العسكري هناك وبذلك يضع عبد الناصر الغرب تحت رحمته ، فهو يسيطر على قناة السويس وعلى البحر الأحمر ، ومن ثم يتحكم فى الطريق البحري الذي يُنقل عبره البترول إلى الغرب ، كما أن وجوده فى اليمن يجعله المتحكم الفعلي فى مناطق إنتاج البترول لو ترك له الحبل على غاربه ، فهو يستطيع أن يلحق ضرراً كبيراً بالمصالح الغربية فى المنطقة ، وخاصة أن لمصر علاقات وثيقة مع الاتحاد السوفيتي . أما خطر عبد الناصر على المصالح الغربية فى إفريقيا فلا حاجة لتأكيده فضلاً عن تدخله غير المعلن فى عدن وجنوبي الجزيرة العربية والخليج .

ومضت ورقة العمل التركية تحدد الأطراف العربية التى تخشى على وجودها من اتساع مساحة الدور الإقليمي لمصر بزعامة عبد الناصر ، فذكر الأردن والسعودية وليبيا ، كما لفت النظر إلى توتر العلاقات العراقية المصرية ، والسورية – المصرية ، ومن ثم فإن الوقت ملائم لتوجيه ضربة ضد لعبد الناصر ، تقابل بالتأييد من البلاد العربية في المنطقة[١] .

(١) مجلة الهلال يونيو ٢٠٠١ .

وحتى نعطى للزعيم حقه لابد من الإشارة إلى أنه هو الذي رفض بعد حرب ١٩٦٧ م التفريط بأي من الثوابت المصرية والعربية ، رغم الهزيمة المدوية ولم يفكر يوماً بأن يستسلم أو يركع لإسرائيل التى ظل وزير حربها الأسبق موشيه ديان ينتظر سماع جرس التلفون وهو يقرع فى تل أبيب وعلى الطرف الآخر الزعيم معلناً استسلامه حيث سمع من الزعيم لاءات مؤتمر قمة الخرطوم التى صيغت من قبل الزعيم « لا صلح ولا مفاوضات ولا اعتراف بإسرائيل ».

وأكثر من ذلك فلم تكد حرب ١٩٦٧م تضع أوزارها حتى قام الزعيم بشن حرب الاستنزاف على القوات الإسرائيلية المرابطة على الضفة الأخرى من قناة السويس استمرت لثلاث سنوات ، وألحقت خسائر كبيرة بالقوات الإسرائيلية ، ولم تتوقف إلا بعد أن قبل بمبادرة روجرز لاستكمال إقامة حائط الصواريخ كنوع من التكتيك الرامي للإستفادة من عنصر الوقت لخوض حرب الثأر الحاسمة التى كان من المقرر أن يبدأ بها فى إبريل ١٩٧١م ولم يسعفه الوقت لخوضها بسبب وفاته المفاجئة فى٢٨ سبتمبر ١٩٧٠م.

٦- علاقة الزعيم بالمشير عامر :

وتظل علاقة الزعيم بالمشير عبد الحكيم عامر لغزاً محيراً يصعب على المرء استيعاب كل جوانبه وتترك دائماً علامة استفهام ، فكيف لحبيب الملايين وعاشق شعبه وشعوب أمته العربية وتراب وطنه أن تطغى علاقته الشخصية بعامر على المصالح العليا للبلاد ، فتكون النتيجة أن تدفع مصر وغيرها الثمن غالياً ؟

وفي السطور التالية يفسر لنا محمود الجيار – أحد رجال الزعيم المقربين من خلال روايته لضياء الدين بيبرس هذا اللغز المحير وكيف انتهت حياة عامر؟

(ليس صحيحاً أن عبد الحكيم عامر قد حاول ، أو فكر فى أي وقت ، بأن يقوم بانقلاب على جمال عبد الناصر لم تكن العلاقة بينهما تسمح بمجرد التفكير فى شئ

كهذا ، وكان أقصى ما يفعل المشير حين يختلف مع عبد الناصر هو أن يقاطعه ويسافر إلى مكان لا يعرفه أحد ، وكان عبد الناصر عندئذ يبحث عنه حتى يعرف مكانه.

كانت شخصية المشير ، كرجل صعيدي بالغ الشهامة ، التى مكنت جماعة شمس بدران من أن تقوده إلى المأزق الذي انتهى بالنكسة ، ثم كانت شخصيته التى أتاحت « للرجل الآخر » أن يدفعه إلى الموت ، عن طريق تعريضه لإهانة لا يتحملها .

ولكن من كان هذا الرجل الآخر ؟ إنه الزعيم الجديد لمركز القوة الجديد الذي جاء يرثه ، والذي كان – لولا أنور السادات – أن يرث مصر كلها . إنه على صبري !) [١]

٧- نظام فرض الحراسات يقول أحمد طعيمة :

(أن نظام فرض الحراسات وتطبيقه وأسلوب تطبيقه ظلم وباطل . وطبق على علائلات وأفراد بلا قانون يتساوى الجميع أمامه إنما كان عنصر التقدير والاختيار والانتقاء أساسه.

كما طبق بخسة وفجور ونذالة فى منتصف الليالي على النساء فى حضورهن ولم يسلم الأطفال وهم فى مهدهم وامتدت آثاره من الأجداد إلى الآباء وإلى النساء والأطفال من الورثة حتى من كان منهم لازال فى علم الغيب أو في بطون الأمهات وامتدت نتائجه فى محيط هذه العائلات بصورة مختلفة يندي لها الجبين ويستحي منها الشرف .

فكم من أعراض هتكت وبيعت فى سبيل لقمة العيش ... وكم من أطفال

(١) الأسرار الشخصية لجمال عبد الناصر ، كما رواها محمود الجيار وسجلها ضياء الدين بيبرس – مكتبة مدبولي – القاهرة.

طردوا من مدارسهم وكم من أيد كانت تعطي فأصبحت تمتد بالسؤال تستجدي لقمة العيش .[١]

٨- عسكرة الدولة :

يزعم منتقدوا الزعيم أنه انقلب على الدولة ذات الطابع المدني زمن النظام الملكي، حيث كل الوزراء من الأفندية الباشوات ، وجعل الحكم كله فى يد العسكريين فيما عرف بالعسكرة .

إن مقولة « العسكرة » من باب توجيه الاتهامات الجاهزة ، فالوزارات التى تشكلت فى عهد الثورة لم تكن كلها عسكرية وإن كان للعسكريين فيها نصيب ، ويقول دكتور عاصم الدسوقي« بلغ عدد الوزراء العسكريين ٤٤ عسكرياً من إجمالي ١٣١ وزيراً فى ١٨ حكومة تشكلت خلال المدة من ٢٣ يوليو ١٩٥٢م وحتى رحيل عبد الناصر في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠م أي بنسبة ٣٣.٦ ٪ ، وبلغ عدد الوزراء المدنيين ٨٧ وزيراً أي بنسبة ٦٦.٤ ٪ أي أن المدنيين كانوا الأغلبية ، فأين هذه العسكرة؟»[٢]

٩- وفي هذا الإطار عبر د. عادل غنيم أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر ومجموعة من المؤرخين عن رؤيتهم :

يتحمل جمال عبد الناصر مسئولية إخافقين كبيرين حدثا فى عهده :

(١) هزيمة ١٩٦٧م التى مكنت إسرائيل من احتلال فلسطين جميعها إضافة إلى أحتلال أجزاء من مصر وسوريا والأردن والتى ما زالت الأمة العربية تعاني من توابع تلك الهزيمة حتى الآن .

(١) شاهد حق – صراع السلطة بين نجيب – عبد الناصر – عامر – السادات– أحمد طعيمة .

(٢) مقامات ناصرية – كتاب الجمهورية – د. عاصم الدسوقي .

(٢) عدم إنجاز أحد أهداف ثورة ٢٣ يوليو وهو إقامة حياة ديمقراطية سليمة)[١].

وتبدي الدكتورة لطيفة محمد سالم رأيها فى البند ثانياً السابق الإشارة إليه فى رؤية د. عادل غنيم وآخرون وهو عدم إقامة حياة ديمقراطية سليمة .

(وعلى الرغم من أن أحد المبادئ الستة لثورة يوليو كان « إقامة ديمقراطية سليمة» فإن الثورة بسبب جذورها العسكرية وتحفظها تجاه محصلة التجربة التداولية البرلمانية فى مصر قبل يوليو ١٩٥٢م ، قد حرمت نفسها منذ البداية من النمط الوحيد للديمقراطية الذي يملك آليات ومعايير معقولة للكفاءة والرشد السياسي .

ضمن هذا الفهم ، نعتبر أن عبد الناصر قد أهدر فرصة تاريخية بعد استقرار حكمه بنهاية عدوان ١٩٥٦ م لتحويل نفسه من « طرف» عسكري يتركز على حقائق القوة إلى « نظام سياسي» شامل يرتكز على التراضي بين مجموعة من القوى والطبقات المستفيدة من توجهات الثورة ومن المؤسف حقاً أن ملابسات نهاية عدوان ١٩٥٦م التى توجت عبد الناصر بطلاً لقوى التحرر فى مصر والعالم العربي، قد قادته – فى لحظة اختيار مصيرية – لاعتماد خيار الإنفراد الكامل بالسلطة كسبيل وحيد لإنجاز مشروعه السياسي والاجتماعي). [٢]

وفاته وجنازته :

بعد انتهاء القمة يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠م، عانى الزعيم من نوبة قلبية ، ونقل على الفور إلى منزله، حيث فحصه الأطباء ، توفي الزعيم بعد عدة ساعات، حوالي الساعة السادسة مساء. كان هيكل، السادات، وزوجة الزعيم السيدة تحية في

(١) جمال عبد الناصر وعصره مجموعة من المؤرخين المصريين بإشراف وتقديم د.عادل غنيم .

(٢) في محبة التاريخ – دراسات فى تاريخ مصر الحديث والمعاصرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب، تحرير لطيفة محمد سالم – إعداد عبد المنعم محمد سعيد.

فراش الموت ، وفقا لطبيبه الصاوي حبيب كان السبب المرجح للوفاة هوتصلب الشرايين، والدوالي والمضاعفات من مرض السكري منذ فترة طويلة ، وكان الزعيم يدخن بكثرة، هذا بالإضافة إلى تاريخ عائلته في أمراض القلب التي تسببت في وفاة اثنين من أشقائه في الخمسينات من نفس الحالة. بالرغم من كل ذلك فإن الحالة الصحية له لم تكن معروفة للعامة قبل وفاته.

بعد الإعلان عن وفاة الزعيم، عمت حالة من الصدمة في مصر والوطن العربي، حضر جنازة عبد الناصر في القاهرة في ١ أكتوبر من خمسة إلى سبعة ملايين مشيع ، من بينهم رؤساء وملوك وأمراء الدول العربية، باستثناء العاهل السعودي الملك فيصل ، بكى كل من الملك حسين ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات علنا، وأغمي على معمر القذافي من الاضطراب العاطفي مرتين ، وحضر عدد قليل من الشخصيات غير العربية الكبرى، منها رئيس الوزراء السوفيتي أليكسي كوسيغين ورئيس الوزراء الفرنسي جاك شابان دلماس.دفن الزعيم بمسجده بكوبري القبة بشارع الخليفة المأمون بالقاهرة.

لمحة إلى الزعيم :

- كان يرد على رسائل طلاب المدارس والجامعات بصورة ومعها كلمات طيبة تحمل معانى الأبوة قبل الزعامة .

- عندما راسلته فتاة يتيمة برغبتها فى حضوره زفافها لم يتردد مصطحباً معه شيخ الأزهر لعقد قرانها وكان شاهداً على عقد الزواج .

- استقبل المئات من المواطنين فى مقر إقامته مستمعاً لهم ومحققاً لشكواهم .

- كان حريصاً على إعلاء قيمة العلم والثقافة والارتقاء برسالة الإعلام .

- سعى جاهداً للتواصل مع الشعب فى سفرياته بالقطار ، والتواجد وسطهم

فى المؤتمرات الشعبية ، والمرور بسيارته المكشوفة فى الشوارع والميادين .

- ظل أبناؤه فى المدارس والجامعات المصرية كأقرانهم من أبناء الشعب دون تمييز فى الملبس والمأكل ووسائل النقل ، بل أنهم لم يكونوا معروفين كأبناء للرئيس .

- حاول جاهداً محاصرة الآثار السلبية نتيجة تطبيق الإجراءات الاشتراكية والحراسات فى اطار الشرعية الثورية ، وتحجيم تصرفات المسئولين من الصفين الثاني والثالث للضباط الأحرار ، لكن مراكز القوى متحالفة مع بقايا النظام السابق كانت تضع العراقيل وتنشر الشائعات .

- فى سفره بالقطار لأسوان ماراً بمدن وقرى الوجه القبلي رمى أحد المواطنين لفافة من القماش ظن مرافقوه أنها قنبلة فاكتشفوا أن بها خبزاً وبصلاً فنظر الزعيم ملوحاً للمواطنين قائلاً « وصلت الرسالة » وفي خطابه بالمؤتمر الشعبي بعد هذه الواقعة مباشرة رفع أجور عمال الزراعة ووفر مظلة الرعاية الصحية والاجتماعية لهم.

- كان الزعيم فى زيارة للفيوم حيث استوقف موكبه مواطن يدعى عبد الباقي جبر مصاباً ببتر فى الساق اليمنى وفتحة فى شدقه بشظية فى الحرب العالمية الثانية ، وترجل الزعيم من سيارته سائلاً الرجل عن أحواله وماذا يريد ؟ فطلب المواطن إلحاقه بالعمل مؤذنا فى أحد المساجد فأمر الزعيم بعلاجه وتركيب ساق صناعية له وتعيينه بأحد مساجد الفيوم (مسجد الشيخ حسن) .

- روى الشاعر عبد المنعم عواد يوسف – وكان مدرساً بمدرسة أبناء الزعيم الابتدائية – ما يلي :

١. أتى خالد نجل الزعيم متأخراً عن طابور الصباح ولما سأله المشرف عن سبب التأخير كان رده أنه جاء ماشياً لأن والده منعه من ركوب سيارة الرئاسة بعد

أن أتى بها فى اليوم السابق بدون علمه .

٢. لفت انتباه ناظر المدرسة حذاء أحد أبناء الزعيم الممزق فطلب منه الامتناع عن لعب الكورة بحذائه فكان رد الطالب أن هذا هو حذاء هذه السنة .

٣. عنف ناظر المدرسة طالب تشاجر مع نجل الزعيم ، فذهب الزعيم للمدرسة فى اليوم التالي وطلب استدعاء ولي أمر الطالب وقدم اعتذاره له ووجه الناظر بأن تكون معاملة أبنائه كباقى زملائهم.

- فى ٨ أغسطس عام ١٩٥٩م ذهب الزعيم وبصحبته عدد كبير من رموز الثورة إلى مدينة المحلة الكبرى من أجل افتتاح التوسعات الجديدة لمصانع الغزل والنسيج والصوف بشركة مصر للغزل والنسيج ، ولما علم بمرض رفيقه فى السلاح البكباشي حمدي عبيد بمسكنه فى فيلا الخواجه باندليه استأذن قبل تناول الغذاء لزيارته ليفاجئ الأهالي بمنطقة السبع بنات بالمحلة بالزعيم وسطهم .

- يروى سكرتيره الخاص محمد أحمد أن إحساس الزعيم بالفقراء كان مرهفاً ، فكانت تلمع فى عينيه أشياء لا يفكر فيها أحد ، يلحظ ملابسهم وأحذيتهم وملابس الفلاح البسيط ، وعندما كان يذهب إلى برج العرب ، كان يقيم فى بيت المأمور القديم ، وكان يخرج ليسير على قدميه ، يلتقى بعساكر الهجانة والخفراء ، ويقول سكرتيره الخاص: « أذكر أننى رأيته أكثر من مرة يجلس على بطانية على الأرض مع بعض عساكر الهجانة ويتحدث إليهم ، وكان يحب أن يختلط بالناس».

- كانت أسرته هي كل حياته الخاصة ، بينما كان بيته هو مكتبه ، حيث كان يقضى وقتاً طويلاً حتى ساعة متأخرة من الليل ، ليصعد بعدها إلى غرفته ليجد كومة من صحف العالم ، وبجواره الراديو يستمع إلى نشرات الأخبار ، ولا يطفئ نور غرفته قبل الثانية أو الثالثة فجراً .

- لم يهتم الزعيم بتكلفة ملابسه كثيراً ، فكان القميص الذي يرتديه من « عمر أفندى » وثمنه جنيهان وكان يضيف إلى ملابسه كل عام بدلة أو اثنتين تفصيل كما كان يفصل أحذيته ، وكانت الألوان المفضلة لديه « الأزرق والرمادي ».

- وفي احتفال أسرته بعيد ميلاده أو أحد أفرادها يشترون « تورته » و«جاتوه» فى تجمع بسيط لا يستغرق سوى دقائق قليلة .

- يرجع السبب فى إنشاء معهد ناصر لعلاج السكر إلى إحدى المرات التى حضر فيها طبيب السكر العالمي « بولش » للكشف على الزعيم ، وحينها طرح الأخير تساؤلاً عليهم « والشعب العيان بالسكر هتجيبوله بولش برضوا ؟؟» ومنذ ذلك الوقت تقرر إنشاء المعهد ليتاح العلاج لعموم المواطنين .

- كان أعضاء مجلس قيادة الثورة فى نظر الزعيم هم أقرب الناس إليه ، حتى بعد وقوع بعض الخلافات بينهم ، وكان يستشيرهم ويلتقى بهم كلما سمحت الظروف .

- كان يهتم بالمواطنين ولا يعتمد فقط على البيانات الخاصة بالحالة الاقتصادية والاجتماعية ، وكان يحرص على متابعة حركة الأسعار فى الأسواق .

- كانت علاقته بوالده علاقة احترام ، ورفض تدخل والده لمساعدته فى الالتحاق بالكلية الحربية ، أما عمه « خليل » فكان له تاريخ وطني ومن ثوار ١٩١٩م.

- كان الزعيم مستمعاً جيداً حتى لهؤلاء الذين يختلفون معه فى الرأي ، فكان يرسل هدايا إلى أسر الذين تآمروا عليه ، بخاصة فى شهر رمضان ، حتى أشد المتآمرين عليه إذا كان داخل السجن يسأل عن زوجته وأبنائه .

- كان الزعيم لا يحب تمييز أبنائه عن باقي المواطنين ، وطلب من سكرتيره الخاص أن يذهب الأبناء للمدارس بالأتوبيس مثل باقي التلاميذ .

- تمكن الزعيم من إجراء توسعات وإعادة تأهيل لمجموعة من المشروعات والمصانع التى أقيمت من قبل ، وأهمها التى شيدها الاقتصادي الوطني محمد طلعت حرب باشا .

- هيئة الرقابة الإدارية أنشأها الزعيم عام ١٩٦٤م طبقاً للقانون رقم ٥٤ لسنة ١٩٦٤م تمارس كافة أشكال الرقابة الإدارية والمالية والفنية وضبط الجرائم الجنائية ومنوط بها مكافحة الفساد الإداري.

- برج القاهرة تم بناؤه فى عهد الزعيم بالجزيرة وبلغت تكاليفه ٦ ملايين جنيه مصري (٣ ملايين دولار أمريكي) أعطتها الولايات المتحدة الأمريكية للزعيم للتأثير على موقف مصر المؤيد للثورة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي ، لكن مصر ظلت مساندة للجزائر محتضنة ثوارها وحكومتها المؤقتة، بلغ ارتفاعه ١٨٧ متراً ، أطلق عليه الأمريكيون (شوكة عبد الناصر) أما المصريون فقد أطلقوا عليه (وقف روزفلت) ، وسيظل البرج شاهداً على حماقة المخابرات الأمريكية على مدى التاريخ.

- لم يستطع الزعيم التدخل فى شئون القوات المسلحة منذ قيام الثورة وحتى نكسة ١٩٦٧م تاركاً إدارتها وترقيات قادتها للمشيرعامر ومن حوله وعلى رأسهم شمس بدران عن طيب خاطر أو مرغماً . وكان ظهيره الشعبي بما فيه الإتحاد الاشتراكي ومنظمة الشباب والتنظيم الطليعي يمثل السند الحقيقي فى المواجهة .

- أقام مشروعات الصناعات الثقيلة والتحويلية والاستراتيجية والبرنامج النووي والصناعات الحربية .

- خرج الزعيم من أزمة مارس ١٩٥٤م والتى امتدت لعدة شهور (٢٢ فبراير – ١٤ نوفمبر ١٩٥٤م) منتصراً ، إذ عاد رئيساً لمجلس الوزراء ورئيساً لمجس قيادة الثورة .

- كان التنظيم الطليعى (طليعة الاشتراكيين) بمثابة وعاء لبناء شخصية الكوادر السياسية ابتداء من منظمة الشباب الاشتراكي وحتى الإتحاد الاشتراكي العربي مهمته مساعدة القيادة السياسية على محاصرة الانحراف فى أجهزة الدولة وسلطاتها التنفيذية والتشريعية والقضائية ومواجهة عناصر الثورة المضادة وتمدد نفوذ الجيش ، وكان للتنظيم الطليعي امتدادًا خارجياً أُطلق عليه (الطليعة العربية) لدعم حركات التحرر الوطني .

- يعد الزعيم قائداً لثورة يوليو ١٩٥٢م ، ورائداً من رواد العالم الثالث ، وسياسياً له مكانته فى عالم الحرب الباردة ، ولا يزال فى مماته كما كان فى حياته يؤرق الخصوم ويثير الجدل.

- رؤية المؤرخين والمفكرين لمشروع الزعيم :

١- فيما يلي رؤية الدكتور / عاصم الدسوقي أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر «بتصرف» [١]

أعاد بناء مصر فاستحق الزعامة

قبل أن يبدأ جمال عبد الناصر خطوات إعادة بناء مصر على طريق مبادئ الثورة الستة كان عليه أن يمهد الطريق لتحقيق الأهداف وذلك بإزالة العقبات التى يحتمل أن تعترض طريقه وتهيئة المناخ لدعم الثورة وهكذا وفي خلال أيام قليلة اتخذ الإجراءات الوقائية الآتية:

- اعتقال كبار الضباط القدامى من قادة الأسلحة ومن فى حكمهم قبل ساعة الصفر فى منازلهم أو مراكزهم أو في طريقهم إليها ونقلوا إلى الكلية الحربية كل منهم فى غرفة.

- احتلال دار الإذاعة ومقر شركة ماركوني بشارع علوي ومبنى الإذاعة في

(١) مجلة الهلال عدد يناير ٢٠١٨ بمناسبة مرور ١٠٠ عام على ميلاد الزعيم .

أبي زعبل فى الساعة الرابعة صباح يوم ٢٣ يوليه .

- تكليف على ماهر باشا بتأليف وزارة جديدة خلفاً لوزارة أحمد نجيب الهلالي التى كان قد ألفها يوم ٢٢ يوليو على اعتبار أن على ماهر أحد رجال القصر الملكي وسبق أن تولى رئاسة الديوان الملكي وكان رئيساً للوزارة من قبل وكان ذلك الاختيار مناورة لطمأنة الملك وعدم استعدائه خاصة أن الضباط أعلنوا فى البداية أن غرضهم إصلاح الجيش من الفساد لكن على ماهر طلب أن يتم تكليفه بشكل طبيعي من الملك فاروق فاستجاب الضباط وكان له ما أراد يوم ٢٤ يوليو .

- طلب الضباط صبيحة يوم ٢٥ يوليو من الملك فاروق إبعاد ستة من حاشيته وهم : أنطون بوللي مدير الشئون الخصوصية للملك ، ومحمد حسن خادمه الخاص ، وإلياس أندرواس المستشار الاقتصادي ويوسف رشاد كبير الأطباء ، وحسن عاكف طيار الملك الخاص ، والأميرالاي محمد حلمي حسين مدير إدارة السيارات الملكية .

- إجبار الملك على التنازل عن عرشه لابنه أحمد فؤاد وصدر أمر ملكي رقم ٦٥ لسنة ١٩٥٢م بذلك فى يوم ٢٦ يوليو وغادر البلاد فى نفس اليوم .

- وفي الثاني من أغسطس تم إلغاء الرتب والألقاب المدنية (بيك وباشا) وصدر مرسوم بالعفو الشامل عن جرائم العيب فى الذات الملكية أو الملكة أو ولي العهد التى كان معمولاً بها وراح ضحيتها الكثير .

ثم يضيف ولما رفض على ماهر رئيس الوزراء الموافقة على إصدار قانون الإصلاح الزراعي باعتباره ربيب النظام الملكي تم إعفاؤه فى ٧ سبتمبر ١٩٥٢م وتكليف محمد نجيب برئاسة الحكومة ، وفي اليوم نفسه تم اعتقال ٧٤ شخصاً من رجال السراي والأحزاب وتم إيداعهم بالمدرسة الثانوية العسكرية كإجراء وقائي ثم أفرج عنهم بالتدريج خلال نوفمبر وديسمبر (١٩٥٢م) .

وهكذا وفي ٩ سبتمبر (١٩٥٢ م) صدر قانون الإصلاح الزراعي لتجريد كبار ملاك الأراضي الزراعية من سلاح قوتهم السياسية وضبط علاقات الإيجار وكان وضع الملكية الزراعية فى مصر سبباً رئيسياً لبؤس الفلاحين فى مصر وهم الأغلبية العظمى من المصريين .

ثم يقول : وبفعل سياسات الإصلاح الزراعي انخفضت نسبة الأسر المعدمة فى الريف من ٤٤٪ عام ١٩٥٠م من إجمالي عدد أسر الريف كما سبقت الإشارة إلى ٣٠ ٪ عام ١٩٦١م ، ثم إلى ٢٨٪ عام ١٩٦٥م.

ولقد كان لتحديد إيجار الأرض الزراعية بسبعة أمثال الضريبة (٢١ جنيهاً للفدان) . وتحديد « المزارعة » بنصف المحصول تأثيره الكبير على الانتعاش الاقتصادي لصغار المستأجرين إذ تمكنوا من الانتفاع الحقيقي بجزء من ناتج قوة عملهم لينفقوه على احتياجاتهم الاجتماعية وكان قبل ذلك يذهب إلى جيب المالك حيث كان إيجار الفدان قبل الثورة يتراوح بين ٢٥-٦٠ جنيهاً للفدان الواحد .

كما اهتمت حكومة الثورة بأبناء الفلاحين من عمال الورش والمصانع حيث تقرر إلغاء الفصل التعسفي للعمال ، وكان أصحاب المصانع يمارسونه دون حسيب أو رقيب بحيث لم يكن العامل يأمن على يومه كما تقرر إنشاء صندوق التأمين وآخر للإدخار للعمال (٣١ أغسطس ١٩٥٥ م) تحول إلى مؤسسة للتأمين ضد الشيخوخة والوفاة والعجز وأمراض المهنة والبطالة والمرض ، كما نظم القانون التعويض عن إصابة العمل (١٨ ديسمبر ١٩٥٨ م) .

ثم صدر قانون جديد للعمل (٥ أبريل ١٩٥٩م) كما تقرر من قبل وفي ١٧ سبتمبر ١٩٥٢ م تخفيض إيجارات المساكن ١٥ ٪ للمباني التى أنشئت منذ أول يناير ١٩٤٤م ، وقد قصد به التيسير على عمال المدن والحرفيين والموظفين نظراً لثبات الأجور والمرتبات .

ويتابع سيادته كما تم تشجيع رأس المال المصري للمساهمة أيضاً في التنمية حين تقرر جواز إعفاء الشركات المساهمة وشركات التوصية من الضرائب على الأرباح التجارية والصناعية والقيم المنقولة لمدة سبع سنوات إذ كان غرضها إنشاء مشروع لازم لدعم الاقتصاد القومي فى الصناعة أو التعدين أو القوى المحركة (قانون رقم ٤٣ لسنة ١٩٥٣م) وفي إطار سياسة التشجيع تم تخفيض الرسوم الجمركية على استيراد الآلات والمواد الخام وإلغاء بعضها ، وزيادتها على المواد الكمالية والمصنوعات التى لها نظير في البلاد حماية للصناعة الوطنية.

وفي أعقاب تأميم قناة السويس (٢٦ يوليو ١٩٥٦م) قرر عبد الناصر أن تقوم الدولة بكامل الدور الاقتصادي في الاستثمار وكانت البداية فرض الحراسة على المؤسسات الإنجليزية والفرنسية وعددها ١٥٠٠ مؤسسة من بنوك وشركات تأمين وبترول وتعدين في أعقاب العدوان الثلاثي في أكتوبر – نوفمبر ١٩٥٦م وتأسست وزارة الصناعة لتوجيه شئون التصنيع واستغلال الثروة المعدنية وبعد انسحاب القوات المعتدية فى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦م تم إنشاء مجلس التخطيط الأعلى (١٣ يناير ١٩٥٧م) ليتولى تحديد الأهداف الاقتصادية والاجتماعية للدولة وإقرار خطط التنمية في مراحلها المختلفة تفرعت منه لجنة التخطيط القومي لإعداد الخطة العامة للتنمية ثم أدمج فيها كل من مجلس تنمية الإنتاج القومي ومجلس الخدمات العامة .

كما تم تمصير الوكالات التجارية وقصر مزاولة أعمالها على المصريين أو الشركات المساهمة بحيث تكون أسهمها للمصريين .

ثم أقدمت حكومة الثورة على تأميم جميع وسائل الإنتاج الكبيرة الأجنبية والمصرية فى يوليو ١٩٦١ م ، وإقامة القطاع العام للقيام بالمشروعات التى يتردد رأس المال الخاص فى إقامتها ولم يكن القطاع العام يستهدف الربح وإنما كان يستهدف منع الاستغلال الرأسمالي ولهذا كانت السلعة تقدم للمستهلك بتكلفتها

تقريباً ولو كان يستهدف الربح لكان من السهل تسعير منتجاته تسعيراً رأسمالياً وقد سجلت الإحصاءات فى أبريل ١٩٦٢م أي بعد حوالي عشرة أشهر من التأميم زيادة قدرها ٩.٢ ٪ في انتاج الشركات المؤممة وفي أول مايو ١٩٦٥م أعلن جمال عبد الناصر أن الخطة الخمسية الثانية سوف تبدأ فى يوليو ، وبدأ تنفيذ الخطة الخمسية الثانية التى استهدفت بناء قوة صناعية كبرى لكن هذه القوة الصناعية المحتملة لمصر كانت هاجس الإمبريالية الأمريكية وكانت سبب سعي أمريكا لتصفيتها حتى تحتفظ بالسوق المصرية تابعة ومن ثم السوق العربية لصالح المنتجات الرأسمالية الأمريكية . ومن هنا تم تدمير تجربة عبد الناصر فى بناء اقتصاد وطني مستقل وبرحيله بدأ عصر الانفتاح الثاني وعادت مصر سوقاً للاستهلاك بعد أن كانت قلعة للإنتاج .

لكن أعداء ناصر ينسون كل هذه الإنجازات فى بناء مصر وحماية استقلالها ولا يذكرون له إلا أنه تسبب فى العدوان على مصر فى ١٩٥٦م ويونيه ١٩٦٧م ويغفلون أن العدوان قصد به تدمير مشروع عبد الناصر فى بناء القوة الاقتصادية وفي تأمين الثورة بتوسيع دائرة حركة التحرر الوطني وهذا ما لم تكن ترضي عنه الولايات المتحدة الأمريكية التى قال رئيسها آيزنهاور في الخامس من يناير ١٩٥٧ « يجب أن يرحل ناصر (**Nasser Must go**) وذلك فى أعقاب إعلان ناصر فى أول يناير ١٩٥٧م إلغاء اتفاقية الجلاء مع بريطانيا وكانت الاتفاقية تسمح لبريطانيا باستخدام القاعدة العسكرية فى الإسماعيلية فى أي وقت من الأوقات ولصالح حلف بغداد الذي رفض ناصر الإنضمام له (تأسس فى فبراير ١٩٥٥م)

ولا يذكر خصوم ناصر إلا أنه قضى على التجربة الديمقراطية الليبرالية فى مصر بإلغائه دستور ١٩٢٣م مع أن هذه الليبرالية والديمقراطية المدعاة والتى بدأت مع دستور ١٩٢٣م كانت شكلية بحتة وكل ما فعلته إعطاء الفرصة لحكم صفوة أصحاب رأس المال الزراعي والصناعي والتجاري على حساب الفقراء وهم غالبية الشعب المصري ، وهؤلاء الليبراليون الذين حكموا مصر لم تصدر منهم أية

تشريعات لصالح الفقراء ، وفشلوا فى تحقيق الجلاء بل لقد قبلوا صاغرين معاهدة ١٩٣٦م التى نظمت وجود الجيش الإنجليزي فى مصر وفرضت على مصر أن تستقبل بعثة عسكرية بريطانية لتدريب الجيش المصري وتسليحه وألا تشتري مصر السلاح إلا من إنجلترا ، وقد قبل المفوض المصري « الليبرالي » هذه الشروط مقابل أن إنجلترا تساعد مصر على إلغاء الإمتيازات الأجنبية ووجدها المفوض المصري الذي يمثل صفوة أصحاب رأس المال فرصة لزيادة أرباحهم بعد التخلص من المنافسة الأجنبية .

ويقول أنصار هذه الليبرالية المدعاة أن مصطفى النحاس ألغى معاهدة ١٩٣٦م فى ٨ أكتوبر ١٩٥١م وهم لا يعرفون أن الإلغاء كان مقابل أن تنضم مصر لحلف كانت تعده أمريكا لحصار السوفيت زمن الحرب الباردة وهو حلف قيادة الشرق الأوسط (**Middle East Command**) وهو الذي أخذ اسم حلف بغداد فيما بعد فلما رفض النحاس الانضمام إليه أعلنت أمريكا أن إلغاء المعاهدة قد ألغيت كما يعتقد أنصار الوفد ، فلماذا تفاوض مجلس قيادة ثورة يوليو بشأن الجلاء ؟

وفى هذا المقام لا ينبغي أن ننسى دور جمال عبد الناصر فى تأمين الثورة وذلك بتشجيع حركات التحرر الوطني والاجتماعي فى العالم الثالث منذ انضمامه إلى مجموعة الحياد الإيجابي التى تشكلت فى باندونج فى أندونيسيا فى أبريل ١٩٥٥م، والتى أزعجت أمريكا حيث صرح رئيسها أيزنهاور أن هذا التجمع لا أخلاقي **immoral** إذ المفروض على أية دولة أن تكون إما مع الكتلة الشرقية أو مع الكتلة الغربية (زمن الحرب الباردة). ومن هذا المنطلق وقف عبد الناصر إلى جانب ثورة اليمن (سبتمبر ١٩٦٢ م) التى لا يذكر خصومه عنها إلا أنها أهدرت أموال مصر وراح ضحيتها عدد كبير من الجيش مع أن دعم مصر لهذه الثورة كان فى إطار تأمين ثورة يوليو نفسها وهنا يتعين الإشارة إلى أن اليمن شهد ثورة فى عام

١٩٤٨ م ضد نظام الإمامة الحاكم فوقفت ضدها المملكة السعودية وأيضاً الملك فاروق فى مصر لأن نجاح ثورة ضد نظام الإمامة أو ضد أي نظام ملكي مـن شـأنه أن يشجع ثورات مماثلة ولما نجحت الثورة فى مصر وأطاحت بالنظام الملكي قام إمام اليمن بسحب أجهزة الراديو من السوق حتى لا يستمع الناس لأخبار ثـورة في مصر ضد النظام الملكي .

ويبـدو واضـحاً أن الهجـوم عـلى جمـال عبـد الناصـر جـاء ومـا يـزال بسـبب الإجراءات التى اتخذها عبد الناصر من أجل تحقيق اسـتقلال الـبلاد عـن النفـوذ الإنجليزي والمضي فى بنائها وتقويتها حتـى تصـبح « حـرة مسـتقلة » ولا تتلقـي توجيهات خارجية تضر بالإسـتقلال وبالمصـالح العليـا وهـذه القـوى المعاديـة تنحصر طبقاً لإجراءات ثورة يوليو فى خمسة وهي: أولى هذه القـوى أولئـك الـذين خضعوا لقانون الإصـلاح الزراعـي (٩ سـبتمبر ١٩٥٢ م) وانحسـرت قـوتهم فى الريف المصري وفي الحياة السياسية بشكل عام .

وثانيها أنصار الأحزاب السياسية التى تم إلغاؤها في ١٧ ينـاير ١٩٥٣م الـذين فقدوا فرصتهم فى الصعود السياسي بطريقة أو بأخرى .

وثالث هذه القـوى جماعـة الإخـوان المسـلمين وأنصـارهم وأتبـاعهم الـذين انقلبوا على ثورة يوليو وكانوا يتطلعون إلى حكم البلاد وحاولوا اغتيال عبد الناصر (٢٦ أكتوبر ١٩٥٤م) فكان مصيرهم السجن .

ورابع تلك القوى المعادية أولئك الذين خضعت شركاتهم لقرارات التأميم فى يوليو ١٩٦١م وكان عبد الناصر قـد لجـأ إلى التـأميم للقيـام بمشـروعات التنميـة الأساسية للبلاد بعد أن رفـض أصـحاب رأس المـال اسـتثمار أمـوالهم فى تلـك المشروعات وفضلوا الاستمرار فى الاستيراد تحقيقاً للربح دون مبالاة للتبعية .

أما خـامس تلـك القـوى فـإنهم أنصـار الحركـة الشـيوعية المصـرية بفـرقهم المختلفة الذين اختلفوا مع مبادئ ثورة يولية على مرحلتين : كانت الأولى في أزمـة

مارس ٩٥٤ م حين انضموا للقوى المعادية فى المطالبة بعـودة الجـيش للثكنـات وإعادة الأحزاب وكأن شيئاً لم يكن ثم فى عام ١٩٥٨م حين تحالفوا مع السـوفييت للقضاء على وحدة مصر وسوريا التـى أعلنـت في فبرايـر ١٩٥٨م فكانـت النتيجـة اعتقالهم فى أول يناير ١٩٥٩م .

والخلاصة أن أولئك الذين ينتقدون سياسات جمال عبد الناصر كانوا يدافعون عن مصالحهم الذاتية وليس مصالح الأمة المصرية بينما جمـال عبـد الناصـر قـام بالثورة من أجل مصالح الأمة وليس من أجـل مصـلحة شخصـية بـأي حـال مـن الأحوال فقد كان ضابطاً بالجيش وطريق الترقي أمامه مفتوحاً ، ومتزوج وله أسرة ويمتلك سيارة خاصة وكذلك الحال بالنسبة لسائر مجموعة الضباط ، وهذا يؤكد أن انقلابهم على الحكم كـان مـن أجـل جمـاهير الشـعب المصـري الـذين فقـدوا كرامتهم حتى لقد كانت حكومات العهد الملكي ترفع شعار « مقاومة الحفاء »

٢- فيما يلي رؤيـة الـدكتور جمـال شـقرة اسـتاذ التـاريخ الحـديث والمعاصـر (بتصرف) (١)

ولد جمال عبد الناصر يوم ١٥ ينـاير ١٩١٨م بـالمنزل رقـم ١٨ بشـارع أنـواتي بحي باكوس بمدينة الإسكندرية ، وهو الابن الأكبر لأسرة مصرية صميمة نشـأت فى قرية صغيرة تبعد ثلاثة كيلو مترات شمال شرق مدينة أسيوط تسمى « بنى مر»

كان والده موظفاً صغيراً بمصلحة البريد لا يملك سوى راتبـة الشـهري ، لـذا عاشت أسرته حياة متواضعة لا تختلف كثيـراً عـن حيـاة مئـات الآلاف مـن أبنـاء الكادحين فى مدن وقرى مصر .

تأثر عبد الناصر بالظروف العالمية قبـل وإبـان وفي أعقـاب الحـرب العالميـة الثانية ، كمـا تـأثر بالأزمـة الطاحنـة التـى كـان يعـاني منهـا المجتمـع عـلى جميـع

(١) مجلة المصور العدد ٤٥٧٢ بتاريخ ٢٣/ ٥/ ٢٠١٢ م .

المستويات ، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وتأثر كذلك بالكتب التى قرأها أثناء دراسته في المرحلة الابتدائية والثانوية وفي الكلية الحربية .

وتأثر عبد الناصر كـذلك بالحركـة السياسـية الغـامرة التـى شـهدتها مصـر في الأربعينيات وبمقولات وطروحـات وبـرامج الجماعـات الأيديولوجيـة السـرية والعلنية تلك الجماعات التى ملأت الشارع السياسي صخباً وعنفـاً والتـى وقـف بعضها على يمين النظام والبعض الآخر على يساره .

على أية حال وبعد تخرجه تبلور حلمه فى ضرورة إنقاذ مصر من بـراثن الفسـاد وتحقيق حلم مصر فى التحرر والاستقلال والتنمية والتحديث لذلك أسس تنظـيم الضباط الأحرار سـنة ١٩٤٥م ونجـح فى ضـم معظـم الضـباط الـوطنيين الـذين لحقتهم يد السياسة واستقل بتنظيمه عن القوى السياسية الأيديولوجية التى كانت تعارض النظام .

وفي ٢٣ يوليو ١٩٥٢م نجح عبد الناصر ورفاقه الضباط الأحرار فى قلب نظـام الحكم وطردوا الملك فاروق في السادس والعشـرين مـن نفـس الشـهر وأخـذوا السلطة الكاملة فى أيديهم .

كان على جمال عبد الناصر أن يواجه مشـاكل وتحـديات عديـدة منهـا ، عـلاج الأزمة الاقتصادية الاجتماعية الخانقة التى كانت تمسك بتلابيب البلاد ، وكـذلك إيجاد حل للقضية الوطنية وللمسألة السودانية ، كما كـان عليـه أن يحـدد موقـف مصر من المعسكرين المتصارعين وبين الحرب الباردة التى تـدور بينهمـا فضـلاً عن تحديد موقف من الأحزاب السياسية والقوى السياسـية الداخليـة المعارضـة لهم والمتطلعة للسلطة خاصة جماعة الإخوان .

ونجح عبد الناصر فى تدعيم سلطة مجلـس قيـادة الثـورة بعـد صـدور فتـوى مجلس الدولة بعدم شرعية عودة البرلمان الوفدي المنحـل ، كمـا نجـح فى إقـرار القانون وشرع فى بناء نظام سياسي جديد بعد أن شرح الجسد السياسي الـداخلي ،

بإعلانه سقوط دستور ١٩٢٣م تحديد سلطات الدولة وقواعد الحكم الذي نظمها الإعلان الدستوري الذي نظم الحقوق والواجبات خلال فترة الانتقال ، وفي ١٨ يونيه ١٩٥٣م ألغي النظام الملكي وتحولت مصر إلى النظام الجمهوري.

لقد نجح جمال عبد الناصر حتى قبل التحدي الذي واجهه سنة ١٩٥٦م فى تعديل صيغة التوازن فى العلاقات التى يرتكز عليها النظام القديم ومؤسساته حيث نجح من اللحظة الأولى فى السيطرة على سلطة إصدار القرار وطهر جهاز الدولة القديم .

إلا أن قوى الثورة المضادة والصراعات السياسية العنيفة التى اندلعت سنة ١٩٥٤م ، فرضت عليه أن يدير الصراع لصالح الثورة متمترساً خلف المبادئ الستة التى لاقت قبولاً من الجميع وكانت بمثابة نقطة التقاء التفت حولها كل القوى الوطنية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار رغم الخلافات الأيديولوجية العميقة .

وبعد أزمة مارس ١٩٥٤ م استقرت الأوضاع السياسية لصالح جمال عبد الناصر ومجلس قيادة الثورة وتراجعت كل القوى التى كانت تهاجم الثورة ، وتحقق شئ من الانسجام والتناغم ، وخطا جمال عبد الناصر أولى خطواته فى طريق الزعامة وأصبح بعد ١٩٥٢م مطلق الحرية فى تشكيل وصوغ مصر الجديدة .

ومن خلال الوثائق المتاحة وشهادات شهود هذه المرحلة التى حكمها عبد الناصر، كان يعتمد على لجنة استشارية تقوم بدراسة الموضوعات التى يرى ضرورة دراستها وإعداد التوصيات أو البدائل ، وكان يوافق أو يعترض أو يطلب المزيد من الدراسة .

إن المطبخ السياسي في فترة حكم عبد الناصر كان ساخناً دائماً وكانت الموضوعات العامة المتعلقة بمصالح الجماهير كالحالة التموينية ومشكلات

التعليم والصحة والعامة والصناعة موضوعات دائمة على مائدة جلسات مجلس الوزراء .

ويجمع رفاق عبد الناصر والوزراء الذين تعاملوا معه أنه بالإضافة إلى عشقه للقراءة ، كان مستمعاً جيداً ، وكان يستمع لفترات طويلة للوزراء دون أن يقاطعهم، بعد ذلك يبدأ فى مناقشة ما استمع إليه فى هدوء ، إلا أنه أحياناً كان يخرج عن الهدوء ، خاصة عندما يكون الوزير غير ملم بالموضوع الذي يعرضه ، وكان يؤمن إيماناً لا يتزعزع بأنه لا توجد إدارة اشتراكية وإدارة رأسمالية ولكن توجد إدارة ناجحة وإدارة فاشلة .

إن أعداء عبد الناصر الذين اختصموه حياً وميتاً يحلو لهم الادعاء بأن قرار تأميم قناة السويس ٢٦ يوليو ١٩٥٢م كان قراراً انفعالياً متسرعاً وهؤلاء لا يعلمون أن القرار درس مبكراً جداً قبل مشكلة سحب الغرب لتمويل مشروع السد العالي ليت هؤلاء اطلعوا على الكراسة الزرقاء التى كان يحتفظ بها على صبري وفيها كل الاحتمالات الخاصة بتأميم القناة بما في ذلك الاعتداء على مصر عسكرياً .

فضلاً عن أن مشروع السد العالي الذي وصفه الإخوان بأنه « سد مشئوم » كان قد قتل درساً بعد قيام الثورة مباشرة ، ورصدت سلبياته قبل إيجابياته وكذلك مسألة الموافقة على حق الشعب السوداني فى تقرير مصيره ، وهو الموضوع الذي يحلو للبعض توجيه الاتهام بسببه لعبد الناصر ، والادعاء بأنه أضاع السودان بالطبع هؤلاء لا يعلمون حجم التقارير والرسائل التى وردت من داخل السودان إلى مجلس قيادة الثورة والتى أكدت أن السودان لن يقبل بالوحدة مع مصر للحصول على الاستقلال أولاً .

نفس الأسلوب فى اتخاذ القرارات اتبع في موقف مصر من تهديدات إسرائيل قبل ١٩٦٧م ، كان هناك إجماع من القيادات السياسية والعسكرية وعلى رأسها

المشير عبد الحكيم عامر ووزير الحربية وقتئذ شمس بدران ، بأن مصر لا تريد الحرب ، لكن إذا أرادت إسرائيل ذلك فلن تتردد مصر فى مواجهتها وكذلك لم يكن قرار إغلاق خليج العقبة من بنات أفكار عبد الناصر بل كان قراراً فرضته الظروف الموضوعية ونوقش فى اجتماع موسع ضم أعضاء اللجنة التنفيذية العليا وحضره المشير ووزير الحربية وكان مفهوماً لأن الولايات المتحدة الأمريكية هي التى تتحرش بمصر وأنها ستستخدم إسرائيل فى محاولة ضرب الثورة المصرية ذات التوجهات والسياسات التى لا ترضى ليندون جونسون.

وبالجملة نجح جمال عبد الناصر طوال مدة حكمه فى تعبئة طاقات المجتمع المصري والعربي بل وطاقات دول العالم الثالث فى آسيا وإفريقيا وأمريكا الجنوبية، لمواجهة قوى الاستعمار والإمبريالية ، كما نجح فى تحدي الواقع المتردي الذي كانت تعاني منه مصر كما نجح فى تطويره لشعاراته ومقولاته وتكييف تصوراته السياسية فى ضوء ما كان يصل إليه من نتائج وقناعات ولا يعيبه كقائد سياسي اتخاذه من التجربة محكاً للتثبت من صحة أفكاره ، أو التحقق من صحة مبادئه .

لذلك جاءت طروحاته الرئيسية فى فلسفة الثورة والميثاق وخطب ما قبل الرحيل مختلفة في أساسها عن « المادية الجية » وكذلك عن « الفكر المثالي » حيث رفض القول بأن التاريخ هو صراع أفكار فحسب ، كما رفض اعتبار الواقع المادي صانعاً للمستقبل، وإنما كان يري أن التاريخ الإنساني تفاعل الإرادة الإنسانية مع كل من الفكر والمادة أي مع المثال والواقع .

لقد كان جمال عبد الناصر شخصية بشرية مركبة وربما تراجيدية تمتعت بعقلية سياسية حاذقة متأثرة بالإطار التاريخي والخلفية الثقافية التى عاصرها ، وكان فى المرحلة النهائية مصرياً مسلماً وعربياً ، ثم كان ثورياً من العالم الثالث ونتاجاً للثورة التى أنجبت نهرو وماوتسي تونج وسوكارنو ونكروما وكاستروهوشي منه .

لقد أجاد عبد الناصر قراءة التاريخ فصنعه وتبوأ قبل رحيله ولا يزال مكانة بارزة فى ذاكرة الأمة جنباً إلى جنب مع الزعماء والعظماء الذين غيروا وجه التاريخ ولعل هذا يفسر رفع صورة وشعارات ثورة ٢٣ يوليو في ميدان التحرير ٢٥ يناير ٢٠١١م .

٣-رؤية الدكتور حاتم صادق :[١]

قبل السابعة صباحاً كان يستيقظ ... ومع كوب من الشاي يشربه بحبوب (السكارين) كانت تدخل له الطبعات الثلاث من صحف القاهرة .

كان يقرأ الصحف جميعاً ، أخبارها ، مقالاتها ، وتعليقاتها وكان يقارن بين الطبعات المختلفة من كل صحيفة ، وكثيراً ما كانت له ملاحظات عليها .

ثم كان يرفع سماعة التليفون بجانب سريره ويبدأ الاتصالات ...

كان يطلب مكتبه ليعرف آخر الأخبار والتطورات الداخلية ، ثم يطلب وزير الحربية ليقف على ما يمكن أن يكون قد جد فى الساعات ما بين نومه واستيقاظه ، ثم يطلب من عملوا معه عن قرب ليقف على آخر أحداث العالم .

وبعد هذا الموجز كان يخرج إلى الصالة العلوية من منزلة ليجلس – وبجانبه السيدة الجليلة قرينته – ليتناول إفطاره مع فنجان آخر من الشاي .

وبعد دقائق كان يدخل حجرة مكتبه ويبدأ عمله .

كانت أكوام الأوراق – التى تصله من أكثر من مكتب من مكاتبه – تدخل إليه ثلاث مرات يومياً : فور استيقاظه ، وفي الثالثة من بعد الظهر ، وفى السادسة مساء إلا فى المسائل البالغة الأهمية فتلك كانت تصله فوراً .

وكانت سرعة قراءته لافتة للنظر .. فقد درب نفسه على هذه الطريقة التى لم

(١) قضايا ناصرية : دار الموقف العربي – سلسلة قضايا معاصرة د. حاتم صادق

تكن تؤثر على درجة استيعابه لما تحويه السطور التى تمر عليها سريعاً عيناه .

وكان التليفون من أهم وسائله فى العمل .

كان يدق كثيراً ليجد على الطرف الآخر مسئولاً يبلغ عن شئ أو يستفسر عن موقف .

وكان هو دائم الاتصال : كان يعتبر – ويقول – أن الوزير المختص هو مستشاره الأول فى المجال الذي يتولى الوزير مسئوليته ... وكان اتصاله مباشراً بالوزراء وبمن يعتبرون مسئولين مباشرين فى الموضوعات التى يكون لديه استفسار يسأل عنه أو توجيه يبلغه .

وكانت بعض مكالماته تزيد عن الساعة ... وتلك كانت هي المكالمات التى يكون على الطرف الآخر من الخط واحد ممن كان يثق فى قدراتهم ويناقش معهم المسائل الكبرى التى تتصل بمواقف هامة وإمكانيات التحرك المتاحة خارجياً أو داخلياً .. وغالباً ما كانوا من خارج الجهاز التنفيذي وكان هؤلاء – فى رأيه – مفيدين بأكثر من فائدتهم لو انضموا لأجهزة تنفيذية لأنهم :

« متحررون من السيطرة الفكرية والعملية للجهاز البيروقراطي ، ومتحررون من قيود المنصب وما تفرضه – بشعور منهم أو بغير شعور – على تفكير المسئول التنفيذي ».

وإلى جانبه كان هناك دائماً جهاز الراديو آلة أخرى كان اعتماده عليها شديداً .. وطوال اليوم يظل مؤشر « المحطات » ينزلق يميناً ويساراً بين أصابع خبير بموضع محطات إذاعة العواصم العالمية ومواعيد نشرات أخبارها .

وفي الثالثة تماماً من بعد ظهر كل يوم كان يخرج من حجرته إلى مائدة الغداء حيث تجتمع عائلته ... كان حريصاً على هذا الموعد ، وكان الكل كذلك لأن رب العائلة يجد فى هذا الوقت الدقائق التى يستطيع فيها أن يكون بين أولاده .

وبعد الغداء كان يتجه إلى حجرة نومه ليستلقى قليلاً ... وعلى مدى ساعتين تقريباً كان يقرأ صحف العالم : الصحف العربية والبريطانية والأمريكية وتقارير وكالات الأنباء ، وترجمات يعدها مكتبه للصحف الفرنسية والسوفيتية .

وفي كل يوم كان عليه أن يسقبل ما بين ثلاثة إلى خمسة أشخاص . وكانت بعض هذه المقابلات رسميه ، فكثيرا ما كان يلتقى بمسئول ، أو بأحد من عملوا معه عن قرب ، لمناقشة موضوع وأراد أن يتناوله بالمناقشة تفصيلاً .

ولم يكن جمال عبد الناصر يعرف اليأس ، كان إيمانه بقضية يقوم على اقتناع أكيد بها ، ومن هنا لم تكن للصعاب آثارها على عزيمته وفى هذا المجال كان متميزاً بقدرته على الخروج من الطرق المسدودة بفكرة أو تحرك أو إنجاز جديد .

ومن بين العوامل التى أثرت فى فكر جمال عبد الناصر – وكأمثلة بغير حصر لا يميزها سوى أن العين المتتبعة ما كانت قادرة على أن تخطئها – كان « المواطن العادي » « المصري » «كان الرجل العادي» و « الأسرة العادية » محور تفكيره وكان دائم الربط بين كل قرار وبين تأثيراته على الأسرة المتواضعة ، وعلى عدد من سيشملهم القرار منهم .

وخاض جمال عبد الناصر معاركه الكبرى خلال ١٨ عاماً بالملايين المصرية والعربية .. فهنا كانت تكمن قوته ، وهنا كانت تتمثل دقة موقفه ... موقف الزعيم الذي تتعدى آثار كلماته الحدود السياسية لبلده لتحدث من التأثيرات خارجها ما يحسب نقاطاً لصالح موقفه فى المعارك التى يخوضها .

كانت هناك علاقة « خاصة » بين جمال عبد الناصر والجماهير ... كانت الجماهير بالنسبة له تمثل الكثير ... كان يرى فيها من يعمل من أجلهم ، وكانت آماله دوماً هي آمالها ، وكان يذكر دائماً أن هذه الجماهير وقفت وراءه فى ساعات الهزيمة كما هتفت من حوله أيام النصر .

ويوماً قال لمن يتمشى معه فى حديقة منزله :

« أتدري أننى لا أرى الأسفلت (مشيراً إلى اتصال عمله ليل نهار وعدم الخروج) إلا حين أذهب لرئاسة مجلس الوزراء »!!

كان الأطباء قد منعوه في السنوات الأخيرة – وبعد ١٩٦٧م خاصة – من كل ما كان قد تبقى له يروح عن نفسه : رياضة التنس وتنس الطاولة والسباحة فى الصيف، بل – وعلى حد تعبيره يوماً ..« حتى المشي منعوني فى الآخر منه !».

كانت أيامه ملأى بالعمل ، مشحونة بالعواطف ، ولكنها لم تكن كلها وردية : فمن فرحة لأمل تحقق ، إلى غضب مكبوت لتحرك أو عمل معاد إلى تفكير عميق فى مواجهة موقف عصيب ، إلى معاناة من تصرف غير متوقع من أحد المقربين منه، إلى حزن لمأساة إنسانية حملها خطاب مواطن إليه .

ولكن الرجل كان صبوراً ... وكان الصبر من أوضح سمات شخصيته وكانت قدرته ا لهائلة على التحمل وقوة إرادته ، وتفانيه من أجل قضية عاش لها ، وشعب آمن به بقدر ثقته فيه ، كلها عوامل لم تجعل فى حياته يوماً خلا من تضحية أو نضال، ولم تترك له سوى أيام معدودات تلك التى قضاها فى أجازة حقيقية .

٤ – ملخص لكتاب ناصر – أنتوني ناتنج(بتصرف):[١]

(كان عبد الناصر رجلاً فذاً يضمن له ما أسهم به فى تطور مصر مكاناً بارزاً في التاريخ ، فقد خلق إحساساً بالكرامة والعزة الوطنية فى شعب لم يعرف كثيراً غير المهانة والقمع طوال ألفي وخمسمائة عام ، وأحالت إنجازاته أمة من الفلاحين المتخلفين المطحونين يحكمها طاغية أجنبي فاسد ويحتلها جيش أجنبي إلى مجتمع يضم مواطنين مستقلين لهم نصيب فى أرضهم كما أنه غرس بذور مجتمع صناعي حديث .

(١) ناصر – أنتوني ناتنج – ترجمة شاكر إبراهيم سعيد – مكتبة مدبولي – القاهرة.

ففي مصر ، حيث الزيادة الهائلة فى السكان تقدر بحوالي مليون نسـمة سـنوياً ، قد لا تتوفر الأراضي الكافية للفلاحين ، غير أن السد العالي وإصلاح الأراضي قد زادا من الرقعة المزروعـة بمـا يزيـد عـن مليـون فـدان ، كمـا أنـه بفضـل قـوانين الإصلاح الزراعي التى طبقت فى عامي ١٩٥٢م و ١٩٦١م أصـبح أولئـك الـذين كانوا من قبل مرغمين على العمل لسـادة أجانـب يمتلكـون ٧٥٪ مـن الأراضـي ، وبالرغم من ان برنامج التصنيع لم يحقق كل ما كان يصبوا إليـه فـإن مصـر قطعـت شوطاً طـويلاً عـلى طريـق أن تصـبح دولـة صـناعية تنـتج مصـانعها سلسـلة مـن المنتجات المتطورة مثل الثلاجات وأجهزة التلفزيون والجرارات ، وبلغت قيمـة الإنتاج الصناعي أربعة أضعاف ما كان عليه فى الفتـرة مـا بـين ١٩٥٢م ، ١٩٧٠م كما تحسنت ظروف العمل تحسناً كبيراً ، بصدور القرار الجمهوري لعام ١٩٦٣م الذي يحدد ساعات العمل بسبع ساعات وأصبحت المعاشات التى كانـت تمـنح قبلاً حسب أهواء أصحاب الأعمال ، مكفولة بفضل مشروع التأمينات الاجتماعية على مستوى الأمة بأسرها .

كذلك اتسع نطاق التعليم منذ عام١٩٥٢ م فانطلاقاً من الإيمان بحق كل طفل فى التعليم المجاني ازداد عدد تلاميذ المدارس فى ظل حكومة عبد الناصر إلى أربعة أضعاف ما كان عليه إذ بلغ عددهم قرابة ٤ ملايين طالب ، وانخفضت نسبة الأمية من حوالي ٨٠٪ فى عام ١٩٥٢ م إلى أقل من ٥٠ ٪ ومع التوسـع فى التعلـيم الفنـي والتعليم الجامعي أصبحت مصر اليوم تعد ما تحتاج إليه مـن مهندسـين وعلمـاء وفنيين ينعكس نجاحهم فى شبكات الإذاعة والتلفزيون الحديثة للغاية التى تفـوق من حيث الكيف ما يوجد لـدي أيـة دولـة عربيـة أخـرى ، والتـى لا تضـارعها في ساعات الإرسال غير أكثر الدول تقدماً فى العالم .

ويرجع الفضل فى الجانب الأكبر من هذه الإنجازات إلى عبـد الناصـر نفسـه ، فلولا حملته التى قضت على فساد نظام الحكم القديم لتعذر إحراز أي تقدم ، ومـع ذلك يعتبر عبد الناصر مسؤولاً عن أن التقدم الاجتماعي والاقتصادي الذي أحرز

بقيادته لم يصحبه أي تقدم فى المجال السياسي وصحيح أنه تخلص من الأحـزاب السياسية ومن الباشوات الـذين ظلـوا طـويلاً يحيـون حيـاة التـرف عـلى حسـاب الشعب ، إلا أنه أقام مكانهم طبقة أوتقراطيـة عسـكرية ، لم تكـن أكثـر مـن الطبقـة السابقة فهما للمشاعر الشعبية .

فعلى الرغم من إنسانيته وروحه المرحة ، لم يكن يحسن الحكم عـلى الأفـراد ، فكثيراً ما كان النقد الشريف عـدم ولاء ، وكـان يرتـاب فى أن أكثـر رفاقـه نجاحـاً وشعبية يستغلون نجاحهم وشعبيتهم فى سبيل تقدمهم الشخصي ، وكان يعتقـد أن الديمقراطية البرلمانيـة لـن تـؤدي إلا إلى تشـجيع ظهـور أحـزاب لا تخـدم غيـر مصالحها الخاصة على حساب الشعب بأسره ، لكن لا يغيب عن بالنا أن الشـعب المصري وضع عبد الناصر فى مصاف الآلهه ، وهذه عادته مع زعمائه منذ العهـود السحيقة ، ومما يدعوا إلى العجب حقاً أنه رفض كل مطلب شعبي بانتخابه رئيسـاً مدى الحياة وأصر على أن تكون الرئاسة لفترة لا تزيد عن ست سنوات .

ولم يصبح عبد الناصر أسير مكانته فى مصر وحـدها إذ بعـد أن أحـبط محاولـة بريطانيا وفرنسا الرامية إلى القضاء عليه وعـلى ثورتـه فى عـام ١٩٥٦م ، صـار عبـد الناصر بطلاً لكل قومي عربي من المحيط الأطلنطي إلى المحيط الهندي ، وكانت حـرب فلسـطين فى عـام ١٩٤٨م قـد أقنعتـه أن العـرب لا يسـتطيعون تحقيـق استقلالهم إلا بالوحدة .

لكن حتى وإن كان عبد الناصر قد حظى بتأييد الجمـاهير فى خـارج مصـر وفي داخلها إلا أنه لم يستطع فهم أخوانه العرب فعندما ربط نفسـه بـرغبتهم الملحـة في قيام نوع من الوحدة انخدع عبد الناصر بالاعتقاد أن أولئك الذين يلوحون بالرايـة يريدون الحياة فى ظلها ، تعذر عليه أن يرى أنه حتـى أولئـك العـرب الـذين كـانوا يشـاركونه ميولـه الأيديولوجيـة بمـا لهـم مـن خلفيـات متباينـة ، مثـل البعثيـين السوريين، لابد وأنهم يرفضون أن تملى عليهم القاهرة إرادتها ، ولم يـدرك إلا بعـد

فوات الأوان أن ما أحرزه من نجاح مبكر فى نشر رسالة القومية العربية إنما تحقق بالقدوة أكثر منه باستخدام الضغط أو التآمر ولما حاول استغلال تلك الإنجازات المبكرة ، تبين أنه قد غالي فى تقدير قدرته على فرض زعامه مصر على بقية العالم العربي كما أن ما حدث فى سوريا والعراق والأردن على سبيل المثال قد برهن على عجز جهاز مخابراته كما كشف تدخله فى الحرب الأهلية في اليمن عن الضعف الكامن بين صفوف قواته ومن ثم ففي حين أنه لم يكن يخطئ فى معاملاته مع الدول العربية خلال معظم الخمسينات فإنه غالباً ما كانت أفعاله وردود أفعاله طوال النصف الأخير من حكمه نتيجة مؤسفة لسوء التقدير والحظ العاثر .

لكن على النقيض من ذلك استطاع عبد الناصر خلال فترة حكمه ما عدا السنوات الثلاث الأخيرة من حياته ، أن يوجه علاقاته مع الدول الأجنبية ببراعة ونجاح غالباً ما افتقر إليهما فى تعامله مع رفاقه العرب فهو لم يطرد الجيش البريطاني من مصر ويؤمم شركة قناة السويس فحسب بل استطاع أيضاً أن يحافظ ، على الأقل حتى منتصف الستينات ، على التوازن فى علاقاته مع الشرق والغرب ، إذ كان يشتري المواد الغذائية من أمريكا ويحصل على الأسلحة والمعونة الصناعية من الروس . ولم يتخل عن موقفه الحيادي ويسمح بنفوذ روسيا فى توجيه سياسة مصر إلا فى السنوات القليلة الأخيرة عندما وجد نفسه مهزوماً على أيدي الإسرائيليين .

ولو عدنا بأنظارنا إلى عصر عبد الناصر لتعذر علينا ألا نستنتج أنه ربما كان بوسعه أن يقدم أكثر مما فعل من أجل رفاهية مصر ورخائها لولا أنه بذل أكثر مما ينبغي فى سبيل تحقيق سيادتها فى العالم العربي .

وعلى الرغم مما ارتكبه من أخطاء وواجهه من ضروب الفشل فقد أسهم عبد الناصر فى أن يخلق في مصر وفي العرب إحساساً بالكرامة الذي كان يعني بالنسبة له تأكيد الانتماء لأمة مستقلة وكما اندفع خصمه العجوز بن جوريون ، إلى القول

في أعقاب حرب الأيام الستة :« إنني أكن احتراماً بالغاً لعبد الناصر فهو وطني يريد القيام بشئ من أجل مصر ». كانت هذه هي الحقيقة ، لأنه على الرغم من كل نكسة عاني منها مع شعبه فى الفترة الأخيرة من حكمه فإنه لولا الإلهام الديناميكي المستمد من زعامته لكانت مصر والعالم العربي بأسره أكثر فقراً من الناحيتين المعنوية والمادية .

تقييم لرؤية ومشروع الزعيم :

كان الزعيم حريصاً على إبقاء حياته المهنية منفصلة عن حياته العائلية وكان يفضل قضاء معظم وقت فراغه مع أسرته الزوجة وابنتان وثلاثة أبناء : هدى ، منى، خالد ، عبد الحميد ، وعبد الحكيم .

كان الزعيم ملتزماً ، قام بأداء فريضة الحج مرتين وكان معروفاً بشخصيته الشريفة غير الفاسدة مما زاد من سمعته الطيبة بين مواطني مصر والوطن العربي بل العالم أجمع ، كانت هوايات الزعيم الشخصية هي التصوير ، ولعب الشطرنج ، ومشاهدة الأفلام الأمريكية ، وقراءة الآداب العربية ، والإنجليزية ، والمجلات الفرنسية ، والاستماع إلى الموسيقى الكلاسيكية .

كان للزعيم القليل من التصرفات الشخصية التى تسببت فى مرضه ، مثل التدخين والعمل لمدة ١٨ ساعة فى بعض الأحيان ، ونادراً ما كان يقضي العطلات بعيداً عن العمل ، تم تشخيص حالته بأنه مصاب بداء السكري في أوائل الستينات وكان أيضاً مصاباً بتصلب الشرايين ، وأمراض القلب ، وارتفاع ضغط الدم ، عانى الزعيم من نوبتين قلبيتين (فى سنتي ١٩٦٦م و ١٩٦٩ م) ، وفرضت عليه الراحة فى الفراش لمدة ستة أسابيع بعد النوبة الثانية.

عاش ومات بسيطاً كالحقيقة ، كان يأكل مثل أي مواطن مصري عادي ويفتخر بأن ملابسه تصنع فى مصر ، ويكفيه فخراً أنه حينما تولى منصب الرئاسة خلفاً للواء

نجيب رفض الإقامة مع عائلته فى قصر الرئاسة الرسمي وأصر على البقاء فى منزله المتواضع الذي كان يسكنه قبل الثورة فى حي منشية البكري لكي يبقى إلى جانب أبناء شعبه ، وكان يتناول فى وجبات نهاره الجبنة والطعمية والفول المدمس والكشري وقطع قليلة من اللحم والدجاج وبين الحين والآخر بعض المأكولات البحرية .

ويكفي أن نشير للدلالة على زهده وطهارته أنه وقبل زواج كريمته الكبرى هدى أخذ قرضاً من البنك لتجهيزها بضمانة راتبه وسدده كاملاً مع أنه كان بمقدوره أن يأخذ المبلغ بسهولة من ميزانية القوات المسلحة مثلاً بينما كان يعطي كل الهدايا التى يحصل عليها من رؤساء الدول ويتركها إلى الدولة المصرية .

ويظل عهد الزعيم مرحلة مفصلية فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر حيث يقاس عهد كل زعيم ليس من خلال نجاحه في إنجاز واحد أو أكثر وإنما من خلال منظومة عامة سواء حققت نقلة فى تاريخ مصر أم لم تحقق .

ففي عهد الزعيم شهدنا اهتماماً حقيقياً بالفقراء وتحققت نقلة تصنيعية بيع معظم أصولها فيما عرف بمرحلتى الانفتاح والخصخصة ، وشهدنا نهضة ثقافية وفنية فكان لمصر شخصيتها وتأثيرها وأهميتها من خلال قوتها الناعمة وتأثيرها السياسي فى محيطها العربي والإفريقي وكانت نداً للغرب ، وشهد التعليم طفرة أيضاً .

فى العام ٢٠١٨ م يكون قد مر ١٠٠ عام على ميلاد الزعيم الذي كان عمره ٣٤ عاماً حين قاد حركة الضباط الأحرارفى ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ، ليحكم مصر بعدها ١٨ عاماً ، وتوفي وله من العمر ٥٢ عاماً على إثر أزمة قلبية حادة .

كما كان الزعيم رمزاً للتحرر الوطني فى دول العالم الثالث وملهما وداعماً لأكثر من ثورة عربية ، وإفريقية وفى أمريكا اللاتينية .

أمريكا كانت متضررة منه لأنه أسقط كل أحلافها العدوانية فى المنطقة ، وشكل تهديداً لربيبتها إسرائيل ، ولركائزها في الخليج وتركيا وإيران ، وقدم نموذجاً تنموياً متحرراً ، في حين شكلت تجربة الإصلاح الزراعي ، رغم المآخذ التى أبديت عليها التى نفذها نموذجاً لكل القوى الثورية فى العالم حتى إن جيفارا زار مصر عام ١٩٦٥م حينما كان وزيراً للزراعة فى حكومة الرئيس الراحل فيدل كاسترو للاستفادة من تجربتها فى الإصلاح الزراعي وتوزيع الأرض على فقراء الفلاحين وقال للزعيم التى تزامنت الزيارة مع ترشحه لدورة رئاسية ثانية (ليتني كنت مصرياً لأعطيك صوتي أنت تستحق أصوات كل الثوار والأحرار فى العالم) .

كما أن نيسلون مانديلا الزعيم الجنوب أفريقي الذي قاد شعبه للانعتاق والتحرر من نظام « الأبرتهايد » تأثر كثيراً بصلابة وشجاعة جمال عبد الناصر إلى درجة أنه اعترف (أنه كان يهم بكتابة طلب للعفو عنه وهو فى السجن وبينما هو كذلك سمع أن هناك شاباً من بلاد النيل تحدى الاستعمار وأعلن تأميم قناة السويس ، فقال عندها شعرت بالخجل من نفسي وقمت بتمزيق ذلك الطلب) .

نخلص مما تقدم إلى أن الزعيم جعل مصر دولة مستقلة تماماً من النفوذ البريطاني وأصبح الوطن قوة لا يستهان بها فى العالم النامي تحت قيادته ، وتعد أهم جهوده الرئيسة إقامة العدالة الاجتماعية ، وخلال رئاسته تمتع المواطنون العاديون بمزايا غير مسبوقة فى السكن والتعليم وفرص العمل والخدمات الصحية والتغذية ، فضلاً عن العديد من أشكال الرعاية الاجتماعية ، في حين تراجع نفوذ الإقطاع وبحلول نهاية رئاسته تحسنت ظروف العمل والعمال بشكل كبير ، على الرغم من ذلك ظل الفقر مرتفعاً فى البلاد وتم تحويل موارد كبيرة كانت مخصصة للرعاية الاجتماعية إلى العسكرية بسبب ظروف حرب الاستنزاف والاستعداد لتحرير الأرض المغتصبة بعد عام ١٩٦٧م .

نما الاقتصاد الوطني بشكل كبير من خلال الإصلاح الزراعي والدورة

الزراعية والاهتمام بنظم الري ومشاريع التحديث الكبرى مثل صلب حلوان والسد العالى ، وتأميم قناة السويس ، ومجمع الألومنيوم فى نجع حمادى ، وكيما فى أسوان والمشروع النووى والتصنيع الحربي ومع ذلك فإن النمو الاقتصادي الملحوظ في أوائل الستينات أخذ في الانكماش للفترة المتبقية من العقد متعافياً فقط فى سنة ١٩٧٠ م . شهدت مصر « العصر الذهبي » للثقافة خلال رئاسة الزعيم خاصة في السينما والتلفزيون والمسرح والإذاعة والآداب والفنون الجميلة والكوميديا والشعر والموسيقى فسادت مصر الوطن العربي فى هذه المجالات فى عهده ، منتجة العديد من الرموز والشخصيات الثقافية.

وأظن أن أعظم ما يحسب للزعيم جنازته ، التى لم يرها العالم مرة أخرى من خمسة إلى سبعة ملايين من الجماهير يبكون معاً حزناً على فراقه حتى رؤساء وملوك الدول وكان رد الفعل العربي والعالم النامي هو الحداد ، وتدفق الآلاف بل الملايين من الجماهير فى المدن الرئيسية فى جميع أنحاء بلادهم حزناً على فراق حبيب الملايين ، ونصير الفقراء والمعدمين ومساند حركات التحرر فى العالم.

الفصل الثالث

الإنسان



نشأته :

- من مواليد ١٩ نوفمبر ١٩٥٤ بحي الجمالية بالقاهرة .
- الوالد هو السيد/ سعيد حسين خليل السيسي صاحب محلات بازار ، والأم هي السيدة / سعاد إبراهيم محمد .
- ترجع أصول العائلة إلى محافظة المنوفية
- متزوج من السيدة / انتصار عامر ولديه ثلاثة أولاد وهم محمود ومصطفى وحسن وابنه هي آية .

التأهيل العسكري :

- بدأ حياته العسكرية عام ١٩٧٠ كطالب فى المدرسة الثانوية الجوية العسكرية .
- التحق بالكلية الحربية وتخرج منها حاصلاً على بكالوريوس العلوم العسكرية عام ١٩٧٧ .
- حصل على درجة الماجستير عام ١٩٨٧ من كلية القادة والأركان بمصر .
- كما حصل على درجة الماجستير عام ١٩٩٢ بنفس التخصص من كلية القادة والأركان البريطانية .
- نال درجة الزمالة (الدكتواره) من كلية الحرب العليا بأكاديمية ناصر العسكرية عام ٢٠٠٣ .
- كما نال درجة الزمالة (الدكتوراه) من كلية الحرب العليا الأمريكية عام ٢٠٠٦.

***

حياته المهنية :

- عمل بسلاح المشاة ضابطاً برتبة ملازم..
- رئيس فرع المعلومات والأمن بالأمانة العامة لوزارة الدفاع .
- قائد كتيبة مشاة ميكانيكية .
- ملحق دفاع بالمملكة العربية السعودية .
- قائد لواء مشاة ميكانيكى .
- قائد فرقة مشاة ميكانيكى (الفرقة الثانية)
- رئيس أركان المنطقة الشمالية العسكرية .
- قائد المنطقة الشمالية العسكرية.
- مدير المخابرات الحربية والاستطلاع .
- عضو بالمجلس الأعلى للقوات المسلحة .
- فى ١٢/ ٨/ ٢٠١٢ بقرار من الرئيس محمد مرسي تم ترقيته من رتبة لـواء إلى رتبة فريق أول خلفاً للمشير محمد حسين طنطاوي وزيراً للدفاع والإنتاج الحربي وقائداً عاماً للقوات المسلحة .
- في ٢٧/ ١/ ٢٠١٤ أصدر الرئيس عدلي منصور قراراً بترقيته إلى رتبة مشير.

الأوسمة والأنواط والميداليات :

- ميدالية الخدمة الطويلة والقدوة الحسنة ١٩٩٨ .
- نوط الواجب العسكري من الطبقة الثانية ٢٠٠٥ .
- نوط الخدمة الممتازة ٢٠٠٧ .

- ميدالية ٢٥ يناير ٢٠١٢ .
- نوط الواجب العسكري من الطبقة الأولى ٢٠١٢ .

التطورات المحلية التى واجهته وتصدى لها :

- أعلن عن خارطة طريق عقب عزل محمد مرسي فى ٣ يوليو ٢٠١٣ وضعها المجلس الأعلى للقوات المسلحة بالاتفاق مع القوى والشخصيات الوطنية فى أعقاب الاحتجاجات الشعبية المطالبة بعزل محمد مرسي من منصبه ، وتضمنت تعطيل العمل بالدستور بشكل مؤقت؛ وتعيين رئيس المحكمة الدستورية العليا المستشار عدلي منصور رئيساً مؤقتاً لمصر ؛ وإجراء انتخابات رئاسية مبكرة والتى نظمت فى مايو ٢٠١٤ [١]، وإعداد دستور جديد لمصر.

- عارض هذه الإجراءات مؤيدو محمد مرسى واعتبروها ومعهم جزء من الدول الغربية انقلاباً عسكرياً على الشرعية .

- بينما أيدها عشرات الملايين من المتظاهرين المعارضين لمرسي وحكم المرشد وقتها واعتبروها ثورة وأطلق عليها « ثورة ٣٠ يونيو ».

- وافق المجلس الأعلى للقوات المسلحة فى بيان له على « التكليف الشعبي» لوزير الدفاع وقتها « الإنسان » بالترشح للرئاسة [٢].

- وفي ٢٦/ ٣/ ٢٠١٤ أعلن الإنسان استقالته من منصبه كوزير للدفاع والإنتاج الحربي ، والترشح لانتخابات رئاسة الجمهورية وذلك تحت ضغط شعبي وبعد اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة بحضور الرئيس عدلي منصور .

(١) اعلان وزير الدفاع فى ٣/ ٧/ ٢٠١٣ (ملحق ٩).

(٢) بيان المجلس الأعلى للقوات المسلحة فى ٢٧/ ١/ ٢٠١٤ (ملحق ١٠).

- وتقدم الإنسان فى أبريل ٢٠١٤ بأوراق ترشحه رسمياً والذي تضمن نحو ١٨٨ ألف توكيل من المواطنين ، وبعد غلق باب الترشح أعلنت اللجنة العليا للانتخابات عن أن المنافسة ستكون بين السيسي وحمدين صباحي فقط فى الانتخابات التى جرت خلال شهر مايو ٢٠١٤ بمشاركة المصريين داخل مصر وخارجها ، وقد فاز فيها الإنسان بحصوله على ٢٣٧٨٠١٠٤ أصوات بنسبة ٩٦.٩٪ من الأصوات الصحيحة [١] .

الترشح لولاية ثانية :

بتاريخ ١٩ يناير ٢٠١٨ وإبان قرب نهاية ولايته الأولى أعلن الإنسان ترشحه لولاية ثانية فى الانتخابات الرئاسية التى أجريت فى أواخر شهر مارس من نفس العام فى حين أعربت العديد من الصحف العربية والعالمية عن انتقادها البالغ للإجراءات القمعية المتخذة ضد أغلب المنافسين على مقعد الرئاسة مما أسفر عن انحصار المنافسة بينه وبين المرشح الوحيد موسى مصطفى موسى فى المقابل صرحت الحكومة المصرية أن الإجراءات المتخذة ضد المرشحين المحتملين ، كانت لمخالفتهم إجراءات الترشح القانونية أو القوانين العسكرية المصرية [٢] .

فى ٢ أبريل ٢٠١٨ أعلنت الهيئة الوطنية للانتخابات ، برئاسة المستشار لاشين إبراهيم عن انتخاب عبد الفتاح السيسي رئيساً للجمهورية في ولاية ثانية بفوزه بنسبة ٩٧.٠٨ ٪ من الأصوات الصحيحة . وأعلنت الهيئة أن عدد المقيدين بقاعدة البيانات ٥٩ مليوناً ٧٨ ألفاً و ١٣٨ ناخباً ، وعدد من أدلوا بأصواتهم فى الخارج

(١) بيان اللجنة العليا للانتخابات فى ٣/ ٦/ ٢٠١٤ (ملحق١١).

(٢) المرشحون المحتملون :

١- الفريق سامى عنان لمخالفته القوانين العسكرية.

٢- الفريق أحمد شفيق أعلن انسحابه .

٣- خالد على لم يستكمل جمع التوكيلات المطلوبة .

٤- حمدين صباحى أعلن عدم خوض المعركة الانتخابية .

١٥٧ ألفاً و ٦٠ ناخباً ، وعدد من أدلوا بأصواتهم فى الداخل ٢٤ مليونـاً و ٩٧ ألفـاً و٩٢ ناخباً ، وعدد من أدلوا فى الداخل والخـارج ٢٤ مليونـاً و ٢٥٤ ألفـاً و ١٥٢ ناخباً بنسبة ٤١.٠٥ ٪ ، وأن عـدد الأصـوات الصـحيحة ٢٢ مليونـاً و ٤٩١ ألفـاً و٩٢١ صوتاً بنسـبة ٩٢.٧٣ ٪ وأن عـدد الأصـوات الباطلـة مليونـا و ٧٦٢ ألفـاً و٢٣١ صوتاً بنسة ٧.٢٧ ٪ من إجمـالي الأصـوات وحصـل المرشـح عبـد الفتـاح السيسي على ٢١ مليوناً و ٨٣٥ ألفاً و ٣٨٧ صوتاً بنسبة ٩٧.٠٨ ٪ مـن الأصـوات الصحيحة ، بينما حصل المرشح موسـى مصـطفى عـلى ٦٥٦ ألفـاً و ٥٣٤ صـوتاً بنسبة ٢.٩٢ ٪ من الأصوات الصحيحة .

في الثامن من يونيه ٢٠١٨ يدخل العام الأول من مدة الرئاسة الثانية حيـث إنـه تسلم مهام السلطة رسمياً فى هذا التاريخ فى مرحلة دقيقة بينما كانت مصـر تواجـه فيها تحديات كثيرة هي الأخطر على مدار تاريخها مـا بـين الإرهـاب الـذي ينشـر ألوية العنف والتـدمير والاقتصـاد المنهـك والجهـاز الإداري للدولـة المتهالـك والفساد المستشرى فيه ، فضلاً عن مواقف سياسية دولية تتحدى إرادة المصريين وهي الإرادة الصلدة التى تجلت بقوة فى ثورة الثلاثين من يونيه عام ٢٠١٣ .

محاولات الاغتيال :

أعلنـت السـلطات المصـرية فى ٢٠ نـوفمبر ٢٠١٦ عـن تعـرض الإنسـان لمحاولتى اغتيال، الأولى كانت عندما كان يزور السعودية لتأدية مناسك العمـرة ، والثانية داخل مصر.

السياسة الداخلية :

في كشف الحساب الذي تقدم به الإنسان عـن الإنجـازات التـى تمـت خـلال ولايته الأولى فى الفترة من (٢٠١٤ – ٢٠١٨) على أرض الواقع وتضـمنها كتـاب «مصر التحدى والإنجاز » ، تم تنفيذ ٧٧٧٧ مشروع متنوع فى أربع سنوات بتكلفة

إجمالية تصل إلى ١.٦١ تريليون جنيه ، وجاري تنفيذ مشروعات خدمية وتنموية يصل عددها نحو ٣٣٩٢ مشروعاً بتكلفة ١.١٣ تريليون جنيه ومن المخطط تنفيذ ٤١٣١ مشروعاً بتكلفة ٠.١٧ تريليون جنيه بحيث من المقرر أن تبلغ الاستثمارات التى يتم ضخها فى المشروعات المنفذة والجاري والمخطط تنفيذها ١٥٣٠٠ مشروعاً بتكلفة تصل إلى ٣.٤٥ تريليون جنيه[١] .

١- مكافحة الإرهاب والهجرة غير الشرعية :

مواجهة ظاهرة الهجرة غير الشرعية التى انتشرت فى مصر خلال الفترة الماضية ، والقضاء عليها ، واستمرار عملية سيناء الشاملة لتطهير أرض سيناء وكل شبر من أرض مصر من أخطار الإرهاب والتطرف فى كل صوره وبمختلف الوسائل العسكرية والأمنية والثقافية والإعلامية .

وتحقيق الاستقرار والأمن والأمان لجموع المصريين لتصبح مصر بلداً آمناً وملاذاً للزائر والمستثمر والمقيم على أرضها ونتيجة لهذا الاستقرار عادت السياحة بقوة فى المدن الساحلية والقاهرة والأقصر وأسوان ، وبلغت أعلى معدلاتها المتوقعة .

٢- السياسة المالية والنقدية :

- ارتفاع الاحتياط النقدي إلى حوالى٤٤ مليار دولار لأول مرة فى تاريخ مصر بعد أن كان ١٦ مليار دولار فى عام ٢٠١٤ .

- انخفاض ميزان العجز التجاري فى العامين السابقين بمقدار ٢٠ مليار دولار منها ٤ مليارات دولار زيادة فى الصادارت المصرية بالخارج ، وانخفاض الواردات بمبلغ ١٦ مليار دولار .

- انخفضت معدلات البطالة من ١٣.٢ ٪ إلى ٩.٦ ٪ ويأتي ذلك فى ضوء

(١) مصر : التحدى والإنجاز – مجلس الوزراء – سبتمبر ٢٠١٨ .

توفير فرص عمل كثيفة فى المشروعات القومية الكبرى وبما يصل إلى حوالي ٤ مليون عامل .

- انخفاض معدلات التضخم من ٣٥٪ إلى حوالي ١٢.٩ ٪ .

- زيادة معدل النمو إلى ٥.٣ ٪

- تراجع عجز الموازنة العامة بالنسبة للناتج المحلي الإجمالي من ١٦.٧٪ عام ٢٠١٣ إلى ١٠.٩٪ عام ٢٠١٧ .

- تنامى الاستثمار الأجنبي المباشر بنهاية عام ٢٠١٧ لنحو ٧.٢ مليار دولار وارتفع صافي التحويلات الجارية بنسبة ٢٩.٥٪ .[(١)]

٣- الإسكان والطرق والكباري والمدن الجديدة :

- فى مجال الإسكان تم بناء ٢٥ ألف وحدة سكنية لتوفير مسكن ملائم للحد من المناطق العشوائية ، كما تم تنفيذ ٢٧٠ ألف وحدة سكنية إسكان اجتماعي للمواطنين بتكلفة إجمالية بلغت ٣٩ مليار جنيه ، وجار تنفيذ ٣٥٥ ألف وحدة سكنية بتكلفة ٧١ مليار جنيه.

- إنشاء العاصمة الإدارية و ١٣ مدينة جديدة بالمحافظات منها العلمين الجديدة ، والمنصورة الجديدة .

- أما الطرق فبلغ ما تم إنشاؤه وتطويره منها حوالي ٧ آلاف كيلومترات بتكلفة إجمالية تخطت ٨٥ مليار جنيه ، وما يقرب من ٢٠٠ كوبري تكلفتهم حوالي ٢٥ مليار جنيه .

- وجارٍ تنفيذ الشبكة القومية للطرق بتكلفة ١٠٠ مليار جنيه وتستهدف إنشاء ٣٠ ألف كيلو متر .

(١) مصر : التحدى والإنجاز – مجلس الوزراء – سبتمبر ٢٠١٨ .

- تنفيذ خط القطار المكهرب « العاصمة الإدارية – العاشر – السلام » بطول ٦٧كم.

- كما يتم تنفيذ المشروع القومي للإسكان بتكلفة ١٨٥ مليار جنيه على خمس سنوات سواء داخل نطاق المحافظات أو في المجتمعات العمرانية الجديدة، ويعد هذا المشروع هو الأضخم فى تاريخ مصر المعاصر ، وتبقى المشكلة فى الضمانات المطلوبة للحصول على سكن مناسب ، وطريقة السداد من مقدم ودفعات استلام وعلى جهات الاختصاص استبدال هذه الشروط بالتوسع فى نظام الإيجار التمويلي فهو الأنسب اجتماعياً واقتصادياً للشباب المقبل على الزواج وللأسر ذات الدخل المحدود .

- وفي إطار تحسين خدمات مياه الشرب وسد العجز نتيجة تزايد عدد السكان فقد شهد قطاع مياه الشرب تنفيذ ما يقرب من ٢٣٦ مشروعاً بطاقة إنتاجية تقدر بنحو ٦.٣ مليون م٣/ يوم وبتكلفة إجمالية تقدر بحوالي ٣١ مليار جنيه .

- كما تم تنفيذ العديد من المياه المرشحة وإقامة محطات تحلية مياه البحر والمياه الجوفية .

- وتنفيذ ٦٣ مشروع خطوط ناقلة وشبكات وخزانات بتكلفة ٤.٢ مليار جنيه[١] .

٤ – مشروع هضبة الجلالة وإقامة منتجع الفرسان :

هو مشروع إنشاء مدينة الجلالة وجامعة الملك سلمان ومنتجع سياحي يطل على خليج السويس بالإضافة إلى طريق العين السخنة ، الزعفرانة ، الذي يشق جبل الجلالة .

- أما منتجع الفرسان فيعتبر أحدث المشروعات القومية المقامة على أرض

(١) كتاب مصر التحدي والإنجاز – بمجلس الوزراء – سبتمبر ٢٠١٨ .

الإسماعيلية ويعد مشروعاً سياحياً متكاملاً ، وبه ملحق تجاري وتسويقي ، وعلى مقربة من استراحة جزيرة الفرسان الرئاسية حيث يطل على قناتي السويس الحالية والجديدة وبه مراسي سياحية عالمية.

- يوجد بالمنتجع فندق ٥ نجوم و ٣٠٧ وحدات فندقية على مساحة ٣٨ فداناً ، ويضم نادياً اجتماعياً ثقافياً رياضياً على مساحة ٤٠ فداناً .

٥- **تطوير العشوائيات** : هي مشاريع مشتركة بين الحكومة ومؤسسات المجتمع المدني ومنها مشروع (حي الأسمرات بالمقطم ، تل العقارب بالسيدة زينب ، غيط العنب بالإسكندرية).

٦- الصناعة :

- ضخ استثمارات بإجمالي قيمة ٢٨.٥٢٩ مليار جنيه للإنتهاء من تنفيذ ١٠٩ مشروعاً[١] .

- تحقيق خطوات واسعة فى إنشاء مدن صناعية متخصصة كمدينة الجلود بالروبيكي ومدينة الأثاث بدمياط ومدينتي النسيج فى المنيا والسادات بالمنوفية ، بالإضافة لمئات ا لمشروعات فى مختلف المحافظات .

٧- الزراعة والري والإنتاج الحيواني والداجني والأسماك :

جارى استصلاح وزراعة مليون ونصف المليون فدان فى إطار خطة طموحة لاستصلاح ٤ ملايين فدان ، واستكمال ١٠٠ ألف صوبة زراعية تعادل فى إنتاجها مليون فدان ، وزراعة مليون فدان إضافي بخلاف مشروع الـ ١.٥ مليون فدان فى آخر ٢٠١٨ ، و إقامة مشروعات كبرى للاستزراع السمكي بشمال الدلتا وشرق القناة بلغت ٤٤٤٠ حوضاً وتم الانتهاء من ٣١٠٦ حوضاً بشمال الدلتا ومنطقة القناة بجانب مشروعات ضخمة لمزارع الحيوان والدجاج وارتفاع عدد الأبحاث

(١) كتاب مصر التحدي والإنجاز – بمجلس الوزراء – سبتمبر ٢٠١٨ .

العلمية بنسبة ٢٩٪ ، وافتتاح المرحلة الأولى من بركة غليون للاستزراع السمكي الذي يوفر ١٠ آلاف فرصة عمل وطرح الإنتاج فى السوق المحلي .

تم الانتهاء من إقامة قناطر أسيوط الجديدة ، ومحطتها الكهرومائية التى ستقوم بتحسين حالة الري فى محافظات أسيوط – المناي – بنى سويف – الفيوم – الجيزة ، كما ستوفر فرص عمل.

٨- الكهرباء :

- تنفيذ ١٦٩ مشروعاً بتكلفة إجمالية تقدر بـ ٣٠٨ مليار جنيه ، تضمنت تلك المشروعات أكبر (٣) محطات مركبة لإنتاج الكهرباء بقدرات إجمالية ١٤٤٠٠ ميجاوات (محطة بنى سويف – محطة كهرباء العاصمة الإدارية – محطة كهرباء البرلس) وأربع محطات بخارية بقدرات ٤٨٤٠ ميجاوات (العين السخنة – شمال الجيزة – السويس – عتاقة) .

- وفي مجال نقل وتوزيع الكهرباء تم إقامة (١٠) محطات غازية بقدرات إجمالية ٤٩٩٢ ميجاوات ، وتدعيم شبكتي النقل للجهد الفائق والعالي والمتوسط والمنخفض وزيادة أطوال الخطوط والكابلات ، وشبكات توزيع جديدة ، وتركيب ٤.٦ مليون عداد مسبوق الدفع وصيانة المحطات القائمة وتوفير الوقود اللازم لسد الفجوة بين الإنتاج والاستهلاك .

- إضافة قدرات كهربائية بلغت ٥٢ ألف ميجاوات من الطاقة التقليدية والمتجددة حتى يونيو ٢٠١٨ تكافئ حوالي ١٢ ضعف قدرة السد العالي .

- إنشاء أكبر مشروع لتوليد الطاقة الشمسية فى بنبان بأسوان يضم المشروع ٤٠ محطة قوة كل منها ٥٠ ميجاوات وتم افتتاح المرحلة الأولى منها.

- إقامة محطة توليد الكهرباء من الرياح بجبل الزيت بالصحراء الشرقية بعد رأس غارب.

٩- الغاز والبترول والثروة المعدنية وتحويل مصر لمركز إقليمي للطاقة:

- توقيع ٨٣ اتفاقية بحث واستكشاف للبترول والغاز ، وتضاعفت اكتشافات الغاز الطبيعي ٨ أضعاف عن مثيلاتها خلال الفترة من ٢٠١٠ إلى ٢٠١٤ لتصل إلى ٣٦.٨ تريليون قدم مكعب مكعب.

- تحقيق ١٨٦ اكتشافاً بترولياً جديداً.

- مشروع تجميع البيانات السيزمية فى البحر المتوسط بالاتفاق بين شركة إيجاس التابعة لوزارة البترول المصرية مع شركة (بي جي إس) للحصول على بيانات جديدة تسهم فى تحديد المناطق الواعدة لطرحها فى مزايدات عالمية .

- تطوير الشبكة القومية للكهرباء لاستقبال ا لقدرات الإضافية لها ، وتطوير محطات التحكم .

- زيادة عدد الموانئ لاستقبال البوتاجاز.

- تحويل مصر لمركز إقليمي للطاقة بكل أنواعها ، وفي هذا الإطار تم توقيع صفقات توريد غاز من إسرائيل وقبرص لإسالته فى مصانع دمياط وإدكو وإعادة تصديره لأوروبا عن طريق اليونان.

- تدفق الغاز من حقلي ظهر ونورس وغيرهم من الحقول للغاز الطبيعي بما يسمح بسد الاحتياجات المحلية بنهاية عام ٢٠١٨ .

- تطوير معامل التكرير والبتروكيماويات فى موبكو ، ومشروع برج التقطير بشركة ميدور واسترجاع الغازات بأسيوط .

- إصدار ما يقرب من ٣٦٠ عقد استغلال وتراخيص ، وصدور قانون الثروة المعدنية الجديد.(١)

(١) مصر : التحدى والإنجاز – مجلس الوزراء – سبتمبر ٢٠١٨ .

- أتاحت اتفاقيات ترسيم الحدود بين مصر وإسرائيل وقبرص واليونـان فى البحر المتوسط ، ومع المملكة العربية السعودية فى البحـر الأحمـر إعـداد خـرائط تفصيلية بمواقع الثروات الطبيعية وطرح المزايدات العالمية لأعمال الاستكشاف والتنقيب ، بالإضافة لاسـتغلال الجـزر ومنـاطق الغـوص والمحميـات الطبيعيـة تحقيقاً لمصلحة البلاد وتبادل المنافع[١] .

١٠- مشروع محطة المفاعلات النووية بالضبعة:

- في يوم ١٠/ ٢/ ٢٠١٥ وقعت مصر مع روسيا مذكرة تفاهم تتضـمن بنـاء محطة نووية بتكنولوجيا روسية تتكون من أربعة مفاعلات طاقة كـل منهـا ١٢٠٠ ميجاوات .

- تقع منطقة الضبعة التى تم اختيارها لبنـاء المفاعـل النـووي عـلى شـاطئ البحر المتوسط فى محافظة مرسى مطروح ، وسيتم تنفيـذ المشـروع عـلى مسـاحة ٤٥ كيلو متر وبعمق ٥ كيلو مترات .

- المحطة ستضم ٤ مفاعلات ، وستحصل مصر عـلى قـرض مـن الجانـب الروسي قدره ٢٥ مليار دولار ، لإقامة المحطة النووية ، على أن يـتم السـداد عـلى ٣٥ سنة.

- ستستوعب أرض الضبعة إنشاء ٨ محطـات نوويـة سـيتم إقامتهـا عـلى ٨ مراحـل ، الأولى منهـا تضـم ٤ مفـاعلات نوويـة لتوليـد الكهربـاء بقـدرة ١٢٠٠ ميجاوات بإجمالي قدرات تصل إلى ٤٨٠٠ ميجاوات ، وتحلية مياه البحر المتوسط من خلال محطة عملاقة .

- تشمل البنية التحتية للمشروع إنشاء برج للأرصاد لقياس درجات الحرارة

(١) الجزر التى تؤول لمصر بموجب اتفاقية ترسيم الحـدود مـع السـعودية خمسـة أهمهـم : سـلطانه ، وزبرجد ، والأخوين – وهي فى الجنوب بالقرب من مضيق باب المندب.

والرطوبة ، واتجاهات الرياح ، وإقامة مبانٍ للعاملين وأجهزة قياس المياه الجوفية والزلازل والتيارات البحرية وامداد خطوط الغاز والمياه والكهرباء والاتصالات .

- يعمل بالمحطة النووية حوالي ١٥٠٠ عامل مصري ما بين مهندسين وفنيين وإداريين .

- من المقرر الانتهاء بشكل كامل من إقامة أول مفاعل نووي مصري ودخوله الخدمة فى غضون عدة سنوات .

- العائد الاقتصادي من إنشاء المحطة النووية هو :

  - إقامة مصانع روسية فى مصر لتصنيع مكونات المحطة النووية محلياً .
  - عقد دورات تدريبية للكوادر المصرية على استخدام التكنولوجيا النووية ونقل الخبرات الروسية للجانب المصري .
  - نسبة التصنيع المحلي ٢٥٪ لإدخال تكنولوجيا الطاقة النووية لمصر وبناء كوادر مصرية فى المجال النووي.
  - توفير طاقة نووية نظيفة تضاف للطاقة الشمسية والرياح وباقي مصادر الطاقة .
  - تحلية مياه البحر المتوسط.

١١ - قناة السويس :

- حفر قناة السويس وشقها وافتتاحها فى عام واحد وكذلك تدشين محور إقليم القناة الأكبر من نوعه فى الشرق الأوسط .

- تنفيذ مشروع تنمية محور قناة السويس وإنشاء مناطق صناعية ولوجستية وتشمل موانئ (شرق بور سعيد – غرب بور سعيد – العريش – الطور – العين السخنة – الأدبية) بالإضافة إلى ٤ مناطق صناعية وتنموية (العين السخنة – شرق

بور سعيد – وادى التكنولوجيا – القنطرة غرب) حيث يعمل المشروع على خلق كيانات ، ومجتمعات عمرانية جديدة فى المنطقة لجذب كثافة سكانية لإعادة التمركز بمدن القناة وسيناء ، والاستعداد من جميع الوجوه للاستفادة من نمو حجم التجارة العالمية ، خاصة فى وجود كيانات اقتصادية عملاقة مثل الصين ، ودول جنوب شرق آسيا والهند ، والتى من الممكن أن تغزو السوق الأوروبية والولايات المتحدة فى الفترة القادمة ، والتى ستمر حتماً من خلال قناة السويس، كما تم توقيع اتفاقية لإقامة منطقة صناعية روسية .

- مشروع لحفر قناة شرق ميناء بور سعيد بطول ٩.٥ كم بهدف تطوير ميناء شرق التفريعة ليصبح ميناءً عالمياً يستوعب أكبر كمية من التجارة العالمية ، وأن تعبر السفن مباشرة إلى الميناء دون المرور فى قناة السويس .

- إنشاء أنفاق الخير التى تنقل التنمية إلى أرض الفيروز عبر أنفاق أسفل القناة لربطها بالوطن الأم شمال الإسماعيلية وجنوب بور سعيد .

١٢- المشروع القومي لتنمية سيناء :

تبلغ تكلفة تنمية سيناء المقدرة حوالي ٢٧٥ مليار جنيه حيث تعمل القوات المسلحة بشراكة العديد من الشركات الوطنية على إنشاء ٧٧ ألفاً و ٢٣٧ وحدة سكنية فى شبه جزيرة سيناء قبل نهاية العام المقبل(٢٠١٩م) وتنميتها زراعياً وصناعياً وسياحياً وعمرانياً وتعدينياً واجتماعياً وثقافياً وتعليمياً .

١٣- مشروع نيوم بين المملكة العربية السعودية والمملكة الأردنية الهاشمية وجمهورية مصر العربية :

- يقع فى الشمال الغربي للسعودية وجنوب الأردن وجنوب سيناء فى مصر .

- إنه مشروع للمستقبل يفتح باباً واسعاً لتنمية سيناء وتعميرها وتخفيف العبء عن الوادي ، وهو بمثابة مشروع اقتصادي وسياحي للبلدان الثلاثة .

- منطقة « نيوم » التى تمتد لأول مرة بين ثلاث دول (السعودية ومصر والأردن) باستثمارات تبلغ ٥٠٠ مليار دولار ، تمتاز بخصائص مهمة أبرزها الموقع الاستراتيجي الذي يتيح لها أن تكون نقطة التقاء تجمع أفضل ما في المنطقة العربية ، وآسيا وإفريقيا ، وأوروبا وأمريكا ، والتى تقع شمال غرب المملكة على مساحة ٢٦.٥٠٠كم٢ ، وتطل من الشمال والغرب على البحر الأحمر وخليج العقبة بطول ٤٦٨كم . ويحيط بها من الشرق جبال بارتفاع ٢.٥٠٠ متر ، ويمتد المشروع إلى مسافة ألف كيلو متر بجنوب سيناء حتى يصل خليج العقبة كقمة مثلث ناحية الأردن.

- يطل « نيوم » على ساحل البحر الأحمر الذي يعد الشريان الاقتصادي الأبرز فى المنطقة على العالم ، والذي تمر عبره قرابة ١٠ في المائة من حركة التجارة العالمية ، إضافة إلى أن الموقع يعد محوراً يربط القارات الثلاث ، آسيا ، وأوروبا وإفريقيا إذ يمكن لـ ٧٠٪ فى المائة من سكان العالم الوصول للموقع خلال ٨ ساعات كحد أقصى .

- ٩ قطاعات متخصصة .. يرتكز عليها مشروع « نيوم » متعلقة بمستقبل الطاقة والمياه والتنقل والتقنيات الحيوية والغذاء والعلوم التقنية والرقمية والتصنيع المتطور والإعلام والإنتاج الإعلامي والترفيه ، إلى جانب مستقبل المعيشة الذي يمثل الركيزة الأساسية لبقية القطاعات .

١٤ - دعم محدودي الدخل :

تحول كبير في سياسات دعم محدودي الدخل ، وتنمية اجتماعية بدأت عقب ثورة ٣٠ يونيو وتعاظمت فى ٢٠١٧ على محاور عمل ٣ فى برامج الحماية الاجتماعية وزيادة مخصصاتها من ٨ مليارات جنيه إلى ١٥.٥ مليار ، و ٧ مليارات لبرنامج تكافل وكرامة ، و ٤٠٠ مليون جنيه للرعاية والتنمية الاجتماعية للأطفال بلا مأوى ، وتوفير ١٦٩ مليوناً بالتعاون مع القطاع الخاص وصندوق تحيا مصر

لتنفيذ برنامج تدريبهم فى مؤسسات الرعاية الاجتماعية وتوظيف الخدمة العامة ، وإصدار شهادة أمان للعمالة المؤقتة والموسمية ، وزيادة نصيب الفرد من الحصص التنموية ، والتوسع فى المعاشات بأنواعها.

ومع ذلك تبقى سياسات غير كافية لمواجهة الآثار السلبية لإجراءات الإصلاح الاقتصادي فهي لا تتناسب مع ارتفاع الأسعار وانخفاض القيمة الشرائية للجنيه المصري.

١٥ – الصحة :

- إجراء مسح طبي لـ ٥ ملايين مواطن من فيروس سي وإعلان مصر خالية من المرض فى ٢٠٢٠ .

- زيادة عدد المستشفيات الجامعية من ٨٨ مستشفى إلى ١٠٩ مستشفى

- منظومة متكاملة للرعاية الصحية توجت عام ٢٠١٧ قبل نهاية العام بإقرار البرلمان لقانون التأمين الصحي ليشمل جميع المصريين ، وملحمة التصدي لفيروس « سي» أنهما إنجازان يستحقان أن يفخر بهما عام ٢٠١٧ .

- هذا وقد أشادت هيئات دولية عديدة على رأسها منظمة الصحة العالمية ، وكذلك جميع أطباء الكبد فى العالم في المؤتمرات الدولية بالبرنامج المصري فى التصدي لفيروس «سي» ، وطالبوا بتعميم هذا البرنامج الناجح فى دول العالم التى تعاني من الفيروس .

- إنهاء قوائم انتظار العمليات الجراحية لكل المواطنين بمختلف المستشفيات فى أنحاء الجمهورية .

- صدور قانون يجرم رفض المستشفيات علاج المرضى أو رفض استقبالهم فى العناية المركزة.

١٦- المرأة والشباب :

- استحوز الشباب على قلب المشهد فى ٢٠١٧ ، حيث لقاءات الرئيس السيسي الدورية مع شباب مصر من المحافظات المختلفة ، ونالت المرأة المصرية نصيبها من الإنصاف فى هذا العام بجعله عاماً للمرأة المصرية ، إيماناً عملياً من القيادة السياسية بأنها شريك حقيقي فى كل خطوة على الطريق الوطني .

- زيادة تمثيل المرأة المصرية فى البرلمان بنسبة ١٥٪ بعدد ٨٩ نائب طبقاً للدستور ، وفي الحكومة ٨وزراء ، ومحافظ ومستشار للرئيس لشئون الأمن القومي ونواب للوزراء والمحافظين لأول مرة فى تاريخ مصر .

- تخصيص ٢٠٠ مليار جنيه قروض ميسرة للشباب من البنوك بفائدة مخفضة لا تتجاوز ٥٪ لتوفير التمويل اللازم لهم لإنشاء مشروعات صغيرة منتجة، بالإضافة إلى إنشاء الأكاديمية الوطنية لتأهيل وتدريب الشباب بالتعاون مع الأكاديمية الوطنية الفرنسية .

- الإفراج عن مجموعات من الشباب المحبوسين تنفيذاً لتوصيات مؤتمرات الشباب ، واللجنة المختصة والتى تعقد بشكل دوري لهذا الغرض.

١٧- تطوير إمكانيات القوات المسلحة والتصنيع العسكري ورفع الكفاءة القتالية :

- قاعدة محمد نجيب هي أكبر قاعدة عسكرية بالشرق الأوسط وأفريقيا وتقع فى مدينة الحمام بمحافظة مرسى مطروح على مساحة ١٨ ألف فدان وتضم ١١٥٥ منشأة حيوية ، منها ٧٢ ميداناً متكاملاً للتدريب ، تشمل مجمعاً للتدريب التخصصي ، ومجمعاً لميادين الرماية التكتيكية الإلكترونية باستخدام أحدث نظم الرماية ، وقاعة مؤتمرات كبرى ، ووحدات سكنية للضباط وضباط الصف والجنود.

- الأسطول المصري الجنوبي ، والأسطول المصري الشمالي لتأمين حدود مصر الاقتصادية فى البحرين الأحمر والأبيض والحفاظ على ثرواتها .

- فرقاطة فريم البحرية (هي فرقاطة ومدمرة فرنسية إيطالية) تسلمتها مصر من فرنسا عام ٢٠١٥ وأطلقت عليها اسم (تحيا مصر) .

- عدد ٤ غواصات ألمانية تسلمت مصر منهم عدد ٢ وسيتم استلام ٢ خلال الفترة المقبلة وهي أحدث غواصات فى العالم لديها القدرة على اطلاق صواريخ بحر بحر وطوربيدات وملاحقة أي أهداف معادية في المياه العميقة .

- تزويد قوات الدفاع الجوي بأنظمة متطورة ومد باقي التشكيلات بدبابات ومدرعات حديثة .

- طائرات قاذفة ومقاتلة ومروحيات من الشرق والغرب .

- استخدام الأقمار الصناعية فى الأغراض العسكرية لمتابعة ورصد تحركات المهربين والمتطرفين ونقل الأسلحة والهجرة غير الشرعية والتنقيب عن الذهب والآثار على الحدود وداخل البلاد .

- رفع كفاءة المصانع الحربية وزيادة خطوط إنتاج المعدات العسكرية لتلبية احتياجات القوات المسلحة والتصدير بالاتفاق مع دول شرقية وغربية .

- الفرقاطة الشبحية من طراز جوويند التى تم بنائها فى ترسانة اسكندرية البحرية بالتعاون مع شركة نافال الفرنسية والمقرر بناء عدد (٣) وحدات أخرى ، وانضمامها للقوات البحرية مع عدد٢ لنش جديدة من المصرية لإصلاح وبناء السفن .

- حاملتا الطائرات الميسترال جمال عبد الناصر وأنور السادات اللتان دعمتا الأسطولين الشمالي والجنوبي ، لتقوم كل منها بنقل الجنود وطائرات الهيلوكوبتر، والعمليات البرمائية ، وبها أماكن للمركبات والبضائع واقامة الأفراد

بتجهيزات الإعاشة للمهام بعيدة المدى ، وإدارة المعارك والمعلومات والاتصال بالأقمار الصناعية .

- تدريبات برية وجوية وبحرية مع مختلف دول العالم شرقاً وغرباً .

- متابعة مستمرة للإعداد ورفع كفاءة المقاتل المصري .

١٨ - بناء الإنسان المصري :

- مشروعات بناء الإنسان المصري وتوفير الحماية والرعاية الاجتماعية ، ويتضمن ١١ محوراً ، وهي مشروع « تكافل وكرامة » لمحاصرة مشكلة الفقر فى مصر ومنظومة الخبز لتسهيل وصول رغيف الخبر المدعم للفقراء ومحدودي الدخل وتطوير القرى الأكثر احتياجاً ، ومصر بلا غارمات وغارمين والبرنامج الرئاسي لتأهيل الشباب للقيادة وإنشاء بنك المعرفة وتطوير مراكز الشباب وقصور الثقافة .

- تطوير التعليم والبحث العلمي ومشروعات المجلس التخصصي للتعليم والبحث العلمي .

- إطلاق برنامج « المعلم » لتأهيل المعلم وتخريج الدفعة الأولى من هذا البرنامج ، وتوفير الشريحة الثالثة من كادر المعلم والتى تقدر بـ ١٢٥ ٪ من الراتب الأساسي .

- إطلاق بنك المعرفة المصري والذي يتاح لكافة المواطنين والباحثين بالمجان ، وإرتفاع أعداد الأبحاث العلمية بنسبة بلغت ٢٩٪ .

- زيادة عدد المبعوثين للخارج بنسبة ٧٢٪ وبتكلفة ٧٠٠ مليون جنيه .

- إنشاء ٩ جامعات حكومية وخاصة جديدة بمواصفات حديثة تواكب التطور العلمي وتوفر بيئة أفضل للتعليم.

السياسة الخارجية :

إن صناعة السياسة الخارجية لأي دولة عملية معقدة للغاية فمن الناحية النظرية تتطلب التنسيق بين مختلف أجهزة الدولة باعتبار أن السياسة الخارجية ما هي إلا البرنامج السياسي الوطني للدولة في الخارج ، وتقوم وزارة الخارجية بالإشراف على تنفيذ هذا البرنامج فى الخارج بمعاونة الجهات السيادية مثل المخابرات العامة والمخابرات الحربية التى تعد الأكثر إحكاماً على محاور التهديدات الخارجية ، والهيئة العامة للاستعلامات المناط بها ترويج الصورة القومية لمصر فى الخارج .

إن موقع مصر كدولة مركزية في الشرق الأوسط يحدد الكثير من مبادئ السياسة الخارجية وتعدد ارتباطاتها السياسية وأدوارها الإقليمية والعالمية فهناك ارتباطات سياسية عربية بحكم الانتماء القومي ، وأخرى متوسطية ، وثالثة إفريقية ورابعة إسلامية وخامسة عالمية بحكم تفاعل مجمل الارتباطات السابقة ،ولكن هذه الأدوار المتعددة فى مجملها ناتج تفاعل عاملين مهمين هما الجغرافيا بما تشمله من ثوابت ، كالموقع والموضع والموارد الطبيعية والسكانية وعلاقات الجوار ، ثم التاريخ بما يشمله من متغيرات مثل توجهات النخبة الحاكمة ونظام الحكم ، حيث أن السياسة الخارجية ما هي إلا امتداد للسياسة الداخلية.

إن التعامل مع الإرهاب على مستوى العالم ينبغى أن يتسم بالحسم والشمول، بمعنى ضرورة مواجهة الإرهاب وفى كل صوره، والعمل على قطع كل خطوط الإمداد والتمويل بالمال والسلاح إضافة إلى ضرورة القضاء على قياداته باستمرار، وعدم الاقتصار على مواجهة تنظيم دون آخر، مع أولوية مواجهة الإرهاب فى الداخل وعلى حدودنا ورفض فكرة مشاركة تنظيمات يراها البعض تمثل الإسلام المعتدل فى الحكم، فليس لدينا سوى إسلام واحد وجميع تنظيمات ما يسمى بالإسلام السياسى وبدون استثناء متطرفة فى فهمها للإسلام ومن ثم فإن دخولها

المحافل السياسية بشعارات دينية يعكس قدرا من التطرف .

السعى لتحويل نهر النيل إلى فرصة للوصل بدلا من التعامل معه كتهديد فقط، وقد تمكن الإنسان من إجراء هذا التحول بفضل التفكير من خلال توقيع اتفاق مبادئ بين مصر والسودان وإثيوبيا ينص على عدم الضرر والتشاور الدائم بعد أن جمدت المباحثات لفترة طويلة نتيجة رفض مصر التوقيع على الاتفاق الإطارى لاستخدامات مياه نهر النيل والذى تسبب لنا فى كارثة قومية بلا داع.

أن الأمن القومى العربى خط أحمر ومن ثم الاهتمام بتفعيله ودعمه لمواجهة الإرهاب، ومن هنا تكتسب زيارة الرئيس السيسى للجزائر وزياراته المتعددة لدول الخليج أهميتها للتنسيق معها فى مواجهة الإرهاب فى الساحل والصحراء على جانبى خط التماس العربى الإفريقى.

أن استعادة مصر لدورها العربى لن يتأتى إلا فى إطار تعدد دوائر هذا الدور، فمصر تتعدد انتماءاتها السياسية فهى دولة عربية أولا، ومن ثم فمن المهم العمل أولا على تنقية الأجواء العربية من أى شوائب، وهو ما دعاها لاقتراح تشكيل قوة عربية مشتركة على القمة العربية بشرم الشيخ، كما أنها دولة أفروآسيوية ثانيا، ومن ثم فقد كان لزاما عليها استعادة علاقاتها القوية ودورها الحاسم فى آسيا وأفريقيا، فمعظم الدول الإفريقية تحررت فى ستينيات القرن العشرين بدعم مصر، ولذا يندر أن تزور دولة إفريقية دون أن يكون الشارع الرئيسى فيها باسم جمال عبد الناصر، فأينما نتوجه سنجد ناصر.

فالسياسة المتوازنة سواء من المواطنة أو الهجرة غير الشرعية أو الإرهاب الدولى، والتعامل معه بمنطق سياسى واحد سواء تعلق الأمر بسيناء أو سوريا أو ليبيا أو العراق أو اليمن، ووضع أسس تحكمها معايير موحدة فى التعامل مع الإرهاب، مع كل الدول التى تعانى منه فى العالم، حتى ولو أدى الأمر إلى إشكالات مع حلفاء مهمين لمصر فى المنطقة العربية أو خارجها.

إن تعديل مسار العلاقات الخارجية لآفاق أرحب أتاح علاقات ندية مع الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، وعلاقات دافئة مع روسيا والصين واليابان وكوريا، وعلاقات وطيدة مع الإمارات وشراكة حقيقية مع السعودية، والعودة إلى أحضان القارة السمراء وانتهاء سنوات من الإهمال، وتعاون ثنائى مع الأشقاء الأفارقة كان دافعا قويا لعودة مصر إلى الاتحاد الأفريقى بعد فترة مؤقتة من تجميد عضويتها،وزيارات رئاسية متكررة أنهت عقود التجاهل وترجمت رؤية مصر نحو قارتها وصححت المسار وأعادت جسور التواصل، وأكدت حرص الإنسان على المشاركة فى أعمال جميع القمم الأفريقية، ومد يد العون للأشقاء للاستثمار فى المستقبل .

ولعلنا نتذكر الفترة من ٢٠١١ إلى ٢٠١٤ لم تكن هناك سياسة عربية لمصر بمعنى الكلمة ، سواء فى الفترة التى تولي فيها المجلس الأعلى للقوات المسلحة مقاليد الأمور فى البلاد بحكم انكفائه على مشكلات الداخل ، أو فترة حكم «جماعة الاخوان خوارج العصر » ممثلة فى مندوبها وممثلها فى « الرئاسة » باسم محمد مرسي ، وهي فترة لو كانت قد امتدت لكانت اختفت تماماً السياسة العربية لمصر وتحولت إلى سياسة متطرفة الأبعاد والمنطلقات والأهداف ففي بداية عهده عاد من السعودية ، عقب أول زيارة له في الخارج ،بأن مصر والسعودية سيدافعان عما وصفه بـ « الإسلام السني » وقبل اندلاع ثورة ٣٠ يونيه قرر قطع العلاقات الدبلوماسية مع سوريا وطلب من الجيش المصري أن يقوم بتدريب عناصر من «الجيش السوري الحر » وهو الطلب الذي قوبل بالرفض من القيادة العامة للقوات المسلحة.

لقد كانت القضية الفلسطينية فى قلب السياسات والتوجهات العربية لمصر ، ومرت المواقف المصرية فى هذا الشأن بعدة مراحل منذ تأسيس إسرائيل في عام ١٩٤٨ ، وواقع الأمر أن شرعية السياسة العربية لمصر داخل العالم العربي ارتبطت بصورة عضوية بموقف مصر من القضية الفلسطينية ، فكلما دافعت مصر وبصلابة

عن الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني ، كلما انعكس ذلك إيجابياً على الدور والتأثير المصري فى النظام العربي على المستويين الرسمي والجماهيري .

ومما لا شك فيه أن العلاقات المصرية – الأمريكية تعرضت خلال إدارة أوباما إلى خلافات بعضها علني والآخر مكتوم ، حيث اتجهت هذه الإدارة خصوصاً منذ سقوط حكم جماعة الإخوان الإرهابية فى العام ٢٠١٣ للضغط على مصر عبر ملفات مثل ، المعونة ، حقوق الإنسان ، والديمقراطية والسعي لدمج ما يسمونه بالإسلام السياسي ، فضلاً عن خلافات القاهرة وواشنطن حول قضايا الإرهاب واتفاقيات التجارة الحرة ، وليبيا وسوريا ، وبالتالي بدت العلاقات بين البلدين أشبه بحالة من التجمد ، إذ لم يزر الرئيس السيسي الولايات المتحدة إلا لإلقاء خطابه في مقر الأمم المتحدة فى نيويورك .

لذا ، شكل تولي الرئيس ترامب فرصة لتحسين هذه العلاقات بدرجة أكبر ، وذلك لتركيز الجمهوريين على البعد الاستراتيجي فى العلاقة بين البلدين، فضلاً عن موقفهم المعادي لتيار ما يسمونه بالإسلام السياسي ، وهو ما تؤيده مصر فى مكافحة الإرهاب ، ووجود توافق نسبي فى بعض الملفات الإقليمية والثنائية مع السعي لتطوير أسس العلاقات على قواعد جديدة من المصالح المشتركة ، وتفهم أمريكي لطبيعة العلاقات مع دولة كبيرة محورية فى الشرق الأوسط ، ونموذج للدولة التى تواجه التحديات والمخاطر فى الإقليم بأكمله .

لمحة إلى الإنسان :

أحد هوايات الرئيس الإنسان المفضلة هي ركوب الدراجات ، يؤكده الحرص على إظهارها فى مناسبات عديدة.

حفظ الإنسان القرآن فى سن صغيرة، وعلى الرغم من أن والده كان من أكبر

تجار منطقة الجمالية إلا أنه لم يؤذ أحداً على الإطلاق .

كان قارئاً جيداً لنجيب محفوظ وكان يحرص على قراءته باستمرار قبل النوم ولم يكتف بدارسة العلوم العسكرية فقط بل كان يقرأ فى مجالات مختلفة ومنها الأدب.

- يعمل ٢٠ ساعة يومياً يبدأ يومه من الرابعة صباحاً ليؤد صلاة الفجر بمنزله قبل أن يصل إلى مكتبه ولا يغادره إلا بعد التاسعة مساء.

- فى ١٦/ ٨/ ٢٠١٣ اتصال البيت الأبيض الأمريكي لمكالمة من الرئيس أوباما لمكتب وزيرالدفاع المصري الفريق أول السيسى ، فكان رد مساعديه بأدب أن الوزير مشغول وفي القصر الجمهوري رئيس الجمهورية المستشار عدلي منصور يمكن الحديث إليه فيما يريد (كانت إجراءات فض اعتصامي جماعة الإخوان الإرهابية ومناصريهم فى رابعة العدوية والنهضة قد بدأت فى ١٤/ ٨/ ٢٠١٣ وأراد أوباما التدخل لإنقاذ الجماعة)(١) .

- ٢٦ مارس ٢٠١٤ أعلن المشير الانسان استقالته من منصب القائد العام للقوات المسلحة وزير الدفاع والإنتاج الحربي ، تلبية لأمر شعب مصر.

- ٣ يونيو ٢٠١٤ انتخاب السيسى الإنسان رئيساً للبلاد .

- تبرع بنصف ثروته التى ورثها عن والده ، وبنصف مرتبه الذى يتقاضاه من عمله كرئيس للجمهورية لصندوق تحيا مصر ، كما تقدم بإقرار الذمة المالية وفقاً للقانون.

- إجراءات الأمن المتبعة مع الوفود والوزراء من مختلف بلاد العالم فى

(١) كان غضب أوباما من رد فعل وزير الدفاع الفريق أول السيسي وراء الإدانات الغربية وحلفائها لما حدث فى مصر – ومطالبات المنظمات الحقوقية التابعة لهم بالتحقيق فيما حدث فى عملية فض الاعتصام – وأعلن أوباما إلغاء مناورات النجم الساطع.

المطارات وموانى الوصول المصرية وزيارات الرؤساء والملوك والأمراء تتم حالياً وفقاً لمبدأ المعاملة بالمثل .

- تطوير منطقة وسط القاهرة أبرزها شارع الشريفين وبه الإذاعة المصرية ، وشارع الألفي ، وبهما المطاعم والمقاهي والمقاعد ليعود كل منهما لسابق عهده مزاراً يليق بوسط القاهرة سياحياً وثقافياً.

- تطوير وتشغيل نافورة نهر النيل واستغلالها للدعاية حيث تقع على المجرى المائي الطبيعي لنهر النيل .

- مشروع إعادة فندق كونتنتال فى ميدان الأوبرا وتطوير المنطقة المحيطة به لتستعيد منطقة الأزبكية روعتها وجمالها .

- تقنين أوضاع واحتياجات ذوي الاحتياجات الخاصة ومكانتهم وحقوقهم بالمجتمع .

- بدأ سريان التأمين على الحياة على عمال اليومية والعمالة الموسمية الغير منتظمة بشهادة أطلق عليها أمان .

- صدور قانون التأمين الصحي الشامل ليغطي جميع المواطنين فى جميع أنحاء الجمهورية ، وعلى مراحل لتوفير الرعاية الطبية المتكاملة بعد توفير المستشفيات والمراكز الطبية والأطقم الطبية والتمريض والتمويل اللازم ، والبداية من بورسعيد وباقي مدن القناة وسيناء .

- تعد صراحة وصدق وتفاؤل الإنسان بمثابة تحصينات قوية أمام وسائل الإحباط واليأس والتشكيك وضغوط الحياة .

- فتح معبر رفح البري بين جمهورية مصر العربية وقطاع غزة الإقليم الجنوبي من دولة فلسطين طوال شهر رمضان المعظم ابتداء من ١٧/ ٥/ ٢٠١٨

وحتى ١٦/ ٦/ ٢٠١٨ ، أعطى انطباعاً بأن الرئيس الإنسان اتخذ القرار فى التوقيت المناسب لصالح الشعب الفلسطيني ، ولمواجهة ظروف استثنائية تعيد القضية لدائرة الضوء ، مسانداً بذلك قواعد الحق والعدل والإنسانية، وتوقف سيل المزايدين ، وتتيح فرصاً أكبر لمفاوضات شاقة مع مختلف الأطراف وصولاً لمصالحة حقيقية تجمع الشمل الفلسطيني ، واستمرار القوافل الطبية والمساعدات الإنسانية من أجهزة الدولة والأزهر ومؤسسات المجتمع المدني.

- مشروع إقامة مدينة طبية عالمية على مساحة ٣٧٠ فدان باستثمارات تبلغ حوالى ٣٥٠ مليون دولار بالتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية وستضم عدداً من المستشفيات فى جميع التخصصات فى مرسى مطروح .

- فى فبراير ٢٠١٦ تم الإعلان عن رؤية مصر ٢٠٣٠ وتمثل الاستراتيجية للتنمية المستدامة .

- السيدة انتصار عامر التى لم يكن زواجها من الإنسان زواج صالونات لكنه كان بعد قصة حب جمعتهما ، ووعدها بالتقدم لخطبتها بعد تخرجه وتزوجها بالفعل بعدما تخرج فى الكلية الحربية عام ١٩٧٧ ، وفقاً لما قاله الإنسان فى حواره مع الإعلاميين إبراهيم عيسى ، ولميس الحديدي .

- والمعلومات عن سيادتها تظل محدودة للغاية فهي لم تظهر معه إلا في مناسبات عامة محدودة ، ومشاركة سيادتها فى التنمية الاجتماعية تساهم فى دعم دور المرأة وتطوير العمل المجتمعي.

- تستخدم سيادتها والأسرة ملابس ومصنوعات جلدية مصرية اعتزازا وفخراً لكونها صنعت فى مصر .

- وعدان قطعهما الرئيس الإنسان على نفسه الأول الالتزام بمكارم الأخلاق والعمل على نشرها بين الناس وأولهم فريقه الرئاسي ووزراء حكومته وكبار

الموظفين فهم القدوة التى إن صلحت صلحت الرعية ، والثاني هو إعلان التزامه بطموحات الشعب عندما قال بوضوح في خطاب الفوز يوم ٣/ ٦/ ٢٠١٤ نستهدف خلال المرحلة المقبلة تحقيق أهداف الثورة عيش ، حرية ، كرامة إنسانية ، عدالة اجتماعية

- الرئيس الإنسان رفض وضع صورته فى المصالح والمؤسسات الحكومية المدنية والعسكرية .

- الرئيس الإنسان أول رئيس لمصر يختتم خطاباته فى المحافل الدولية والمحلية **بتحيا مصر .. تحيا مصر .. تحيا مصر.**

- انتهج سياسة التوسع فى استخدام الأقمار الصناعية للأغراض العسكرية والمدنية بالتعاون مع الشرق والغرب.

- صدور قانون وكالة الفضاء المصرية والقوانين الخاصة بالطاقة الذرية.

- إعادة تشكيل المجالس المتخصصة التابعة لرئاسة الجمهورية لتتولى المساهمة فى رسم السياسة العامة للدولة وإعداد الدراسات الشاملة فى كافة مجالات العمل الوطني وتشمل المجلس التخصصى لتنمية المجتمع والمجلس التخصصي للتعليم والبحث العلمي والمجلس التخصصي للتنمية الاقتصادية والمجلس التخصصي للسياسة الخارجية والأمن القومي.

الوفاء وترسيخ احترام الرموز الوطنية

أ) **فكانت قاعدة محمد نجيب** : أول رئيس لجمهورية مصر العربية بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وتعد الأكبر فى الشرق الأوسط وإفريقيا.

ب) حاملة الطائرات الميسترال جمال عبد الناصر

ج) حاملة الطائرات الميسترال أنور السادات

د) إطلاق أسماء القادة العسكرين على المحاور والطرق والكباري .

هـ) إطلاق أسماء الذين أسهموا بأقلامهم أو أرواحهم لرفعة شأن مصر على المؤسسات والشوارع والميادين والمحاور .

- هو أول حاكم لمصر يقدم للشعب الذي اختاره كشف حساب عن مدة ولايته الأولى (٢٠١٤ – ٢٠١٨) .

- أعلن أن المصريين استطاعوا بصبرهم وبصيرتهم النافذة أن ينقذوا بلادهم من مسار مظلم ، وسيكتب التاريخ تضحياتهم بحروف من نور.

- ثم كان قراره بإصدار أول جواز سفر دبلوماسي لملك مصر السابق أحمد فؤاد الثاني آخر ملوك مصر بعد إعلان الجمهورية فى ١٨/ ٦/ ١٩٥٣ .

ليحقق بذلك :

أ) رد اعتبار لآخر ملوك أسرة محمد على.

ب) تصحيح المسار .

ج) استعدال صورة مصر أمام نفسها وأمام العالم .

- كما كان قرار مصلحة صك العملة التابعة لوزارة المالية إصدار مجموعة تذكارية لمحمد على باشا وأسرته والتى تتكون من ١١ ميدالية مصنوعة من الفضة الخالصة تحمل على أحد وجهيها اسم الملك وشعار مصلحة صك العملة وعلى الوجه الآخر رسماً لصورة هذا الملك ، يمثل قيمة وتفردا إنسانياً بالغ الضرورة .

- الترحيب بزيارات مستمرة لملك مصر السابق لمصر ومعالمها وكذلك الأمير محمد على نجل الملك وزوجته الأميرة نوال ، وباقي أفراد الأسرة العلوية.

- تعد مصلحة صك العملة مجموعات تذكارية إحداها لكنوز مصر الفرعونية وتحديداً الدولة القديمة ، وأخرى توثق مسار العائلة المقدسة فى مصر

بعد اعتماد كل من البابا تواضروس الثاني بابا الاسكندرية بطريك الكرازة المرقسية وبابا الفاتيكان باعتبار مصر واجهة للحج ودعوة كل مسيحي العالم لزيارتها واقتفاء أثر العائلة المقدسة بها .

- الكورفيت الشبحي الثقيل سجم بورسعيد ٩٧٢ من الفئة **Gowind 2500** تم الانتهاء من بنائه فى ترسانة الإسكندرية البحرية ، وهو أول قطعة حربية بحرية تم صناعتها فى ترسانة الإسكندرية منذ عهد محمد على باشا مؤسس مصر الحديثة من أصل عدة كورفيتات سيجرى بنائها فى مصر حسب الإتفاق المبرم بين القوات البحرية المصرية وشركة نافال جروب الفرنسية .

- حين سئل الإنسان فى مؤتمر الشباب فى مايو ٢٠١٨ عن إمكانية وجود سلاح نووي فى مصر قال علينا « انتو النووي » وفعلاً العالم كله يشهد إننا شعب قادر على التحدي ساعة الجد ولا نقبل بتدخل أي دولة فى شؤوننا ودي إرادة شعب، يعشق تراب وطن ، وواقف خلف قواته المسلحة، وعلى قلب رجل واحد.

- ولأول مرة فى مصر تتوجه أجهزة الدولة برعايتها لأطفال بلا مأوى فتجوب سيارات خاصة مجهزة للبحث عن أطفال الشوارع وتجميعهم وتأهيلهم نفسياً واجتماعياً وصحياً وتعليمياً ومهنياً لأعمال هادفة فى مصر ، جمعوا حتى الآن ٧٥٠ ألف طفل من الشارع والميادين من أصل حوالي٢ مليون طفل.

- ولأول مرة أيضاً يعلن الإنسان الثقافة أحد مرتكزات إعادة بناء الإنسان المصري بعد التعليم والصحة.

- مركز مجدي يعقوب للقلب فى مدينة أسوان الجديدة سيقدم العلاج لحوالي ١٢ ألف مريض سنوياً ، وسيكون منارة للعالم كله ، ومركز لإبداع الشباب المصري، وسيكون به مركز للأبحاث ولتدريب الأطباء والتمريض والفنيين ، وسيعتمد على تبرعات المصريين والعرب والأجانب إلى جانب مساندة الدولة

والمجتمع المدني.

عظيمات مصر وانتصار الإنسان للتاء المربوطة :

علاقة الإنسان والمرأة المصرية الذي أطلق عليها عظيمات مصر علاقة من نوع خاص جداً ، عنوانها (الإجلال والاحترام) مملوءة بالعزة والفخر والتقدير، ولم لا وهي من لا تتواني فى التفاني من أجل مصر .

هي .. من تقدم أغلى وأعز ما تملك ، فلذة كبدها « ابنها ، زوجها ، شقيقها » فداء للوطن راضية .

وهي من يستدعيها الإنسان كلما مر الوطن بمحنة أو عان من خطر أو أزمة وهي .. من توجها ولأول مرة فى التاريخ مستشاراً للأمن القومي ومحافظ ، وست وزيرات ، ٨٩ نائبة بالبرلمان ، إلى جانب منصبي نائب ووكيل محافظ البنك المركزي ورئيس البنك الأهلي وأربع نائبات للمحافظين وثلاث نائبات للوزراء وارتفع عدد القاضيات فى مصر ليصل إلى ٦٦ قاضية ، ولأول مرة تم تعيين ٦ نائبات لرئيس هيئة قضايا الدولة ، ووصل عدد المأذونات الشرعيات إلى ٦ بالإضافة إلى منصب العمدة الذي تبوأته أكثر من امرأة.

وإذا تكلمنا عن المرأة المصرية منذ يناير ٢٠١١ حتى الآن فلن ننسى على الإطلاق قدرتها على إدارة بيتها بما هو متاح اقتصادياً الآن ، فنحن نعرف أنها هي العنصر العائلي الأول الذي يمسك باقتصاديات الأسرة سواء كان ذلك فى مجال توفير الطعام أو الملبس أو تعليم الأبناء أو علاج الأسرة كلها ، إنها المواطنة التى تقع على أكتافها كل تبعات بناء مصر المستقبل الذي يصعب الوصول إليه إلا بالتضحية من الجميع.

كما أن الملاحظ والواضح أن كل التشكيلات التى يصدر بها قرارات جمهورية سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية عادة ما تضم عدداً من الخبيرات ، مما يشير إلى

اهتمام الإنسان بوجود المرأة المصرية فى كل المجالات والتخصصات .

إنها صوت ضمير الأمة والحارس على وجدان الوطن هكذا وصفها الإنسان فى احتفالية أقيمت بمناسبة عيد الأم .

- **الإنسان يعتذر :**

فى مواقف كثيرة لم يتردد الرئيس فى الاعتذار عن التقصير بحق المرأة سواء فى حمايتها أو عدم إظهار التقدير الكافي لها ، ففي أثناء الاحتفالات بتنصيبه رئيساً للجمهورية تعرضت إحدى السيدات فى ميدان التحرير للتحرش ، فسارع بزيارتها وإهدائها باقة من الورود قائلاً « حقك علينا .. إحنا آسفين ، وسأخاطب كل جندي لمنع تكرار هذا الأمر ».

- **سائقة العربة :**

تتعدد المواقف التى تؤكد تقدير الإنسان العميق للمرأة المصرية وتأكيده الدائم لقيمة العمل فعندما انتشرت على مواقع التواصل الاجتماعي صورة لفتاة من الإسكندرية تدعى منى السيد إبراهيم بدر ، وهى تجر عربة بضائع أثار الأمر إعجابه الشديد لكفاحها وإصرارها على تحقيق واقع أفضل لأسرتها .

قرر مقابلة منى التى اعتبرها نموذجاً مشرفاً لكافة شباب مصر ، وقدوة عظيمة لجميع المصريين بسبب إعلائها لقيم العمل والعطاء والصبر، وبعد انتهاء اللقاء فى قصر الرئاسة أصر أن يفتح لها باب السيارة بنفسه ، وطالب وزارة الإسكان بتوفير شقة مجهزة بكامل الأثاث لها ووجه بمساعدتها فى تعلم قيادة السيارات ، وتوفير سيارة نقل بضائع لها لتقودها بدلاً من جر عربة البضائع .

- **مراسلة قناة « أون تي في » :**

أما « لمياء حمدين » مراسلة قناة « أون تي في » التي انتشرت صورتها خلال

عملها وهي تحمل طفلها على يديها ، فتلقت اتصالاً من مؤسسة الرئاسة لإبلاغها تحيات الإنسان على موقفها وتقديرها لدورها كأم وامرأة عاملة .

- **الحاجة زينب من منية سندوب بالمنصورة**

السيدة المسنة زينب مصطفى سعد الملاح امرأة كفيفة ، لم تمنعها ظروفها المعيشية الصعبة من التبرع بقرطها الذهبي لصالح صندوق « تحيا مصر ».

وعندما رفض البنك أخذ القرط لأنه لا يتعامل إلا مع النقود ، ذهبت وباعته وعادت لتتبرع بثمنة للصندوق .

هذا التصرف الذي يليق بالمرأة المصرية دعا الإنسان إلى استقبال السيدة «زينب» فى القصر الرئاسي ، فأخبرته أنها عندما سمعت أنه تبرع بنصف راتبه ونصف ميراثه قالت لأبنائها : « هذا رجل صادق وإذا كان عمل كده علشان بلدنا فالمفروض كل واحد فينا يقدم اللي يقدر عليه ».

بدوره سألها الرئس إذا كانت أدت فريضة الحج ، وعندما نفت ، قال : «خلاص يا حاجة إنتى هتحجي السنة دي على نفقتى الخاصة ، علشان تروحي تدعى لمصر فى الحرم وعند سيدنا النبي إن ربنا يحفظها ويحميها » .

هذا التبرع تم توثيقة بمتحف رئاسة الجمهورية ليظل دلالة على عظمة وتضحية الشعب المصري العظيم وقرر الإنسان أن يشتري القرط من ماله الخاص ويضعه فى مكان بارز بمتحف الرئاسة ليكون ذكرى للأجيال .

يرى الإنسان أن الإرادة السياسية ليست كافية لتمكين المرأة فى ظل ثقافة مجتمعية قد تكون حاجبة ، ورافضة لدور المرأة ، ويعتبر المشكلة التى تواجهها بلادنا أن الرجل قد يكون غير منصف للمرأة ، ويقول :« إن من التحضر إعطاء المرأة دوراً ، وليس الأمر تفضلاً أو مجاملة لها ».

ودعا فى أكثر من مناسبة إلى ضرورة تغيير ثقافتنا تجاه المرأة ، وأن يبذل

الإعـلام والمسـجد والكنيسـة والتعلـيم جهـداً في هـذا الأمـر ، وقـال إن معظـم المشاركين معه فى ماراثون الصباح كانوا من السيدات ونساء الحكومة .

- **في حوار سيادته مع المخرجة والإعلامية ساندرا نشأت تحت عنوان « شـعب ورئيس»**[1]:

أ) لم أحلم أبداً بمنصب رئيس جمهورية وتمنيت أن كون « ضابط طيار ».

ب) حاولت واجتهدت لحماية وطني فى ظروف صعبة .. وهذه سيرتي الذاتيـة والدي كان صاحب قرار ... ووالدتي صاحبة رأي ورشد عجيب .

ج) السيسي للمواطن .. تكلـم كمـا شـئت دون خـوف ... بشـرط ألا تـؤذي البلد.

د) الرئيس لا يستطيع العمل وحده ... ونجهز كوادر للمناصب العليا .

هـ) الإخوان لم يدركوا أن الحل الوحيد فى ٣٠ يونيو .. كان انتخابات رئاسـية مبكرة .

و) تحركت لحماية المصريين... وليس من أجل شعبية .

ز) الشعب المصري شاطر ونبيه .. وأطالبه بقليل من الصبر .

ح) لن أكـون مبالغـاً فى أن الأوضـاع سـتتغير ... وتكـون أفضـل مـن الوقـت الحالي.

ط) الأخلاق والانضباط والأمانـة والشـرف والإخـلاص ... معـايير اختيـار المسئولين .

ي) مرحلة تثبيت الدولة فى نهايتها ... وسنقضى على الإرهاب تماماً .

(١) الجمهورية الأربعاء ٢١ مارس ٢٠١٨ .

ك) بالتنمية الحقيقية ... سوف نعوض أهل سيناء عما عانوه خلال السنوات الماضية .

ل) لا أسعى لتخليد اسمي ... وأحب أن أكون « السيسى الإنسان ».

- **عندما قال الرئيس للمصريين : « هتتعبوا معايا أوي » :**

ليست هذه أول مرة يقول فيها الرئيس « هتتعبوا معايا أوي » ولكنه قال هذه الرسالة من قبل بالنص ، حينما أعلن عن ترشحه لولاية ثانية فى يناير الماضي .. ومن المفترض أن المرشح الرئاسي يقول :« انتوا هتاكلوا معايا الشهد ! ولكنه لا يريد خداع الرأي العام . فقد انتهى زمن كانوا يقولون فيه :« المنحة يا ريس » وانتقلنا إلى زمن « العرق والدموع » لنسدد الفواتير القديمة » [١]

ومضات فى حياة الإنسان :

- أجرى تغييرات فى قيادات القوات المسلحة عام ٢٠١٤ أهمها اللواء أحمد وصفي ليكون رئيساً لهيئة تدريب القوات المسلحة بدلاً من قيادة الجيش الثاني الميداني ، ويشغل حالياً منصب مساعد وزير الدفاع .

- كما أجرى فى أكتوبر ٢٠١٧ تعديلاً بتعيين الفريق محمد فريد حجازي بدلا من الفريق محمود حجازي رئيس أركان القوات المسلحة الذي عينه مستشاراً لرئيس الجمهورية للتخطيط الاستراتيجي وإدارة الأزمات .

- عين الفريق محمد زكى قائد قوات الحرس الجمهوري وزيراً للدفاع قائد عام للقوات المسلحة بدلاً من الفريق أول صدقى صبحي.

- أجرى تعديلاً بتعيين كل من وزير الداخلية اللواء مجدي عبد الغفار خلفاً للواء محمد إبراهيم واللواء محمود توفيق بدلاً من اللواء مجدى عبد الغفار.

(١) المصري اليوم الاثنين ٣٠/ ٤/ ٢٠١٨

تواضع رئيس

فى لفتة إنسانية رائعة نشرت الأهرام بتاريخ ٦/ ٥/ ٢٠١٨ تحت عنوان تواضع رئيس « ممكن أتصور معاكم »! [(١)]

(خلال الندوة التثقيفية الـ٢٨ التى أقامتها القوات المسلحة يوم ٢٨ إبريل الماضى قدمت الفنانة ندى شريف المنسى فقرة غنائية بعنوان «يا حبايب مصر» وصاحبها فى تلك الفقرة العازف د.شادى نصيف وديع مدرس بكلية التربية الموسيقية، وقد تصادف أن الفنانة ندى من ذوى الاحتياجات الخاصة وكذلك د.شادى حيث يعانيان فقد الإبصار.

بعد نهاية الفقرة، وبدون ترتيب مسبق التقط الرئيس عبدالفتاح السيسى الميكروفون قائلا «من فضلكم ممكن أتصور معاكم»، وهنا ضجت القاعة بالتصفيق إعجابا بتواضع الرئيس وتشجيعه لأصحاب المواهب، وذوى الاحتياجات الخاصة، وقفز الرئيس مسرعا إلى المسرح ليلتقط صورة مع الفنانة ندى ود.شادى ومرافقيها فى لفتة إنسانية هائلة، ومشاعر فياضة تحمل الحب والخير لكل مواطن مصرى على هذه الأرض الطيبة).

هى سمات «شخصية الرئيس الإنسان» التى لم تتغير بموقع أو بمنصب ليظل محافظا على تواضعه وبساطته مع الجميع حتى مع هؤلاء الذين لم يروه بأبصارهم ليكون يدا حانية عليهم وعلى غيرهم تشحذ همتهم وتنير بصيرتهم.

- وفي يوم ٢٦ مايو ٢٠١٨م واحتفالاً بالعاشر من رمضان ١٤٣٩ هـ قرر الإنسان طرح ميدالية تذكارية جديدة يطلق عليها « ميدالية اليوبيل الذهبي للقوات البحرية » بمناسبة مرور خمسين عاماً على إغراق المدمرة « إيلات » ونشرت الجريدة الرسمية المصرية قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٣٦ لسنة ٢٠١٨م ،

(١) الأهرام فى ٦/ ٥/ ٢٠١٨ .

وتكـون الميداليـة مـن طبقـة واحـدة مـن البرونـز وتـلي فى الترتيـب الميـداليات العسكرية التى صدرت حتى الآن ، والجدير بالذكر أن المدمرة إيلات الإسرائيلية أغرقتها القوات البحرية المصرية فى البحر المتوسط أمـام شـواطئ بـور سـعيد فى ٢١/ ١٠/ ١٩٦٧ م بعد أربع أشهر مـن نكسـة ١٩٦٧م ممـا نـتج عنهـا مقتـل ٤٧ وجرح ٩١ وهي عملية مختلفة عن العمليات الهجومية الثلاث على ميناء إيـلات الإسرائيلي والتى تم فيها إغراق ٤ سفن نواقل وتفجير الرصـيف الحربـي للمينـاء بالكامل .

الانتقادات والملاحظات التـى وجهـت ولا تـزال للآثـار المترتبـة علـى رؤيـة ومشروع الإنسان

- فى سبتمبر ٢٠١٤ انتقـدت منظمـة « هيومـان رايـتس ووتـش »- إحـدى أدوات الغرب - حالة حقوق الإنسان فى مصر تحـت حكـم السيسـى فى مسـتهل زيارة سيادته للولايات المتحدة من نفس الشهر ، حيث انتقدت وجود الحمـلات القمعية المستمرة على الحريات الأساسية ، بما فيها الديمقراطية ، وبما فيها سجن المعارضين السياسيين على نطاق واسـع ، وأحكـام الإعـدام الجماعيـة ، وغيـاب المحاسبة على مقتل أكثر من ألف متظاهر بأيدي قوات الأمن.

- فى نوفمبر من نفس العام وصفت المنظمـة أن حقـوق الإنسـان تراجعـت تحت حكم السيسـى، واستشـهدت باسـتمرار العمـل بقـانون التظـاهر وحمـلات الاعتقال الواسعة للناشطين السياسيين ، ومحاكمة المدنيين أمام محاكم عسكرية، وطالبت سيادته بتحسين هذه الأوضاع.

والرد: ليس هناك معتقلون وإنما مقبوض عليهم بإجراءات قانونيـة علـى ذمـة قضايا جنائية .

- كما ادعت أن عهده شـهد ارتفاعـاً ملحوظـاً فى أعـداد المحكـوم علـيهم بالإعدام حيث ارتفع العدد من ١٠٩ فى عام ٢٠١٣ إلى ٥٠٩ فى عام ٢٠١٤ .

الرد : إنها أحكام قضائية خاضعة لدرجات تقاضي متعددة تسمح بإعادة المحاكمة تحقيقاً للعدالة وفقاً للقوانين المعمول بها في مصر ، وهو شأن داخلي ، والقضاء سلطة مستقلة.

- ثم يقولون : كشفت بعض المصادر عن وجود انتهاكات لحقوق الإنسان، حيث بلغ عدد الصحفيين المحبوسين ١٩ صحفياً ، وهو يعد الأكبر منذ اعتقالات سبتمبر عام ١٩٨١ خلال الأيام الأخيرة من حكم الرئيس الأسبق أنور السادات ، إلا أن عهد الإنسان شهد أيضاً غياب ظاهرة قتل الصحفيين وهوا لأمر الذي تكرر في عهد الرئيس الأسبق محمد مرسي والرئيس المؤقت عدلي منصور .

والرد : المقبوض عليهم نتيجة ارتكاب أفعال يعاقب عليها القانون وليست على ذمة قضايا حرية التعبير كأي دولة في العالم وليس في مصر وحدها أولهم أمريكا ودول الغرب.

- انتقدت بعض وسائل الإعلام والمنظمات المدنية الغربية والصهيونية سياسة الإنسان في التعامل مع أهل سيناء ، حيث أصدر سيادته قراراً بإخلاء الشريط الحدودي مع قطاع غزة بعمق ٥٠٠ متر ثم زيادتها لاحقاً إلى كيلو متر ، وذلك بعد الهجوم الذى تعرض له أفراد من الجيش المصري والشرطة المصرية وأدى إلى مقتل ٣٠ ضابطاً وجندياً ، وبعد القرار شبه بعض «النشطاء » االممولين من الخارج لقرار بالنكبة المصرية .

الرد : ما يحدث في سيناء شأن داخلي ، يخص أجهزة الدولة المصرية مع مواطنيها ، تعيد من خلاله ترتيب الأوضاع للحفاظ على سلامتهم وسلامة الأمن القومي ، ونقلوا لأماكن أكثر أماناً وتعويضهم بشكل لائق ، ووفرت لهم كل سبل الراحة والمعيشة الكريمة من مأكل ومشرب ورعاية صحية واجتماعية ودراسية للأبناء ووسائل انتقال ، خاصة أن هذه منطقة حرب ينبغى إبعاد المواطنين عنها كما حدث من تهجير لمواطنى مدن القناة أثناء حرب الاستنزاف التى بدأت عقب

نكسة ١٩٦٧م .

- أغضبت الأنباء عن ارتفاع أسعار الخدمات الأساسية عدداً من رواد مواقع التواصل الاجتماعي فى مصر ، بعد أن أعلن وزير النقل رفع سعر تذكرة المترو .

واشتكى المتفاعلون مع هذه الأنباء من غلاء الأسعار قائلين إن إنجاز المشاريع الكبيرة يجب ألا يكون على حساب المواطن الفقير وتمنى آخرون إعادة النظر فى أسعار الخدمات الأساسية التى وصفوها بـ « الجائرة » .

من ناحية أخرى ثمن آخرون جهود الحكومة مؤكدين أن المشاريع الكبيرة التى تنفذها ستوفر الرقي الاقتصادي لمصر وتحرر قرارها السياسي كما أشار آخرون إلى أن ارتفاع الأسعار أمر لا يقتصر على مصر ، وسيصب فى صالح المواطنين فى النهاية .

- رغم إقامة حكومة الرئيس الإنسان مئات الآلاف من الوحدات السكنية ما بين اجتماعي واقتصادي بخلاف الإسكان لحالات العشوائيات إلاأن المستندات المطلوبة والضمانات الخاصة بالتمويل العقاري بالإضافة للمقدم ودفعات التعاقد والاستلام تمثل عثرات أمام الأجيال الجديدة من الطبقة الوسطى التى تتطلع لتكوين أسر وتحصل على شقة بشروط وقواعد تراعي البعد الاجتماعي ومستوى الدخول وقدرات المواطنين ، وأعتقد أن أنسب الحلول والأقرب للدراسة هي الإيجار التمويلي .

- وسألني صديقي الصحفي الشاب المؤيد والداعم للإنسان فى حملته الانتخابية أثناء تواجدنا بنقابة الصحفيين :

ما هو مفهوم العدالة الاجتماعية ؟

وما هو مفهوم حقوق المواطنة ؟

وهل قروض صندوق النقد الدولي والبنك الدولي والبنوك الأخرى وضعت مصر فى موقف صعب وأصبحنا أمام حائط سد ؟

ثم يقول محدثي :

التعيين بالنيابة أو السلك الدبلوماسي على سبيل المثال يحتاج لللياقة اجتماعية تحرم المتفوقين والنابهين والمميزين من أبناء الطبقات الكادحة للالتحاق بهما ، والغريب أن أرفع المناصب بالدولة المصرية لا تشترط مثل هذا الشرط لتولي مثلاً منصب رئيس الجمهورية أو رئيس الوزراء أو نوابهما أو المحافظين أو سكرتيرى العموم أو .... الخ

إن تطبيق قواعد العدالة تقتضي العودة للنظام الذي كان معمولاً به بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وهو أن التميز العلمي والتفوق الأكاديمي هما المعيار الحقيقي للمفاضلة والاختيار مع مراعاة دواعي الأمن .

كما أن مخالفة الدستور فى اقتصار التعيين بالنيابة العامة ومجلس الدولة على الذكور وحرمان الإناث من هذا الحق يعد تمييزاً غير مبرر وترسيخاً للمجتمع الذكوري ويخالف قواعد العدالة .

أن المواطن البسيط يريد أن يشعر بقيمة ما لديه من دخل من خلال سداد التزاماته الحياتية أو بمعنى أدق القوة الشرائية لعملته الوطنية واستطرد قائلاً أليس من المنطقي تطبيق مبادئ :

الشفافية ... الصدق ... الحسم ... للجميع وعلى الجميع دون تمييز .

نحتاج قيادات لديها رؤية وافكار خارج الصندوق مبتكرين بمسابقات يتقدم كل منهم بمشروعات لتطوير المكان تفحص اعمالهم المقدمة لجان أكاديمية متخصصة.

نحتاج أن نعرف لماذا تم تعيين المسئول ؟ ونعرف أيضاً لماذا تم الاستغناء عنه ؟

كنت منصتاً وحريصاً على قراءة تعبيرات وجهه وقررت أن أقدمها كما هي باعتبارها استفسارات وتساؤلات مشروعة لشاب وطني محب لقائده عاشقاً لتراب بلده.

رؤية المفكرين فى مشروع الإنسان :

١ - الكاتب الصحفي عبد القادر شهيب يكتب تحت عنوان :

الرئيس وعلاج أمراضنا الاقتصادية المزمنة (بتصرف)[(١)]:

أكثر من مرة قال الرئيس عبد الفتاح السيسي : إنه رفض علاج أمراضنا الاقتصادية المزمنة بالمسكنات ، وأصر على العلاج الكامل لها وإجراء جراحات لاقتصادنا حتى يبرأ عن هذه الأمراض التى سكتنا عليها عدة عقود مضت .. لذلك فإن هذا العلاج يحتاج لوقت وصبر وتحمل حتى يحقق نتائجه المرجوة .. وهذا صحيح تماماً فإن الرئيس السيسى لم يكترث بما قد يلحقه ذلك على شعبيته أو ما قد يعرضه ذلك لانتقادات البعض الذين يستثمرون سياسياً آلام الإصلاح الاقتصادي الضروري .

ولكن لابد وبعد أن أمضى الرئيس السيسي نحو ثلاثة أرباع الفترة الرئاسية وتبقى له عام منها أن نناقش السؤال الذي يطرحه البعض الآن ، خاصة هؤلاء الذين يتفقون مع الرئيس فى ضرورة وأهمية العلاج الناجح لأمراضنا الاقتصادية ويرفضون الاستمرار في التعامل معها بالمسكنات وهذا السؤال هو : هل ما وصفه الذين يديرون اقتصادنا الوطني وبدأنا تنفيذه هو العلاج الناجح فعلاً لأمراضنا الاقتصادية وهل هو علاج كاف أم أنه يحتاج لأدوية أخرى ؟.. وبعبارة أخرى هل

(١) المصور العدد ٤٨٣٣ فى ٢٤ مايو ٢٠١٧ .

هذا العلاج الذي يقدمه المسئولون عن إدارة اقتصادنا سيحل مشاكل الناس ، التى يتصدرها معاناتهم من تضخم شرس يلتهم الآن نحو ثلث دخولهم الحقيقة وأثر بالسلب على مستوى معيشتهم ، واضطرهم لتخفيض استهلاكهم حتى من السلع الضرورية الأساسية الغذائية ، أم أنه سوف يحل فقط مشاكل الحكومة والتى يتصدرها مشكلة شح الموارد وضيق ذات اليد فى ظل إنفاق يزيد كثيرا عن مواردنا الأمر الذي تمخض عن عجز فى موازنتها تزايد سنة بعد أخرى حتى سار يتجاوز الخط بنسبة ١٢٪ من الناتج القومي ، الأمر الذي جعل الحكومة تستدين أكثر لتسد هذا العجز ، وبالتالي زادت الأعباء السنوية لديونها خاصة المحلية ، والتى صارت تلتهم نحو ثلث الموازنة وبات استمرار هذا الوضع مستحيلاً وكارثياً ؟

فهناك توقعات التى اعترف المسؤولون عن إدارة صندوق النقد الدولي التى لم تتحقق والتقديرات غير الدقيقة لهم وأيضاً للمسئولين عن إدارة اقتصادنا الوطني الذين قدموا وصفة العلاج لأمراضنا الاقتصادية أو برنامجاً للإصلاح الاقتصادي فهم توقعوا ألا ينخفض الجنيه المصري بهذا القدر الذي أصابه وألا يتجاوز سعر الدولار بعد تعويم الجنية ١٤ أو ١٥ جنيهاً بينما ارتفع الدولار فى السوق المصرية بعد التعويم للجنية إلى أكثر من ١٨ جنيهاً الأمر الذي أدى إلى زيادة معدل التضخم وأصاب الأسعار بالالتهاب فارتفعت بنسبة تجاوزت ٣٠٪ وهو مالم يكن يتوقعه لا خبراء صندوق النقد الدولي ولا المسؤولون الذين يديرون اقتصادنا الوطني .. وخلال جولة المفاوضات الأخيرة التى جرت بين الحكومة المصرية وبعثة صندوق النقد الدولي ركزت البعثة جل اهتمامها على ضرورة اتخاذ الحكومة المصرية والبنك المركزي المصري إجراءات عاجلة للسيطرة على معدل التضخم ووقف الارتفاع الهائل فى الأسعار ، الذي زاد من معاناة الأغلب الأعم من المصريين خاصة أصحاب الدخول المحدودة والمتوسطة ، وزاد أيضاً من شكواهم والمجاهرة علناً بها ، وهذا أمر من شأنه أن يعرقل أي إصلاح اقتصادي ،

أو لا يساعد على المضي قدماً فى إجراءات هذا الإصلاح ويعطل شفاء اقتصادنا من أمراضه المزمنة وأخطرها أننا نستهلك أكثر مما ننتج ونستورد أكثر مما نصدر، ونضطر للاستدانة لنغطى عدم كفاية الناتج القومي بدلاً من زيادته وأيضاً بدلاً من تخفيض إنفاقنا القومي وبالتالي نعرض أنفسناً لخطر داهم وهو خطر التدخل فى شئوننا الداخلية وفرض الوصاية السياسية الأجنبية علينا من قبل الدائنين وهو خطر سبق أن ذقنا مرارته فى فترة من حياتنا خلال عهد الخديوي إسماعيل ومن بعده الخديوي توفيق .

وهكذا لقد وصف الذين يديرون اقتصادنا الوطني علاجاً لأمراضنا الاقتصادية دون أن يتحسبوا لآثارها الجانبية ، سواء على موازنة الحكومة أو على عموم المواطنين ، وبالتالي دون أن يكونوا مستعدين وجاهزين فوراً للتعامل مع هذه الآثار الجانبية وعلاجها أيضاً رغم أن كل دواء لدى الأطباء معروف سلفاً آثاره الجانبية ، وبالتالي معروف كيفية التعامل معها لتخفيف آلام المريض .. وهنا علينا أن نتأكد من قدرة وكفاءة من يعالجون أمراضنا الاقتصادية ، ما دمنا قد قررنا ألا نلجأ للمسكنات فى التعامل مع هذه الأمراض.

ويعزز ذلك أن الرئيس السيسي نفسه أدي فى الفترة الأخيرة ضيقه من تضارب وتناقص تقديرات بعض المسؤولين والوزراء فى المجال الاقتصادي فيما يخص أموراً اقتصادية ، وكان أبرز الشواهد لذلك ما قاله الرئيس السيسي فى إحدى جلسات مؤتمر الشباب بالإسماعيلية ، وهو يشكو من تضارب الآراء ما بين وزارتي الري والزراعة حول مشروع المليون ونصف مليون فدان ، وتحديداً حول المساحات الممكن زراعتها حالياً في هذا المشروع وحول الكميات المتوفرة من المياه ، خاصة المياه الجوفية وأماكنها ومواقعها بل وتضارب تقديرات خبراء وزارة الري وحدها بخصوص هذه المياه ومدى نسبة كفايتها لاستزراع هذه المساحة المستهدفة في هذا المشروع (مليون ونصف مليون فدان) .

ولعل هذا ما نأمل أن يحدث خلال السنة الرابعة للرئيس السيسي .. نأمل أن نفتح الباب لكل الاجتهادات لعلاج أمراضنا الاقتصادية وألا نتعامل مع اجتهادات المسئولين عن إدارة اقتصادنا الوطني باعتبارها مقدسة غير قابلة للمراجعة أو التنقيح أو الإضافة أو الحذف لبعض خطواتها إن أخطر الآثار الجانبية لعلاج أمراضنا الاقتصادية وأشدها وطأة على أصحاب الدخول المحدودة والمتوسطة وهي التضخم ، لم يفلح الذين يديرون اقتصادنا فى احتوائها و التخفيف من حدة آلامها .. ولذلك نحن نحتاج لاجتهادات أخرى تخفف من وطأة هذا التضخم خلال السنة الأخيرة للفترة الرئاسية للرئيس السيسي تكون بداية طيبة للبرنامج الاقتصادي له فى الانتخابات الرئاسية المقبلة.

٢- الدكتور حسن أبو طالب يكتب :

السيسي والدولة المصرية ... من تثبيت المؤسسات ومواجهة الإرهاب إلى التطوير والإبداع (بتصرف)[1]:

فى أدبيات نظام الحكم والعلاقات الدولية فإن الدولة القومية أو الوطنية هي عصب النظام الدولي وهي العنصر الحاسم فيه ، وهي الفاعل الرئيس الذي يتكون من عناصر محددة كالأرض والشعب والحكومة ، وهي بذلك لديها شقان ؛ أولهما مادي يتعلق بالأرض تحدها حدود معترف بها ، وما فيها من موارد طبيعية وكلاهما يحتاجان إلى حماية من القائمين على الحكم بتفويض من الشعب أما الشق المعنوي فهو يتعلق بالسيادة وهي جملة الصلاحيات المطلقة التى يملكها الشعب ويفوض بها الحكومة لكي تمارس مهامها أمام الغير والحكومة هنا تعبير مجازي يعني النظام السياسي ككل والذي يتشكل بدوره من مؤسسات يتحدد دورها وعلاقتها بالشعب وبالمؤسسات الأخرى من خلال عقد اجتماعي يعرف

(١) المصور العدد ٤٨٣٣ فى ٢٤ / ٥/ ٢٠١٧ .

بالدستور .

رؤية مبكرة للسيسي

الدولة الوطنية بهذا المعنى وما تواجهه من تحديات وتهديدات ومخاطر مختلفة المصادر مثلت جانباً مهما من فكر ورؤية الرئيس عبد الفتاح السيسي حتى قبل أن يكون فى موقع الرجل الأول فى البلاد ، ومن الأفكار المبكرة التى عبر عنها السيسي حين كان نائباً أول لرئيس الوزراء ووزير الدفاع فى حكومة الدكتور حازم الببلاوي ، تلك التى تعبر عن العلاقة الجدلية بين فكر الدولة وفكر الجماعات الموجودة فى الدولة ، وكيف أن هذه العلاقة قائمة على أن فكر الدولة هو أكثر رحابة من فكر كل الجماعات والمنظمات التى تعمل فى كنفها وأن فكر أي جماعة مهما كانت شعبيتها فى مرحلة ما لا يمكنه وحده استيعاب الدولة ككل ، بل عليه أن يرقى أولاً إلى رحابة فكر الدولة بشموليته واتساعه وتسامحه وقبوله للجميع بلا إقصاء ، وإن لم تفعل الجماعة ذلك فمصيرها هو السقوط .

هذه الفكرة الجدلية وإن كانت تحاول شرح أسباب سقوط حكم جماعة الإخوان بعد عام واحد فقط جاءت بوضوح في حواره المنشور فى « المصري اليوم» بتاريخ ٨ أكتوبر ٢٠١٣ ، حيث قال: « إن هناك فارقاً كبيراً جداً بين النسق العقائدي والنسق الفكري لأي جماعة وبين النسق الفكري والعقائدي للدولة ، ولابد أن يتناغم الاثنان مع بعضهما وحين يحدث التصادم بينهما هنا تكمن المشكلة ، وحتى يتناغم الاثنان مع بعضهما (نسق العقيدة ونسق الدولة) يجب أن يصعد أحدهما للآخر ، إما أن تصعد الدولة إلى الجماعة ، وهذا أمر مستحيل ، وإما أن تصعد الجماعة إلى الدولة ، من خلال التخلي عن نسقها العقائدي والديني، وهذا أمر أعتقد أنهم – الإخوان – لم يستطيعوا فعله ، لأن ذلك يتعارض مع البناء الفكري للجماعة ، وسيبقى هذا الفارق بين النسقين مؤدياً إلى وضع متقاطع يقود إلى وجود مشاكل وفوارق تجعل الناس تشعر بهذا الوضع وتخرج

للتظاهر ».

هذه الإشكالية حسب إدراك السيسي لا تتوقف عند حد التصادم المحتمل بين جماعة منغلقة على نفسها ورافضة قبول الآخر فى منظومة الدولة وساعية إلى اقتناص الدولة نفسها دون القدرة على ذلك ، ولكنها – أي الإشكالية بين نسق الدولة ونسق الجماعة – تمتد إلى التشابك والتداخل بين النسق العقائدي للدولة والنسق العقائدي للفرد ، ولكن النتيجة أن هناك مساراً مختلفاً ، ذلك أن للفرد أيضاً « نسق وبناء فكري وعقائدي » لكن هذا البناء العقائدي للفرد قد ينسجم مع الدولة لأنه فى هذه الحالة قد يختار الصعود إلى نسق الدولة للتناغم معها ، لكن ذلك يصعب حدوثه فى حالة المجموعة ، لأن لها عقيدة واحدة وتتصور أنها لو فرطت فى فرد منها ، فإنها تفرط فى الفكرة نفسها « وهنا نلاحظ أن المرونة تتحقق فى علاقة الفرد غير المتورط في جماعة منغلقة على نفسها وتكره الآخر ، بينما لا يمكن أن يتحقق ذلك مع الجماعة ذات الفكر الإقصائي .

تحديات التطلع إلى الأمام

ولما كانت الدولة كائناً متحركاً لا يعرف السكون ، يتطلع دائماً إلى الأمام ، فى الآن نفسه تواجه مشكلات وتحديات مختلفة ، نابعة من تراكمات سابقة أو تطورات حديثة فى العالم أو الإقليم ، فهنا يكون السؤال كيف تتصرف الدولة ؟

جاءت الإجابة المبكرة لدى عبد الفتاح السيسي مركزة على ثلاث قضايا محورية :

الأولى : قضية التطور الديمقراطي فى مصر وحسب السيسي « الممارسة الديمقراطية لأي دولة زي مصر فى البداية بتاعتها تبقى هشة وضعيفة ،عقبال الناس ما تعرف تشتغل وتتحرك وتحكم نفسها وتدير أمورها بتاخد سنين » والمسألة هنا مرتبطة بالممارسة الفعلية وفي ظل أي ظروف ، ولما كانت مصر تعاني اضطرابات الفترة الانتقالية ، فبدأ منطقياً لدى السيسي أن الأمر سوف

يتطلب بعض الوقت إلى أن يعتاد المجتمع ككل أسس الممارسة الديمقراطية وقيمها الكلية وأن الزمن كفيل بالتغلب على هذه الإشكالية .

الثانية : وهي العلاقة بين التحديات التى تواجه الدولة المصرية بإمكانياتها المحدودة والقدرة على احتواء تلك التحديات والتغلب عليها ، ووفقاً للسيسي فإن « حجم التحديات كبيرة جداً ، لأنها تراكمات سنين طويلة جداً ، التحديات أكبر من مصر ، ضخمة جداً قد تكون أكبر من قدرة مصر كدولة لكنها ليست أكبر من قدرات المصريين ». فإذا كانت الدولة إمكانياتها محدودة ولا يمكنها التغلب بمفردها على هذه التحديات ، فإن الاعتماد على المصريين وقدراتهم فى التضحية ، وفي قبول الإجراءات الصعبة والتجاوب معها ، إذ تشكل بؤرة إيمان قوية لدى السيسي منذ فترة مبكرة ، فالشعب هو الرهان ، والذي يمكنه وحده أن يعوض محدودية إمكانات الدولة فى مواجهة تحديات هائلة .

الثالثة : وهي مرتبطة بأحداث تلك الفترة المبكرة في مواجهة العنف والتخريب الذي شاع فى مواقع مختلفة في مصر ، في وقت لم تكن الأجهزة الأمنية الشرطية قد استطاعت أن تستجمع قواها وهنا لاحظ السيسي أن الأمر يتطلب انتقالاً جوهرياً فى أسلوب المواجهة مع جماعات العنف والتخريب والإنتقال من الاحتواء السلبي على المواجهة النشطة ، « فعملية ضبط النفس والاستمرار فى تلقي الضربات لن تستمر لأنها ستؤدي إلى مخاطر شديدة على أمن مصر ، لا المديرية ولا القسم ولا المحافظة وممتلكات الناس ، هذا الأمر لن يستمر وسنتصدى له بكل قوة وحسم ، الأمر واضح خلاص اللي بيهاجم ده عايز يهد مصر ، وإن لم تدافع فأنت تساهم فى هد مصر ».

بقاء الدولة مرتبط برضاء الناس

وفي البرنامج الانتخابي للمرشح الرئاسي عبد الفتاح السيسي نلاحظ تفصيلاً أكثر في مفهوم الدولة وصلتها بنظام الحكم ورضاء المواطنين من خلال تعميق

المواطنة وحيادية الدولة ، إذ من حق المواطن المصري أن يطمئن تماماً إلى سيادة مبدأ المساواة والمواطنة ، فيضمن حياد مؤسسات الدولة كلها ، وحرصها على الفصل بين الدولة والنظام السياسي الحاكم رئيساً وحكومة وأحزاباً .

ولكي تنجو مصر من أي فشل فلابد أن يترسخ الوعي لدى الجميع « بأن أخطر ما يمكن أن تتعرض له دولة مثل مصر يعيش على أرضها نحو ٩٠ مليون نسمة تواجه تهديدات من الداخل وعلى الحدود هو أن تسقط فى براثن الفشل ، وتعجز عن تحقيق الحد الأدني المطلوب من الأمن والتنمية والعدالة لمواطنيها » فالبقاء للدولة ككيان كفؤ ومتطور مرتبط بالأمن والتنمية والعدالة لكافة المواطنين ومرتبط أيضاً بأن « تكون مصر جمهورية ديمقراطية دولة قانون ومؤسسات بمشاركة كل الاتجاهات فى العملية السياسية وبتداول للسلطة يتم فى إطار دستوري وقانوني يكون مكفولاً للجميع ».

ونظراً لشدة المعركة مع الإرهاب ومن يمولونه ويسلحون أطرافه حدد الرئيس السيسي هدف الفترة الأولى من رئاسته فى تثبيت الدولة ومؤسساتها وعدم السماح بسقوطها ، مع الاستمرار فى الإصلاح التدريجي وفقاً للإمكانات وقد عبر عن هذه الفكرة بعمق وتفصيل فى كلمته أثناء إطلاق استراتيجية مصر للتنمية المستدامة في ٢٤ فبراير ٢٠١٦ ، مشيراً على « أن هدفنا هو الحفاظ على الدولة المصرية ». فأي دولة غايتها القومية هو بقاؤهابمعنى أن الدولة المصرية خلال الفترة الماضية أو السنوات كانت معرضة لتهديد حقيقي وما زالت ، وتحدثت أمام البرلمان بكل وضوح هل من كانوا يتمنون ويعملون من أجل أن يكون مصير مصر كمصير الآخرين قائم أم انتهى ، إذا كان انتهى فذلك خير ولكنه لم ينته بعد ، ما زالت المحاولات تبذل لكي تسقط مصر .

وصار مطلوباً السير في اتجاهين فى آن واحد اتجاه حماية الدولة وبقاؤها واتجاه تنمية الدولة وإصلاح مؤسساتها تدريجياً وزيادة وعي الشعب بما يحيط به

وهو ما يمكن تلخيص فكر السيسي تجاه الدولة على النحو التالي :

الدولة كيان رحب يتسع الجميع فى إطار القانون والدستور ومنظومة القيم التى يرتضيها الشعب .

أن مصر مرت بفترة اضطراب ألقت بظلالها على كافة مؤسسات الدولة ولذا كانت الخطوة الأولى هي حماية تلك المؤسسات وعدم السماح بوقوعها مهما كانت الظروف .

أن الحرب ضد الإرهاب لا تقل خطورة عن الحرب النظامية مما يستوجب وعياً خاصاً من الشعب وجهوداً جبارة من الجيش والشرطة .

إن إمكانيات الدولة المصرية الضعيفة مقارنة بالتحديات الأمنية والتنموية الهائلة يمكن تعويضها بالاعتماد على قدرات الشعب فى التضحية وتقبل المعاناة ، شريطة أن تكون هناك ثقة متبادلة بين الشعب والحاكم ودون تلك الثقة سيكون من العسير مواجهة التحديات التى تواجه الدولة ومؤسساتها .

أن واجب الرئيس ومن يعملون معه أن يعطوا دائماً الأمل للشعب بأن المستقبل المقبل سيكون أفضل ، استناداً إلى أعمال حقيقية يتم إنجازها وليست مجرد وعود فارغة المضمون .

أن قوة مصر وجيشها هي قوة لمنع العدوان وحماية الدولة وبقائها وليست من أجل المغامرات الخارجية أو العدوان على أحد .

من التثبيت إلى الإبداع

ويظل السؤال مطروحاً ماذا عن مهام فترة رئاسية ثانية تعد احتمالاً مرجحاً بقوة للرئيس السيسي ؟ اعتقد جازماً أن المطلوب الآن هو الانتقال من مرحلة تثبيت الدولة إلى مرحلة تطوير الدولة وإبداع النموذج الفعال الرشيد بكل ما يعنيه ذلك من أداء تنموي شامل يبدأ بإصلاح جذري للهيكل الإداري للدولة ووضع

برنامج عمـل لتطـوير أداء المؤسسـات جميعهـا التشـريعية والقضـائية والتنفيذيـة واتخاذ القرارات الصعبة لتطوير المنظومـة التعليميـة مصـحوبة بتطـوير منظومـة البحث العلمي وربـط نتائجـه بواقـع الصـناعة والإنتـاج وتحـديث أداء الأجهـزة الأمنية بداية من أصغر رتبة إلى أعلى قيادة وتطبيق رؤية متطورة لمواجهة فى العمـق للمشكلات الحياتية التى تنغص معيشة المواطنين خاصة الطبقة المتوسـطة التـى تمثل العمود الفقري للدولة والمجتمع وعدم تركها تغوص إلى أعمـاق المجهـول فتأخذ معها كل شئ وتطوير منظومـة الإعـلام لاسـيما المملـوك للدولـة ليصـبح خادماً للشعب ، ورافعاً لوعيه وأن تكون الدولة رافعة للثقافة والفنون وليس عقبـة كؤود فبدون تطوير مبرمج قد يصبح هدف تثبيـت الدولـة نفسـه فى مهـب الـريح أعاذنا الله من مثل هذا المصير المجهول .

٣- الكاتب الصحفي حزين عمر يكتب

السيسي تجسيد للجندية المصرية [(١)]

أبعد الحالمين انطلاقاً فى عالم الخيال منذ أربع سنوات تقريباً لم يقتـرب سـقف أحلامه مما أضحى الآن واقعاً مدهشاً لمحبي مصر وصاعقاً لخصومها

كان الظن لـدى المتفـائلين – عقـب سـقوط تنظـيم الإخـوان الإرهـابي – أن يتمكن النظام الجديد من توفير الكهرباء والماء والخبز والأمن للمواطنين ، وهـي العناصر الحياتية الضرورية التى افتقدها المـواطن طـوال « عـام الرمـادة » الـذي تحول فيه أكبر تنظيم عصابي ماسوني إجرامـي إلى حكـم أقـدم دول الأرض وقـد غرس هذا التنظـيم مخالبـه : أعضـاءه فى كـل مفاصـل الدولـة وشـعابها ودروبهـا ومؤسساتها فإذا ما ثار الشعب وسانده الجيش للإطاحة برأس التنظيم مـن القصـر الجمهوري وتطهير القصر من أدرانه فإن مـن العسـير القضـاء عـلى هـذا التغلغـل

(١) الهلال مارس ٢٠١٨ .

والتغول من رجال الإخوان ونسائهم فى كل وزارة وهيئة وجامعة وإدارة ووسيلة إعلام وصحيفة قومية وغير قومية حتى الندوات الأدبية والمقاهي الشعبية لم تسلم من اندساس عناصرهم بين روادها وقد كانت خطة هذا التنظيم الوحشي أن يظل هنا قابعاً فوق صدورنا مندساً عبر ذرات دمائنا حتى لو تمكنت قواتنا المسلحة بناء على طلب الشعب واحتشاده وثورته ، من خلع محمد العياط ورجال وزارته.

في ذاك الجو القاتم كانت المؤشرات الشكلية توحي بأن مصر على أعتاب حرب أهلية ، أو أنها على وشك انهيار اقتصادي ، أو أن فتنة ما ستقع بين رجال جيشها وشرطتها أو أن تدخلا عدائياً من الغرب سوف يعيد التنظيم الإرهابي إلى سدة العرش ليكملوا عصرهم الجليدي الرجعي الحجري مائة عام أو أكثر !!!

جيش مصر تسري فيه روح الجندية منذ آلاف السنين ، وقد لا تبدو إلا لعالم بالتاريخ وبنفسيات الشعوب ، فيظن الجاهل أنه قد تمكن من هذا الجيش ، بل قد يختفى الجيش نفسه فى فترات تاريخية بعينها – كالعصر الفاطمي مثلاً – لكنه اختفاء التمويه والتحضير لمعركة حضارية أخرى .. يعود المصريون إلى قراهم وحقولهم ومراعيهم ووديانهم حتى يظن أصحاب النظرات القاهرة أن مصر أضحت بلا جيش ، فإذا نبغ من بين أهلها رجل وطني وشخصية فذة ، وأطلقت صوتها بنداء الوطن والحشد تواترات الرجال من كل غيط وكفر ونجع وقرية ومدينة ، وحملو السلاح وأطاحوا بكل غاز وغاشم ولئيم ، فلتنظر كيف لبى أهل مصر – بجنديتهم الكامنة فيهم – نداء الجهاد ضد الصليبيين فاحتشدوا حول صلاح الدين ومن قبله ومن بعده فى معارك امتدت حوالي قرنين من الزمان حتى انتصروا لوطنهم مصر ولسائر أوطان المسلمين .. ثم كان حشد هؤلاء الجنود حول قطز وبيبرس وهما يواجهان التتار حتى انتصرت حضارة مصر على همجية التتار ثم انظر كيف أيقن محمد على – الداهية الكبير – بقيمة الجندية المصرية فتخلص من بقايا المماليك ثم راح يجمع شباب مصر من كل إقليم وحدب

وأخفاهم عن الأعين هنالك فى جنوب مصر ، وراح يزيل بعض ما ران على سواعدهم من إهمال ببعض التدريب والتنظيم والتلقين فإذا بهذا الجيش – من الفلاحين – يضحى خلال سنوات أعظم جيوش العالم وأقواها ويذيق الأتراك ذل الهزيمة : واقعه تلو الأخرى، ويسحقهم سحقاً فى كل مواجهة ، حتى أوشك على إسقاط سلطنتهم فى اسطنبول ، ولولا استنجاد الأتراك بالقوى العظمى حينذاك : إنجلترا وفرنسا وروسيا لأضحت أراضي تركيا الراهنة إقليماً مصرياً .. وعلى ذكر هذه الوقائع من الانتصارات المصرية المتصلة والهزائم التركية الفاضحة لم يتعلم أتراك اليوم من ذاك الدرس القريب ، ويحاول الفسل الداعي أردوغان أن يشوش على حق مصر فى استعادة أنفاسها ، ثم قوتها ، ثم أمجادها ... ولكنها أصبحت الآن حقيقة متجسدة وفي زمن قياسي ربما أسرع من إنجاز محمد على فى هذا الصدد .

الرمز الأكبر

أحد أبناء هذه الجندية الفطرية ، ورمزها الأكبر عبد الفتاح السيسي لخص وجسد كل هذا التاريخ فى أقل من أربع سنوات ، وهي فى عمر مصر الذي يتجاوز خمسة عشر ألف عام مجرد ومضة عين ، لكنها فى عمر الإنجاز البشري لا تقل عن نصف قرن .. نصف قرن اختصرها بطل مصر القومي عبد الفتاح السيسي فى أربع سنوات بدأت بيقينه المطلق فى عبقرية الجندية المصرية وسماتها الفريدة : الجلد ، والتأني ، والإتقان ، والدهاء ، والعقيدة ، والصبر ، والاحتمال ، والتخطيط ، والفعل قبل رد الفعل ، والعمل فى السر حتى كأن شيئاً لا يحدث !! والعمل فى العلن حتى كأن كل شئ يحدث فعلاً !!!

لقد أضحى من المسلمات على المستوى العالمي أن موازين القوى قد اختلت خلال سنوات السيسي لصالح مصر ، وفاجأ هذا الاختلال أشقاءنا وأعداءنا معاً وكل يوم جديد يبث القائد الأعلى فى جيشنا نفثة روح جديدة ، ويمد خطواته خطوات وثابة : في البر والبحر والجو وتحت الأرض وفى أغوار البحار ، حتى

أصبح أقصى ما يستطيعه عدونا حيال هذه الطفرات هو أن يشوش علينا فى وسيلة إعلام ، وأن يشتمنا في صحيفة وأن يطلق شائعة طائشة ترتد إلى نحره ، وأن يزرع قنبلة بدائية أمام دار القضاء العالي ، أن يهاجم مصلين راكعين فى مسجد أو زائرين عابدين فى كنيسة !!!

ولم تقف قيادة السيسي عند خلع سرطان الإخوان من الجسد المصري ولا عند بث اليأس فى قلوب الخصوم من خلال قوتنا العسكرية بل انطلق هذا الرجل الذي يملك من الدهاء السياسي ما يغرق شعباً بكامله فى المحيط انطلق بروح الجندية هذه من ميادين المواجهة المسلحة للمتطرفين والإرهابيين ومن وراءهم إلى ميادين البناء فى كل مناحي الحياة لدولة كانت على وشك الانهيار فأضحت على أبواب الازدهار ولسنا بصدد تعداد إنجازات البناء والعمران والزراعة والصناعة والتعدين واستخراج ثروات الوطن .. لن نعدد قائمة اليوم لأنها غداً أو بعد ساعة سوف تضاف إليها قائمة جديدة !!!

تقييم رؤية ومشروع الإنسان :

نحن أمام رجل له تاريخ وطني طويل ، أدى دوره كضابط بالقوات المسلحة وحصل على دورات متخصصة ودرس في أكاديمية ناصر العسكرية والقادة والأركان في مصر وبريطانيا وأمريكا ، وحصل على أعلى الرتب العسكرية ، فتقلد وظائف متعددة حتى أصبح قائدا عاماً للقوات المسلحة وزيرا للدفاع والإنتاج الحربي ، برتبة فريق أول خلفاً للمشير محمد حسين طنطاوي بقرار من الرئيس الأسبق محمد مرسي ، ثم رقي لرتبة مشير بقرار من الرئيس السابق عدلي منصور .

قضي فى السلك العسكري قرابة ٤٥ عاماً من عمره منذ التحق بالمدرسة الثانوية الجوية العسكرية .

كان فى الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١ م مديراً للمخابرات الحربية عضواً بالمجلس الأعلى للقوات المسلحة ، تابع ورصد والتقى واستمع وناقش العديد

من الشخصيات العامة وممثلي نخب هذه الفترة من مختلف الأعمار والتوجهات شباباً وشيباً ، بينما كانت مصر تشهد موجة غضب عمت البلاد نتيجة تراكمات مختلفة آخرها أسلوب إدارة انتخابات البرلمان ٢٠١٠ م.

وتحول المشهد المرتبك لثورة بيضاء بهرت العالم ، لكن القوى المتربصة بها خارجياً وداخلياً كانت جاهزة بكوادرها وأموالها وإعلامها وقواعدها المسلحة لتثير الرعب فى أنحاء البلاد، وتجرح كبرياء الشرطة فى يوم عزها وفخرها بمناسبة احتفالها السنوي فى ٢٥ يناير تخليداً لذكرى البطولة فى معركة الإسماعيلية عام ١٩٥٢ م أمام قوات الاحتلال البريطاني.

وتولى المجلس العسكري إدارة شئون البلاد وليس حكمها لفترة انتقالية بعد انسحاب الرئيس الأسبق محمد حسنى مبارك من المشهد العام فى ١١ فبراير ٢٠١١ لتبدأ مرحلة جديدة عانت فيها البلاد مصاعب داخلية وخارجية مفتقدة أمنها وأمن مواطنيها .

وفي ٣٠/ ٦/ ٢٠١٢ م لم يكن أمام المجلس العسكري بعد إعلان نتيجة الإنتخابات الرئاسية إلا تسليم محمد مرسي مندوب مكتب الإرشاد والجماعة ومناصريهم للشعب المصري صاحب أعرق حضارات التاريخ على الإطلاق ليتولى بجبيناته الحضارية المتوارثة التعامل معهم فلديه خبرات متراكمة عبر آلاف السنين فى مثل هذه الأحوال والظروف .

وفي ٣٠ يونيو ٢٠١٣ م قرر الشعب المصري بكل فئاته وفى كل ميادين مصر وشوارعها التمرد على هذا النظام فى خروج ملاييني يمثل ثورة عارمة وصفها المحللون والمتابعون بأنها الموجة الثانية الأضخم لثورة ٢٥ يناير مطالبة «الإنسان» بالنزول لقيادتها فى مشهد لن ينساه التاريخ وتحت شعار « إنزل يا سيسي» ، « ويسقط ... يسقط حكم المرشد ».

وأمام استدعاء الجماهير ليعبر بها لبر الأمان فقد ألقى الإنسان بيانه فى ٣ يوليو ٢٠١٣ م فى حضور ممثلي القوى الوطنية والدينية والعسكرية ، معلناً انتصار إرادة الشعب على الجماعة وإقصاء محمد مرسي عن الحكم وتخليص مصر من حكم دموي فاشي ورجعي عمل إلى إهدار السيادة الوطنية وأسس الدولة المصرية ، وهكذا عبر بمصر والمصريين من « كابوس الإخوان– خوارج العصر » ، كما تضمن بيانه تعيين المستشار عدلي منصور رئيس المحكمة الدستورية العليا رئيساً مؤقتاً للبلاد ، لحين وضع دستور جديد وإجراء إنتخابات رئاسية وبرلمانية .

ثم وجه نداءً إلى المصريين كي ينزلوا إلى الشوارع يوم ٢٤ يوليو ٢٠١٣ ليمنحو القوات المسلحة « التفويض » لمواجهة الإرهاب ، فنزل عشرات الملايين إلى الشوارع من مختلف المدن والقرى والنجوع المصرية فى رسالة واضحة للعالم كله ، أن القوات المسلحة تتحرك بتفويض شعبي واعتبره الإنسان بمثابة « أمر وتكليف » من الشعب ، وقد التزم بذلك التكليف حيث قامت ولا زالت القوات المسلحة بالتعاون مع الشرطة والأجهزة الأمنية بالعملية الشاملة «سيناء ٢٠١٨ » لتطهير كل شبر من أرض مصر منهم وتقويض مختلف أعمالهم الإرهابية .

وأمام الضغط الشعبي والإلحاح المتكرر والمطالبات المستمرة قرر المجلس العسكري فى حضور المستشار عدلي منصور رئيس الجمهورية الاستماع لصوت الجماهير والنزول على رغبتها بقبول استقالة المشير وزير الدفاع والإنتاج الحربي، والسماح له بالترشح لرئاسة الجمهورية وفقاً للقواعد والقوانين المتبعة حيث تمت إجراءات الانتخابات وفاز فيها الإنسان على منافسه السيد / حمدين صباحي، وتسلم رئاسة مصر بعد أداء اليمين الدستورية أمام قضاة المحكمة الدستورية العليا يوم ٨/ ٦/ ٢٠١٤ ولمدة أربع سنوات وفقاً للدستور .

ومنذ تولي « الإنسان » مقاليد الحكم وقد وضع عدة محاور شكلت أركان

سياسته والتزمت بها الحكومة داخلياً وخارجياً :

- وضع برنامجاً بكل تفاصيله ومراحله للإصلاح الاقتصادي مما يجعله صاحب أعنف قرارات للإصلاح الاقتصادى فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر وقال عنها « أنها ترهق المواطن لكنها لا تكسر ظهره » .

- مساندة الجيوش النظامية فى المنطقة العربية وليست الجماعات المسلحة تحت أي مسمى ، وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول.

- التسامح والتعايش السلمي بين أهالي المذاهب المختلفة داخل وخارج مصر .

- الحفاظ على وحدة الأراضي فى سوريا والعراق وليبيا واليمن .

- قضية فلسطين هي القضية المركزية لمصر والعرب .

- أمن دول الخليج جزء لا يتجزأ من أمن مصر القومي .

- مكافحة الهجرة غير الشرعية بكل الوسائل الممكنة .

- إقرار وتفعيل حقوق المواطنة للجميع وفى القلب المرأة والطفل وذوو الاحتياجات الخاصة ، وبناء الإنسان المصري.

- مكافحة الإرهاب الدولي بأسلوب موحد ومع جميع الدول فى المنطقة والعالم .

- تطوير إمكانيات القوات المسلحة للحفاظ على الأمن القومي وحماية مصالحنا فى مياهنا الاقتصادية .

- نهر النيل يجب أن يكون للوصل بين دول الحوض وليس للنزاع والقطيعة.

- الشعب المصري هو البطل الحقيقي فهو من ساند الدولة وحافظ على تماسكها ودعم الجيش والشرطة والأمن أقوى من (النووي) .

- ترسيم الحدود البحرية بين مصر وكل من إسرائيل وقبرص واليونان فى مياه المتوسط ، مستبقاً بذلك الأحداث بعدة خطوات ولعل منطقة شمال الدلتا والبحر المتوسط قد أخذت تلفت الأنظار بعد ظهور وثيقة أمريكية عام ٢٠١٥ تؤكد أن هذه المنطقة تسبح على بحيرة من الغاز الطبيعي والبترول، وأن مصر ستغطي كامل احتياجاتها من الغاز الطبيعي خلال عام ٢٠١٨ ، وستبدأ فى تصدير الفائض عام ٢٠٢٠ [١] إلى جنوب أوربا عبر أنابيب الغاز التى ستمر من قبرص واليونان ، وأضافت تلك الوثيقة أن تلك الاكتشافات البترولية من شأنها ريادة مصر وتفوقها الاقتصادي فى المنطقة ، خاصة فى ظل تفوقها العسكري ، إذ يقوم الرئيس السيسى بدعم القوات المسلحة المصرية بمعدات جوية ، وأخرى بحرية ، لتأمين حقول الغاز فى منطقة البحر المتوسط ، والبحر الأحمر .

ومن الجدير بالذكر أن كل من إسرائيل وقبرص قد عقدتا اتفاقيات منفصلة لتوريد الغاز لمصر لإسالته فى مصانع دمياط وإدكو وإعادة تصديره لأوربا لتصبح مصر مركزاً إقليمياً للطاقة .

- ترسيم الحدود البحرية بين جمهورية مصر العربية والمملكة العربية السعودية في مياه البحر الأحمر حتى تستطيع البلاد الاستفادة من عقد اتفاقيات للبحث والدراسة وتحديد المناطق التى سيتم طرحها للمزايدات العالمية ، للتنقيب عن الغاز والبترول ووضع قواعد للشراكة كما يتم الاستفادة من باقي المناطق من أنشطة أخرى كالصيد والسياحة ووضع باقي المشروعات المشتركة موضع التنفيذ كمشروع (نيوم) والجسر الذي يربط المملكة بمصر والمشاركة فى تنمية سيناء ومنطقة خليج السويس والاستفادة من جزر البحر الأحمر وأهمها

(١) وجه الانسان بأن يكون التصدير للغاز ابتداء من العام ٢٠١٩ بعد الاكتفاء الذاتي.

سلطانة وزبرجد والأخوين.

- عدم الموافقة على إرسال قوات عسكرية برية إلى اليمن والاكتفاء بإرسال قوات بحرية وجوية لحماية حرية الملاحة في باب المندب والمشاركة فى محاربة المتطرفين فيها ممثلين فى الحوثيين وفي رجال على عبد الله صالح المنشقين على النظام الشرعى لدولة اليمن (تغير موقفهم بعد أن استهدف الحوثيون الرئيس السابق على عبد الله صالح ومرافقيه فى مشهد دموي غير إنساني) ، ومجموعات من القاعدة وخلايا داعش .

وعلى الرغم من المحاولات المتكررة لإقناع الإنسان ، بأن استقرار اليمن يعني تأمين منطقة ومضيق باب المندب ، وهو ما يعني تأمين الملاحة في قناة السويس ، وتأمين المنطقة الاقتصادية حولها ، إلا أنه أصر على عدم الزج بشباب مصر ورجالها فى هذه الحرب وهو قرار صائب من وجهة نظر الأمن القومي المصري إذ أبعد البلاد عن ويلات هذه الحرب سياسياً واقتصادياً واجتماعياً مستفيداً من تجربة سلفه الزعيم .

من اللافت للنظر أنه يقوم بإجراء تعديلات وتغييرات فى قيادات القوات المسلحة والشرطة والوزارة فى أصعب وأدق الظروف طالت أقرب الناس إليه دون تردد .

كما يتابع باستمرار إجراءات الكشف عن بؤر الفساد والمفسدين وأوجه القصور فى آداء الأعمال مهما كانت مكانتهم أو قدرهم طالت وزراء ومحافظين ومسئولين كباراً.

استطاع الإنسان خلال مدة أربع سنوات تمثل ولايته الأولى فى حكم مصر أن ينفذ على أرض الواقع عدداً كبيراً من المشروعات التنموية تعد بالآلاف وأقام عدداً من المدن الجديدة على أحدث النظم العالمية ومنتجعات سياحية

واستصلاح الأراضي وصوباً زراعية وتشييد مصانع متعددة الأغراض ومدن صناعية متخصصة كأثاث دمياط وجلود الروبيكي ونسيج المنيا والسادات وإعطاء قبلة الحياة للمتبقى من شركات ومصانع القطاع العام لإعادة هيكلتها ورفع كفاءتها إضافة إلى محطة الضبعة النووية ومحطات الكهرباء واتفاقيات الشراكة فى الغاز والبترول للاستكشاف والتنقيب والاستخراج وشبكات الطرق البرية والخط الملاحي فى النيل من دمياط ورشيد إلى بحيرة فكتوريا والموانئ البحرية على البحرين الأحمر والمتوسط والبرية مع السودان وليبيا ومناطق اقتصادية فى سيناء والوجه القبلي والمنطقة الغربية ، وإعطاء دفعة قوية لقطاع السياحة ، وتنفيذ فكرة رحلة العائلة المقدسة لمصر بعد موافقة واعتماد كل من بابا الفاتيكان وبابا الاسكندرية لها تمهيداً لإعادة فكرة الحج المسيحي لمصر فقد كانت قبلة لحج المسيحيين طوال القرون الأربعة الأولى الميلادية .

أما عن الشباب فالموضوع أكبر بكثير ممن يطلقون على أنفسهم أو يُطلق عليهم « ناشطون سياسيون أو حقوقيون» ، هؤلاء الذين يعرفون طريقهم إلى الإعلام ، وتتناول بعض المواقع أخبارهم بصفتهم نجوماً يستحقون المتابعة ، فمهما كانت شهرتهم ، فالمؤكد أنهم لا يمثلون كل شباب مصر .

وأقصد هنا الغالبية العظمى من شباب مصر الذين يبحثون عن فرصة عمل أو يعملون بالفعل فى الحكومة أو قطاع الأعمال العام أو القطاع الخاص أو لديهم مشروعهم الخاص والذين يشكلون أسراً صغيرة العدد ، أو يسعون إلى ذلك من خلال العمل المشروع لكسب الرزق ، وهم الذين يشكلون نسبة كبيرة من الطبقة الوسطى التى تعد الفئة الاجتماعية الضابطة لحركة المجتمع ، وبذلك فهم الأكثر ضرورة لمخاطبتهم ووضعهم فى الاعتبار عند كل خطة أو تحرك سياسي أو اقتصادي لإنجاز برنامج إصلاح شامل على مدى السنين المقبلة .

وفي المقابل فهناك فراغ معرفي وسياسي واقتصادي لدى شباب مصر فى كافة

الطبقات الاجتماعية ، وكل ما تعرفه هذه الفئة ، وأيضاً الفئات الأكبر عمراً ، هو أن هناك برنامجاً للإصلاح الاقتصادي يتطلب اتخاذ قرارات صعبة مما يعنى مزيداً من الأعباء المالية ، والمشكلة هنا أن الجميع يدرك أن هناك أزمة حقيقية تواجه البلد ، وأنه لابد من التضامن وتحمل بعض الأعباء .

إن التوافق العام بين المصريين لايزال غائباً ، لأن هناك شريحة منهم ترى أنها غائبة عن المشهد وأن حقوقها لازالت مهدرة ، فحين يأتي إليك أحد الشباب مهموماً ويشكو أن لا شئ قد تغير فى حياته وأنه يعاني من نفس المشاكل التى سبقت ٢٥ يناير و ٦/٣٠ ، وأن المستقبل غامض ، وأن الحكومة تعمل بنفس آليات الحكومات السابقة زمن الرئيس الأسبق مبارك متجاهلة المطالب الحقيقية للشعب !! وعندما تسأله عن معنى التغيير الذي يأمله فى حياته وماذا كان ينتظر من أجهزة الدولة ، وما هو الدور الذي يجب أن يقوم به ؟ لا تجد لديه رداً كافياً .

كما أن المسئولين على قمة هيئات أو مؤسسات أو حتى رجال أعمال يشكون أيضاً بأن الثورات غيرت الكثير وأضافت الكثير من المشكلات وأهمها المطالب المبالغ فيها .

الكل يشكو ، من هو فى قمة المسئولية ، ومن هو فى أوسطها ، ومن هو فى بداية طريقه ، وهي حالة عدم رضاء عامة ، تؤكد أننا بحاجة إلى التوقف عن الشكوى بعض الوقت ، والتوقف عن المطالبة بأشياء نعلم جيداً أن عناصرها غير متوافرة بعد .

أن إحداث نقله فى حياتنا ليست مسئولية الحاكم أو المسئول فقط ولكنها مسئولية مشتركة تتوزع بين كل المستويات وكل الفئات ، وهو ما يفرض علينا أن نطرح قائمة تضم فى طياتها مطالب وطموحات عموم المواطنين نضعها أمام الرئيس الإنسان فى بداية فترته الرئاسية الثانية (٢٠١٨-٢٠٢٢م) :-

أولاً: إنهاء المتاعب والضغوط الاقتصادية التى عانى وما زال يعاني منها أغلبية المصريين ، خاصة أصحاب الدخول القليلة والمتوسطة.

ثانياً : حماية مصر من شرور الإرهاب وتحقيق الأمن والاستقرار في ربوع البلاد وتصفية الكيانات التنظيمية الإرهابية الموجودة داخل البلاد ومنع تسلل العناصر الإرهابية عبر الحدود ، مع تضييق الخناق على تلك القوى الإقليمية والدولية التى تدعم الإرهاب .

ثالثاً : تحقيق إنجاز واضح وملموس فى عملية تطوير التعليم وآخر فى تحسين الخدمات الصحية والمضي قدماًلإعادة بناء الانسان المصرى .

رابعاً : مواجهة البيروقراطية المصرية العتيقة التى لا ترهق فقط المستثمرين ، وإنما يعاني منها أيضاً عموم المواطنين خلال سعيهم للحصول على الخدمات الأساسية والضرورية وتحملهم أعباء مالية إضافية .. وإذا كانت الرقابة الإدارية نشطت خلال الفترة الماضية للتصدى للفساد المقترن بهذه البيروقراطية **فإن الأمر صار يحتاج لثورة إدارية حقيقية خاصة أن الفساد الذي تعاني منه بلادنا لا يقتصر فقط على الرشوة وإنما هناك مظاهر مختلفة وعديدة ومتنوعة لهذا الفساد أبرزها الإهمال فى أداء العمل وإهدار المال العام وتعطيل مسيرتنا من أجل تحقيق التنمية الإقتصادية ، والجدير بالذكر أن هذا النشاط من جهاز الرقابة الإدارية الذى قد يحجم دوره كما حدث أثناء حكم الرئيس مبارك ولحد الإلغاء فى مراحل تاريخية أخرى كما حدث أثناء حكم الرئيس السادات الذي أصدر قراراً بإلغائه ، بالإضافة لإطلاق يد الأجهزة الرقابية الأخرى كالرقابة المالية ومباحث الأموال العامة والجهاز المركزي للمحاسبات والنيابة الإدارية وكلها تحاصر الفساد والفاسدين.**

خامساً : إطلاق نهضة ثقافية واسعة وشاملة تعيد صياغة وجدان المصريين وتعلي الروح الوطنية وتحميهم من أفكار التطرف الديني والاجتماعي وتحاصر أصحاب المفاهيم والأفكار التكفيرية التى تدمر القيم الإيجابية فى المجتمع .. قيم

المواطنة والمساواة والعيش المشترك وقبول واحترام الآخر وترفض التمييز والتعصب والظلم وترسخ لاحترام القانون من قبل الجميع فى البلاد لتصبح دولتنا دول قانون.

سادساً : وضع خطة شاملة تستهدف تحقيق العدالة الاجتماعية التى يتطلع إليها عموم المصريين منذ سنوات طويلة وحتى يتم رفع الظلم الذى تعرضت له عبر سنوات فئات وطبقات اجتماعية هي الأقل قدرة فى البلاد حتى يتم انتشال الفقراء من فقرهم ، وبذل مزيداً من الجهود لوضع إجراءات حمائية لهذه الفئات .

سابعاً : المضي قدماً فى إنجاز عملية التطور الديمقراطي حتى يكتمل بناء الدولة وفقاً لظروف المجتمع المصري.

ثامناً : وجود آلية لاختيار المسئولين ، حتى نضمن اختيار الأكثر كفاءة والأكثر إخلاصاً للوطن ، والأنظف يداً ، والذين يحترمون الرأي العام ويتمتعون بحس سياسي ، وذلك يقتضي توسيع دائرة الاختيار حتى لا يتحكم البعض فى هذه الاختيارات .

تاسعاً : ما زال الفلاح يحتاج لعناية ومساندة أكبر عبر البنك الزراعي والجمعية الزراعية والمرشد الزراعي ، وتوفير مستلزمات الإنتاج له وتسويق منتجاته وتطوير وتطهير الترع والمصارف وفروع النيل من الحشائش وورد النيل ورفع كفاءتها وتقليل الفاقد لتصل المياه إلى أرضه.

عاشراً : ويعد التوسع فى استخدامات الأقمار الصناعية بل وتصنيعها للأغراض العسكرية والمدنية والاستشعار عن بعد ، والسعي قدماً لاستصدار قوانين الوكالة المصرية للفضاء ومؤسسات الطاقة النووية من هيئة الأمان النووي والرقابة النووية نقلة نوعية للحياة فى مصر ، تتطلب البناء عليها.

وأخيراً : الحفاظ على استقلال القرار الوطنى فى ظل زيادة الضغوط الأجنبية

التى تستهدفنا مع استمرار التصدي الحازم لكل محاولات التدخل في شئوننا الداخلية التى لم تتوقف خاصة أن من يستهدفون تقويض كيان دولتنا الوطنية وسلبنا هويتنا ما زالوا ماضين فى غيهم ومصرين على تآمرهم علينا.

لقد تمكن المصريون– خلال الفترة الماضية ولا زالوا – أن يصمدوا فى مواجهة التحديات مستخدمين كافة الآليات والأدوات والعلاقات مما شكل سنداً قوياً للقوات المسلحة والشرطة ولصانع القرار ولسياسة خارجية قادرة على تحقيق مصالح مصر العليا ، وفقاً لثوابت متزنة وقواعد راسخة لمنافع متبادلة لأجمل الأيام التى لم نعيشها بعد.

الملاحق

(ملحق رقم ١)

معاهدة جلاء قوات حملة فريزر عن الاسكندرية فى سبتمبر ١٨٠٧

معاهدة جلاء الانجليز عن الاسكندرية

المبرمة بين محمد على باشا من جانب ، والجنرال شربروك والكبتن فيلوز من جانب آخر

(وهى المعاهدة التى انتهى بها الاحتلال الانجليزى الثانى)

« بما أن الجنرال فريزر Fraser قائد القوات البرية لصاحب الجلالة البريطانية والكبتن هلويل Hollowel قائد الأسطول الانجليزى المرابط تجـــاه السواحل المصرية قد خولا الجنرال شربروك Scherbrook والكبتن فيلوز Fellowes من ضباط البحرية الانجليزية سلطة إبرام الاتفاق الخاص بالجلاء عن الاسكندرية فقد اتفق كل من صاحب العظمة محمد على باشا والى مصر ، والجنرال شربروك والكبتن فيلوز المذكورين على الشروط الآتية » :

المادة ١

توقف فوراً الأعمال العدائية من الجانبين ، وتجلو القوات البريطانية عن الاسكندرية فى مدى عشرة أيام من التوقيع على هذه المعاهدة وتنسحب من جميع القلاع والاستحكامات والمنشآت ، وتتركها بالحالة التى هى عليها الآن ، ويسلم صاحب العظمة محمد على باشا للقواد البريطانيين صهره مصطفى بك وعمه اسحق بك ومهردار

(حامل الختم) سليمان افندى بصفة رهائن يبقون على ظهر احدى السفن الحربية الانجليزية الى أن يتم تنفيذ هذه المعاهدة

المادة ٢

جميع أسرى الحرب الانجليز وكذلك الأفراد الذين التحقوا بخدمتهم من الأرقاء يطلق سراحهم ويرسلون بطريق النيل الى بوغاز رشيد حيث يبحرون على سفينة انجليزية

المادة ٣

يصدر عفو عام عن سكان الاسندرية أو غيرهم من الأهلين لما وقع منهم فى الماضى ويؤمنون على أرواحهم وأملاكهم لكونهم اضطروا بحكم الظروف الى اتخاذ الطريق الذى سلكوه

المادة ٤

بما أن أمين بك الألفى قد بارح الاسكندرية أثناء الاحتلال الانجليزى فان صاحب العظمة محمد على باشا يعد بأنه فى حالة عودة أمين بك المذكور الى الميناء الاينااله سوء ويعطى أمانا له ولحاشيته بشرط أن لا يتجاوز عددهم اثنى عشر شخصا

المادة ٥

نظرا لتفرق الأفراد الأرقاء الملحقين بخدمة الجيش البريطانى ووجود بعضهم على مسافات بعيدة فيبقى مندوب انجليزى فى الاسكندرية بعد الجلاء عنها ليتسلمهم كلما ظهروا ، ولهذا المندوب أن يحصل من صاحب العظمة على كل حماية ومساعدة لأداء مهمته فى إحضار هؤلاء الأفراد ، ويسمح له بأن يرسل كل من يوجد منهم

الى أية سفينة انجليزية تكون راسية فى الميناء أو يرسلهم الى صقلية أو مالطة بأية طريقة أخرى تتيسر له

« حررت هذه المعاهدة فى معسكر صاحب العظمة محمد على باشا والى مصر بالقرب من دمنهور يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٠٧ الموافق ١١ رجب سنة ١٢٢٢ »

« إمضاءات : محمد على باشا ؛ شربروك ، فيلوز »

ملحق رقم (٢)

القانون الأساسى سنة ١٨٣٧

وفى سنة ١٨٣٧ وضع محمد على باشا قانونا أساسيا يعرف بقانون (السياستنامة) أحاط فيه بنظام الحكومة واختصاص كل مصلحة من مصالحها العامة ، وقد حصر السلطة فى سبعة دواوين وهى :

(أولا) - الديوان الخديوى ، وينظر فى شؤون الحكومة الداخلية العامة وله سلطة قضائية إذ كان يفصل فى بعض الدعاوى الجنائية ، فقد ورد فى لائحة تأسيسه أنه يختص بالضبط والربط فى مدينة القاهرة والفصل فى الخصومات والشكايات التى ترفع اليه ، أما الدعاوى الشرعية فكان يحيلها الى المحاكم الشرعية ، وكان يختص بالحكم فى جرائم القتل والسرقات الى أن أنشئت سنة ١٨٤٢ (جمعية الحقانية) التى سيرد الكلام عنها ، وكان له الإشراف والرآسة على عدة مصالح ، منها مصلحة الأبنية (المبانى) وفروعها ، والمخبز الملكى ، والكيلار العامر (إدارة المخصصات الغذائية للباشا) ، والسلخانة ، والقوافل ، وديوان المواشى ، وترسانة بولاق ، والمستشفيات الملكية ، والروزنامة (إدارة أموال الميرى) وبيت المال ، والأوقاف المصرية ، والتمرخانة ، وجبال المرمر ، ومحاجر طره ، وأثر النبى ، ومهمات ترعة المحمودية ، وخزينة الأمتعة ، والبوستة ، وأمور الأحكام بالاسكندرية

(ثانيا) - ديوان الايرادات ، وهو قسمان ، أحدهما يختص بحسابات كافة المديريات وجزيرة كريد ، والحجاز والسودان ، والثانى يختص بايراد مدينتى مصر والاسكندرية والكمارك والمقاطعات والزمامات ، وكان لهذين القسمين مفتشون يعرفون بمفتشى الأقاليم للتنقيب على المصالح

(ثالثا) - ديوان الجهادية ، واليه يرجع النظر فى نظام الجنود البرية وضبط وربط حركاتها وتعليماتها ، ومهمات الفيالق والشكنات ومواضع الخيام والقلاع ،

والمستشفيات العسكرية ، والشؤون الصحية للجنود وورش ومخازن المهمات الحربية ، ومعامل البارود وتعلقاتها واشوان المؤن العسكرية والمخابز ،وعلى العموم كافة المصالح العسكرية

(رابعا) -- ديوان البحر ، واليه يرجع النظر فى ادارة وتنظيم الدونانمة (الأسطول) وضبط وربط حركاتها ، والترسانة والمخازن والخزينة البحرية وتجهيز المهمات والمؤونة وسائر حاجات الدونانمة والمستشفيات البحرية

(خامسا) -- ديوان المدارس وإليه يرجع النظر فى أمور المدارس الابتدائية والتجهيزية والخصوصية (العالية) والكتبخانات ومخازن الآلات والأدوات والقناطر الخيرية ، ومطبعة بولاق وإدارة الوقائع المصرية ومصلحة الأمور الهندسية وإدارة زرائب المارينوس والاصطبلات الكبرى فى شبرا

(سادسا) -- ديوان الأمور الافرنكية والتجارة المصرية واليه يرجع النظر فى العلاقات الخارجية ومعاملة الأجانب وبيع متاجر الحكومة ومشترياتها

(سابعا) -- ديوان الفابريقات واليه يرجع النظر فى إدارة فابريقة الطرابيش فى فوه وكافة الفابريقات التى كانت توجد فى مدينة مصر ومدن الأقاليم

وكان مفروضا على رئيس كل من هذه الدواوين أن يقدم للباشا تقريرا فى كل أسبوع عن أحوال ديوانه ، وكشفا شهريا بحساباته الى تفتيش الحسابات ، وميزانية سنوية عن الايراد والمصرف

المجلس الخصوصى والمجلس العمومى

وفى يناير سنة ١٨٤٧ ألف محمد على ثلاثة مجالس جديدة عدا الهيئات المتقدمة أهمها (المجلس الخصوصى) واختصاصه النظر فى شؤون الحكومة الكبرى وسن اللوائح والقوانين وإصدار التعليمات لجميع مصالح الحكومة ، وكان يرأسه ابراهيم

باشا ، وأعضاؤه كتخدا باشا (عباس باشا حفيد محمد على) واحمد باشا يكن وحسن بك رئيس جمعية الحقانية ، وبرهان بك

و (المجلس العمومى) أو (الجمعية العمومية) بديوان المالية وهى هيئة مؤلفة من مدير المالية ووكيل الديوان الخديوى ومدير المدارس (أدهم بك) ومدير الحسابات (باسليوس بك) ومفتش الفابريقات (لطيف بك) ومفتش الشفالك (حافظ بك) ورؤساء أقلام دواوين الحكومة ، وينعقد هذا المجلس مرتين فى الاسبوع على الاقل وينظر فى شؤون الحكومة العمومية التى تحال عليه ، ويرسل قراره الى (المجلس الخصوصى) فاذا وافق عليه أحاله على الباشا ليأمر بتنفيذه إذا أقره

(مجلس عمومى) آخر بالاسكندرية يختص بالنظر فى شؤونها يرأسه ناظر ديوان الاسكندرية ، وأعضاؤه ناظر ديوان البحرية وناظر ديوان التجارة ومأمور الضبطية وأمين الجمرك وناظر الترسانة ووكيل الدونانمة .

(ملحق رقم ٣)

اتفاق الاسكندرية بين بوغوص يوسف بك وزير الخارجية والكومودور نابييه عام ١٨٤٠

اتفاق الاسكندرية

(٢٧ نوفمبر سنة ١٨٤٠)

« بين الكومودور نابيه Npier قائد القوات البريطانية البحرية الراسية أمام الاسكندرية من جانب ، وبوغوص يوسف بك وزير خارجية صاحب السمو نائب ملك مصر المفوض من قبل سموه من جانب آخر ، تم ابرام الاتفاق الآتي بالاسكندرية يوم ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٤٠ »

المادة ١

بما أن الكومودور نابييه بصفته المبينة أعلاه أحاط صاحب السمو محمد علي علماً أن الدول أشارت على الباب العالى بإعادة حكم مصر الوراثي الى عهدته ، وبما أن سموه يرى فى ذلك وسيلة لوضع حد للحرب وويلاتها ، فانه يتعهد بأن يصدر أوامره الى ابنه ابراهيم باشا بإجراء الجلاء فورا عن سوريه ويتعهد أيضاً باعادة الأسطول العثماني بمجرد أن يصله اخطار رسمى بأن الباب العالى يتنازل له عن حكم مصر الوراثي وأن يبقى ذلك الحق كما كان مكفولا من الدول

المادة ٢

يضع الكومودور نابييه تحت تصرف الحكومة المصرية سفينة من سفنه لتنقل الى سوريه الضابط الذى يعهد اليه صاحب السمو ابلاغ القائد العام للجيش المصرى أمره بالجلاء عن سوريه ويعين الأميرال ستوبفورد قائد القوات البريطانية من ناحيته ضابطا لملاحظة تنفيذ هذا الأمر

المادة ٣

وبناء على ماتقدم يتعهد الكومودور نابييه بوقف الحركات العدائية من جانب القوات البريطانية ضد الاسكندرية وكل جهة من الأراضى المصرية ويبيح حرية الملاحة لكل السفن المعدة لنقل الجرحى والمرضى وسائر الجنود المصرية الذين ترغب الحكومة المصرية نقلهم إلى مصر بطريق البحر

المادة ٤

للجيش المصرى الحق فى أن ينسحب من سوريه حاملا معه مدافعه وأسلحته وجياده وذخائره وأمتعته وفى الجملة كل مامعه من مهمات الجيش

وقد حررت نسختان من هذا الاتفاق

« توقيع : شارل نابييه ، بوغوص يوسف »

(ملحق رقم ٤)

البيان الاول لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

بيان

من اللواء أركان حرب محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة الى الشعب المصرى

اجتازت مصر فترة عصيبة فى تاريخها الأخير من الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم. وقد كان لكل هذه العوامل تأثير كبير على الجيش وتسبب المرتشون والمغرضون فى هزيمتنا فى حرب فلسطين

وأما فترة ما بعد هذه الحرب فقد تضافرت فيها عوامل الفساد وتآمر الخونة على الجيش وتولى أمره إما جاهل أو خائن أو فاسد حتى تصبح مصر بلا جيش يحميها.

وعلى ذلك فقد قمنا بتطهير أنفسنا وتولى أمرنا فى داخل الجيش رجال نثق فى قدرتهم وفى خلقهم وفى وطنيتهم ولابد أن مصر كلها ستتلقى هذا الخبر بالابتهاج والترحيب.

أما من رأينا اعتقالهم من رجال الجيش السابقين فهؤلاء لن ينالهم ضرر وسيطلق سراحهم فى الوقت المناسب. فى ظل. الدستور للشعب المصرى

وإنى أؤكد/ أن الجيش اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن مجردا من أية غاية وانتهز هذه الفرصة فأطلب من الشعب ألا يسمح لأحد من الخونة بأن يلجأ لأعمال التخريب أو العنف لأن هذا ليس فى صالح مصر.

وأن أى عمل من هذا القبيل سيقابل بشدة لم يسبق لها مثيل وسيلقى فاعله جزاء الخائن فى الحال. وسيقوم الجيش بواجبه هذا متعاونا مع البوليس.

وإنى أطمئن إخواننا الأجانب على مصالحهم وأرواحهم وأموالهم ويعتبر الجيش نفسه مسئولا عنهم والله ولى التوفيق

لواء أ.ح محمد نجيب

٢٣/٧/٥٢

النسخة الأصلية لمسودة البيان الأول لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ والموجه من اللواء أ.ح. محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة إلى الشعب المصرى.

وبخط يد وصياغة الصاغ أركان حرب جمال حماد وتصحيح اللواء محمد نجيب

نص البيان الأول

وفيما يلي نص البيان الأول الذي أذيع فى صباح يوم ٢٣ يوليو :« اجتازت مصر فترة عصيبة فى تاريخها الأخير من الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم وقد كان لكل هذه العوامل تأثير كبير على الجيش ، وتسبب المرتشون المغرضون فى هزيمتنا فى حرب فلسطين .

وأما فترة ما بعد هذه الحرب فقد تضافرت فيها عوامل الفساد وتآمر الخونة على الجيش وتولى أمره إما جاهل أو خائن أو فاسد حتى تصبح مصر بلا جيش يحميها ، وعلى ذلك فقد قمنا بتطهير أنفسنا ، وتولى أمرنا فى داخل الجيش رجال نثق فى قدرتهم وفي خلقهم وفي وطنيتهم ، ولابد أن مصر كلها ستتلقى هذا الخبر بالابتهاج والترحيب .

أما من رأينا اعتقالهم من رجال الجيش السابقين ، فهؤلاء لن ينالهم ضرر وسيطلق سراحهم فى الوقت المناسب .

وإننى أؤكد للشعب المصري أن الجيش اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن فى ظل الدستور مجرداً من أية غاية ، وأنتهز هذه الفرصة فأطلب من الشعب ألا يسمح لأحد من الخونة بأن يلجأ لأعمال التخريب أو العنف ، لأن هذا ليس فى صالح مصر، وأن أي عمل من هذا القبيل سيقابل بشدة لم يسبق لها مثيل ، وسيلقى فاعله جزاء الخائن فى الحال ، وسيقوم الجيش بواجبه هذا متعاوناً مع البوليس .

وإنى أطمئن إخواننا الأجانب على مصالحهم وأرواحهم وأموالهم ويعتبر الجيش نفسه مسئولاً عنهم والله ولي التوفيق .

٢٣ يوليه عام ١٩٥٢ م

القائد العام للقوات المسلحة

لواء أ.ح/ محمد نجيب

(ملحق رقم ٥)

اتفاق السودان، بين الحكومة المصرية والحكومة البريطانية

بشأن الحكم الذاتي وتقرير المصير للسودان في 12 فبراير 1953

«لما كانت الحكومة المصرية وحكومة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وشمال أيرلندا (المساة فيما بعد بحكومة المملكة المتحدة) تؤمنان إيمانًا ثابتًا بحق الشعب السودانى فى تقرير مصيره وفى ممارسته له ممارسة فعلية فى الوقت المناسب وبالضمانات اللازمة، فقد اتفقنا على ما يأتى:

مادة ١: رغبة فى تمكين الشعب السودانى من ممارسة تقرير المصير فى جو حر محايد، تبدأ فى اليوم المعين بالمادة التاسعة الواردة فيما بعد فترة انتقال يتوفر للسودانيين فيها الحكم الذاتى الكامل.

مادة ٢: لما كانت فترة الانتقال تمهيدًا لإنهاء الإدارة الثنائية إنهاء فعليا فإنها تعتبر تصفية لهذه الإدارة، ويحتفظ إبّان فترة الانتقال بسيادة السودان للسودانيين حتى يتم لهم تقرير المصير.

مادة ٣: يكون الحاكم العام، إبّان فترة الانتقال، السلطة الدستورية العليا داخل السودان، ويمارس سلطاته وفقًا لقانون الحكم الذاتى بمعاونة لجنة خماسية تسمى لجنة الحاكم العام، ويتضمن الملحق الأوّل لهذا الاتفاق بيان وسلطات هذه اللجنة.

مادة ٤: تشكل هذه اللجنة من اثنين من السودانيين ترشحهما الحكومتان المتعاقدتان بالاتفاق بينهما، وعضو مصرى وعضو من المملكة المتحدة وعضو باكستانى ترشح كلًا منهم حكومته على أن يتم تعيين العضوين السودانيين بموافقة البرلمان السودانى عند انتخابه، ويكون للبرلمان فى حالة عدم موافقته حق تعيين مرشحين آخرين، ويتم رسميا تعيين هذه اللجنة بمرسوم من الحكومة المصرية.

مادة ٥: لما كان الاحتفاظ بوحدة السودان بوصفه إقليما واحدًا مبدأً أساسيا للسياسة المشتركة للحكومتين المتعاقدتين، فقد اتفقتا على ألاّ يمارس الحاكم العام السلطات المخولة له بمقتضى المادة ١٠٠ من قانون الحكم الذاتى على أية صورة تتعارض مع هذه السياسة.

مادة ٦: يظل الحاكم العام للسودان مسئولًا مباشرة أمام الحكومتين المتعاقدتين فيما يتعلق بما يلى:

(أ) الشئون الخارجية.

(ب) أى تغيير يطلبه البرلمان السودانى بمقتضى المادة ١٠١ (١) من قانون الحكم الذاتى فيما يتعلق بأى جزء من هذا القانون.

(جـ) أى قرار تتخذه اللجنة يرى فيه الحاكم العام تعارضًا مع مسئولياته، وفى هذه الحالة يرفع الأمر إلى الحكومتين المتعاقدتين، وعلى كل من الحكومتين أن تبلغ ردّها فى خلال شهر واحد من تاريخ الإخطار الرسمى، ويكون قرار اللجنة نافذًا إلاّ إذا اتفقت الحكومتان على خلاف ذلك.

مادة ٧: تشكل لجنة مختلطة للانتخابات من سبعة أعضاء، ثلاثة منهم من السودانيين يعينهم الحاكم العام بموافقة لجنته، وعضو مصرى وعضو من المملكة المتحدة وعضو من الولايات المتحدة الأمريكية وعضو هندى، ويكون تعيين الأعضاء غير السودانيين بمعرفة حكومة كل منهم. وتكون رئاسة اللجنة للعضو الهندى، ويعين الحاكم العام هذه اللجنة بناءً على تعليمات الحكومتين المتعاقدتين، ويتضمن الملحق الثانى لهذا الاتفاق بيان وظائف وسلطات هذه اللجنة.

مادة ٨: رغبة فى تهيئة الجوّ الحرّ المحايد اللازم لتقرير المصير، تشكل لجنة للسودنة تتألف من:

(أ) عضو مصرى وعضو من المملكة المتحدة ترشح كلًا منهما حكومته ثم يعينهما الحاكم العام، وثلاثة أعضاء سودانيين يختارون من قائمة تتضمن خمسة أسماء يقدمها إليه رئيس وزراء السودان، ويكون اختيار هؤلاء الأعضاء السودانيين وتعيينهم بموافقة سابقة من لجنة الحاكم العام.

(ب) عضو أو أكثر من لجنة الخدمة العامة السودانية للعمل بصفة استشارية بحت دون أن يكون له حق التصويت.

ويتضمن الملحق الثالث لهذا الاتفاق بيان عمل هذه اللجنة ووظائفها وسلطاتها.

مادة ٩: تبدأ فترة الانتقال فى اليوم المسمى «اليوم المعين» بالمادة الثانية من قانون الحكم الذاتى، ومع مراعاة إتمام السودنة على الوجه المبين بالملحق الثالث لهذا الاتفاق تتعهد الحكومتان المتعاقدتان بإنهاء فترة الانتقال بأسرع ما يمكن، وينبغى على أية حال ألّا تتعدى هذه الفترة ثلاثة أعوام، وتنتهى هذه الفترة على الوجه الآتى:

يصدر البرلمان السودانى قرارًا يعرب فيه عن رغبته فى اتخاذ التدابير للشروع فى تقرير المصير، ويخطر الحاكم العام الحكومتين المتعاقدتين بهذا القرار.

مادة ١٠: عند إعلان الحكومتين المتعاقدتين رسميا بهذا القرار، تضع الحكومة السودانية القائمة آنذاك مشروعًا بقانون لانتخاب جمعية تأسيسية تقدمه إلى البرلمان لإقراره، يوافق الحاكم العام على القانون بالاتفاق مع لجنته. وتخضع التدابير التفصيلية لعملية تقرير المصير بما فى ذلك الضمانات التى تكفل حيدة الانتخابات وأية تدابير أخرى تهدف إلى تهيئة الجوّ الحرّ المحايد لرقابة دولية، وتقبل الحكومتان المتعاقدتان توصيات أية هيئة دولية تشكل لهذا الغرض.

مادة ١١: تنسحب القوّات العسكرية المصرية والبريطانية من السودان فور إصدار قرار البرلمان السودانى برغبته فى الشروع فى اتخاذ التدابير لتقرير المصير، وتتعهد الحكومتان المتعاقدتان بإتمام سحب قوّاتها من السودان فى مدى فترة لا تتعدّى ثلاثة شهور.

مادة ١٢: تقوم الجمعية التأسيسية بأداء واجبين:

الأول: أن تقرر مصير السودان كوحدة لا تتجزأ.

والثانى: أن تعدّ دستورًا للسودان يتواءم مع القرار الذى يتخذ فى هذا الصدد، كما تضع قانونًا لانتخاب برلمان سودانى دائم.

ويتقرر مصير السودان:

(أ) إما بأن تختار الجمعية التأسيسية ارتباط السودان بمصر على أية صورة.

(ب) وإما بأن تختار الجمعية التأسيسية الاستقلال التام.

مادة ١٣: تتعهد الحكومتان المتعاقدتان باحترام قرار الجمعية التأسيسية فيما يتعلق بمستقبل السودان وتقوم كل منهما باتخاذ جميع الإجراءات اللازمة لتنفيذ هذا القرار.

مادة ١٤: اتفقت الحكومتان المتعاقدتان على تعديل قانون الحكم الذاتى وفقًا للملحق الرابع لهذا الاتفاق.

مادة ١٥: تصبح أحكام هذا الاتفاق وملحقاته نافذة بمجرد التوقيع.

وإقرارًا بما تقدم وقع المفوضون المرخص لهم بذلك من حكومتيهما هذا الاتفاق ووضعوا أختامهم عليه.

حرر بالقاهرة فى اليوم الثانى عشر من شهر فبراير سنة ١٩٥٣.

عن الحكومة المصرية

توقيع

لواء (أ.ح) محمد نجيب

عن حكومة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وشمال أيرلندا

توقيع

رالف ستيفنسون

* * *

(ملحق رقم ٦)

اتفاق الجلاء - الاتفاق النهائى

بين حكومة جمهورية مصر وحكومة المملكة المتحدة

١٩ أكتوبر سنة ١٩٥٤

«إن حكومة جمهورية مصر وحكومة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وشمال أيرلنده، إذ ترغبان فى إقامة العلاقات المصرية الإنجليزية على أساس جديد من التفاهم المتبادل والصداقة الوطيدة، قد اتفقنا على ما يأتى:

مادة ١: تجلو قوّات صاحبة الجلالة جلاءً تامًا عن الأراضى المصرية وفقًا للجدول المبين فى الجزء رقم (أ) من الملحق رقم ١ خلال فترة عشرين شهرًا من تاريخ التوقيع على الاتفاق الحالى.

مادة ٢: تعلن حكومة المملكة المتحدة انقضاء معاهدة التحالف الموقع عليها فى لندن فى السادس والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٩٣٦، وكذلك المحضر المتفق عليه، والمذكرات المتبادلة، والاتفاق الخاص بالإعفاءات والميزات التى تتمتع بها القوّات البريطانية فى مصر وجميع ما تفرع عنها من اتفاقات أخرى.

مادة ٣: تبقى أجزاء من قاعدة قناة السويس الحالية، وهى المبينة فى المرافق (أ) بالملحق رقم ٢ فى حالة صالحة للاستعمال ومعدّة للاستخدام فورًا وفق أحكام المادة الرابعة من الاتفاق الحالى، وتحقيقًا لهذا الغرض يتم تنظيمها وفق أحكام الملحق رقم ٢

مادة ٤: فى حالة وقوع هجوم مسلح من دولة من الخارج على أى بلد يكون عند توقيع هذا الاتفاق طرفًا فى معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية الموقع عليها فى القاهرة فى الثالث عشر من شهر أبريل سنة ١٩٥٠ أو على تركيا، تقدم مصر للمملكة المتحدة من التسهيلات ما قد يكون لازمًا لتهيئة القاعدة للحرب وإدارتها إدارة فعالة، وتتضمن هذه التسهيلات استخدام الموانئ المصرية فى حدود ما تقتضيه الضرورة القصوى للأغراض سالفة الذكر.

مادة ٥: فى حالة عودة القوّات البريطانية إلى منطقة قاعدة قناة السويس، وفقًا لأحكام المادة (٤) تجلو هذه القوّات فورًا بمجرد وقف القتال المشار إليه فى تلك المادة.

مادة ٦: فى حالة حدوث تهديد بهجوم مسلح من دولة من الخارج على أى بلد يكون عند توقيع هذا الاتفاق طرفًا فى معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية أو على تركيا يجرى التشاور فورًا بين مصر والمملكة المتحدة.

مادة ٧: تقدم حكومة جمهورية مصر تسهيلات مرور الطائرات، وكذا تسهيلات النزول وخدمات الطيران المتعلقة برحلات الطائرات التابعة لسلاح الطيران الملكى التى يتم الإخطار عنها، وتعامل حكومة جمهورية مصر هذه الطائرات فيما يتعلق بالإذن بأية رحلة لها معاملة لا تقل عن معاملتها لطائرات أية دولة أجنبية أخرى مع استثناء الدول الأطراف فى معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية، ويكون منح التسهيلات الخاصة بالنزول وخدمات الطيران المشار إليها آنفًا فى المطارات المصرية فى منطقة قاعدة قناة السويس.

مادة ١٠: لا يمسّ الاتفاق الحالى ولا يجوز تفسيره على أنه يمسّ بأية حال حقوق الطرفين والتزاماتها بمقتضى ميثاق الأمم المتحدة.

مادة ١١: تعتبر ملاحق هذا الاتفاق ومرفقاته جزءًا لا يتجزأ منه.

مادة ١٢: (أ) يظل هذا الاتفاق نافذًا مدة سبع سنوات من تاريخ توقيعه.

(ب) تتشاور الحكومتان خلال الاثنى عشر شهرًا الأخيرة من تلك المدة لتقرير ما قد يلزم من تدابير عند انتهاء الاتفاق.

(ج) وعلى حكومة المملكة المتحدة أن تنقل أو تتصرف فيها قد يتبقى لها وقتئذ من ممتلكات فى القاعدة ما لم تتفق الحكومتان المتعاقدتان على مدّ هذا الاتفاق.

مادة ١٣: يعمل بالاتفاق الحالى على اعتبار أنه نافذ من تاريخ توقيعه، وتتبادل وثائق التصديق عليه فى القاهرة فى أقرب وقت ممكن.

وإقرارًا بما تقدم وقع المفوضون المرخص لهم بذلك هذا الاتفاق ووضعوا أختامهم عليه.

تحرر فى القاهرة فى اليوم التاسع عشر من شهر اكتوبر سنة ١٩٥٤ من صورتين باللغتين العربية والإنجليزية، ويعتبر كلا النصين متساويين فى الرسمية.

عن حكومة جمهورية مصر

جمال عبد الناصر	عبد الحكيم عامر	عبد اللطيف
محمود فوزى	صلاح سالم	البغدادى

عن حكومة المملكة المتحدة

هـ. ا. ناتنج	ر. س. ستيفنسون	ر. بنسون

* * *

(ملحق رقم ٧)

قرار رئيس الجمهورية بالقانون رقم ٢٨٥ لسنة ١٩٥٦ بتأميم
الشركة العالمية لقناة السويس البحرية

باسم الأمة

رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع علي الفرمانين الصادرين في ٣٠ نوفمبر ١٨٥٤ و ٥ يناير ١٨٥٦م بشأن الامتياز بإدارة مرفق المرور بقناة السويس وبتأسيس شركة مساهمة مصرية للقيام عليها .

وعلي القانون رقم ١٢٩ لسنة ١٩٤٧ بشأن التزام المرافق العامة . وعلي القانون رقم ٣١٧ لسنة ١٩٥٢ في شأن عقد العمل الفردي . وعلي القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٥٤ بشأن الشركات المساهمة وشركات التوصية بالأسهم والشركات ذات المسؤولية المحددة . وعلي ما ارتآه مجلس الدوله . أصدر القانون الآتي .

مادة ١ ــ تؤمم الشركة العالمية لقناة السويس (شركة مساهمة مصرية) وتنتقل الى الدولة جميع ما لها من أموال وحقوق ، وما عليها من التزامات وتحل جميع الهيئات واللجان القائمة حاليا على ادارتها •

ويعوض المساهمون وحملة حصص التأسيس عما يملكونه من أسهم وحصص بقيمتها مقدرة بحسب سعر الاقفال السابق على تاريخ العمل بهذا القانون فى بورصة الاوراق المالية بباريس ، ويتم دفع هذا التعويض بعد اتمام استلام الدولة لجميع أموال وممتلكات الشركة المؤسسة •

مادة ٢ ــ يتولى ادارة مرفق المرور بقنــاة السويس هيئة مستقلة تكون لها الشخصية الاعتبارية ، وتلحق بوزارة التجارة ، ويصدر بتشكيل هذه الهيئة وتحديد مكافأة أعضائها قرار من رئيس الجمهورية ، ويكون لهــا فى ســبيل ادارة المرفق جميع

السلطات اللازمة لهذا الغرض دون التقيــد بالنظم والاوضــاع الحكومية •

ومع عــدم الاخــلال برقابة ديوان المحاسبة على الحساب الختامى ، يكون للهيئة ميزانية مستقلة يتبع فى وضعها القواعد المعمول بها فى المشروعات التجارية ، وتبدأ السنة المالية فى أول يوليو وتنتهى فى آخر يونية من كل عام ، وتعتمد الميزانية والحساب الختامى من رئيس الجمهورية ، وتبدأ السنة المالية الاولى من تاريخ العمل بهذا القانون وتنتهى فى آخر يونية سنة ١٩٥٧ •

ويجوز للهيئة أن تندب من بين أعضائها واحدا أو أكثر لتنفيذ قراراتها أو للقيام بما تعهد به اليه من أعمال •

كما يجوز لها أن تؤلف من بين أعضائها أو من غيرهم لجـانا فنية للاستعانة بها فى البحوث والدراسات .

ويمثل الهيئة رئيسها أمام الجهات القضائية والحكومية وغيرها، وينوب عنها فى معاملاتها مع الغير .

مادة ٣ ـ تجمد أموال الشركة المؤممة وحقوقها فى جمهورية مصر وفى الخارج ويحظر على البنوك والهيئات والافراد التصرف فى تلك الاموال بأى وجه من الوجوه أو صرف أى مبالغ أو أداء أية مطالبات أو مستحقات عليها الا بقرار من الهيئة المنصوص عليها فى المادة الثانية .

مادة ٤ ـ تحتفظ الهيئة بجميـع موظفى الشركة المؤممة ومستخدميها وعمالها الحاليين وعليهم الاستمرار فى أداء أعمالهم، ولا يجوز لأى منهم ترك عمله أو التخلى عنه بأى وجه من الوجوه أو لاى سبب من الاسباب الا باذن من الهيئة المنصوص عليهـا فى المادة الثانية .

مادة ٥ ـ كل مخالفة بأحكام المـادة الثالثة يعاقب مرتكبها بالسجن وبغرامة توازى ثلاثة أمثال قيمة المال موضوع المخالفة ، وكل مخالفة لاحكام المادة الرابعة يعاقب مرتكبها بالسجن فضـلا عن حرمانه من أى حق فى المكافأة أو المعاش أو التعويض .

مادة ٦ ـ ينشر هذا القرار فى الجريدة الرسمية ويكون له قوة القانون ويعمل به من تاريخ نشره ، ولوزير التجارة اصدار القرارات اللازمة لتنفيذه .

جمال عبد الناصر

نشر بالوقائع المصرية الخميس ٢٦/ ٧/ ١٩٥٦ العدد (٦٠)

(ملحق رقم ٨)

بيان الرئيس جمال عبدالناصر

إلى الشعب والأمة بإعلان التنحى عن رئاسة الجمهورية
من مبنى الإذاعة والتليفزيون

يوم ٩ يونيو ١٩٦٧

■ **أيها الإخوة :**

لقد تعودنا معاً فى أوقات النصر وفى أوقات المحنة.. فى الساعات الحلوة وفى الساعات المرة؛ أن نجلس معاً، وأن نتحدث بقلوب مفتوحة، وأن نتصارح بالحقائق، مؤمنين أنه من هذا الطريق وحده نستطيع دائماً أن نجد اتجاهنا السليم، مهما كانت الظروف عصيبة، ومهما كان الضوء خافتاً .

ولا نستطيع أن نخفى على أنفسنا أننا واجهنا نكسة خطيرة خلال الأيام الأخيرة، لكنى واثق أننا جميعاً نستطيع - وفى مدة قصيرة - أن نجتاز موقفنا الصعب، وإن كنا نحتاج فى ذلك إلى كثير من الصبر والحكمة والشجاعة الأدبية، ومقدرة العمل المتفانية. لكننا - أيها الإخوة - نحتاج قبل ذلك إلى نظرة على ما وقع؛ لكى نتتبع التطورات وخط سيرها فى وصولها إلى ما وصلت إليه .

إننا نعرف جميعاً كيف بدأت الأزمة فى الشرق الأوسط فى النصف الأول من مايو الماضى. كانت هناك خطة من العدو لغزو سوريا، وكانت تصريحات ساسته وقادته العسكريين كلها تقول بذلك صراحة، وكانت الأدلة متوافرة على وجود التدبير .

كانت مصادر إخواننا السوريين قاطعة فى ذلك، وكانت معلوماتنا الوثيقة تؤكده، بل وقام أصدقاؤنا فى الاتحاد السوفيتى بإخطار الوفد البرلمانى الذى كان يزور موسكو فى مطلع الشهر الماضى؛ بأن هناك قصداً مبيتاً ضد سوريا .

ولقد وجدنا واجباً علينا ألا نقبل ذلك ساكتين، وفضلاً عن أن ذلك واجب الأخوة العربية، فهو أيضاً واجب الأمن الوطنى؛ فإن البادئ بسوريا سوف يثنى بمصر .

ولقد تحركت قواتنا المسلحة إلى حدودنا بكفاءة شهد بها العدو قبل الصديق، وتداعت من أثر ذلك خطوات عديدة؛ منها انسحاب قوات الطوارئ الدولية، ثم عودة قواتنا إلى مواقع شرم الشيخ المتحكمة فى مضايق تيران، والتى كان العدو الإسرائيلى يستعملها كأثر من آثار العدوان الثلاثى الذى وقع علينا سنة ١٩٥٦. ولقد كان مرور علم العدو أمام قواتنا أمراً لا يحتمل، فضلاً عن دواعى أخرى تتصل بأعز أمانى الأمة العربية .

ولقد كانت الحسابات الدقيقة لقوة العدو تظهر أمامنا أن قواتنا المسلحة، بما بلغته من مستوى فى المعدات وفى التدريب؛ قادرة على رده وعلى ردعه، وكنا ندرك أن احتمال الصراع بالقوة المسلحة قائم، وقبلنا بالمخاطرة .

وكانت أمامنا عوامل عديدة؛ وطنية وعربية ودولية، بينها رسالة من الرئيس الأمريكى "ليندون جونسون" سلمت إلى سفيرنا فى واشنطن يوم ٢٦ مايو تطلب إلينا ضبط النفس، وألا نكون البادئين بإطلاق النار، وإلا فإننا سوف نواجه نتائج خطيرة .

وفى نفس الليلة فإن السفير السوفيتى طلب مقابلتى بصفة عاجلة فى الساعة الثالثة والنصف من بعد منتصف الليل، وأبلغنى بطلب ملح من الحكومة السوفيتية ألا نكون البادئين بإطلاق النار .

وفى صباح يوم الاثنين الماضى الخامس من يونيو جاءت ضربة العدو. وإذا كنا نقول الآن بأنها جاءت بأكثر مما توقعناه؛ فلابد أن نقول فى نفس الوقت وبثقة أكيدة إنها جاءت بأكبر مما يملكه، مما أوضح منذ اللحظة الأولى أن هناك

قوى أخرى وراء العدو، جاءت لتصفى حساباتها مع حركة القومية العربية. ولقد كانت هناك مفاجآت تلفت النظر :

أولها: أن العدو الذى كنا نتوقعه من الشرق ومن الشمال جاء من الغرب؛ الأمر الذى يقطع بأن هناك تسهيلات تفوق مقدرته، وتتعدى المدى المحسوب لقوته، قد أعطيت له .

وثانياً: فإن العدو غطى فى وقت واحد جميع المطارات العسكرية والمدنية فى الجمهورية العربية المتحدة، ومعنى ذلك أنه كان يعتمد على قوة أخرى غير قوته العادية، لحماية أجوائه من أى رد فعل من جانبنا؛ كما أنه كان يترك بقية الجبهات العربية لمعاونات أخرى استطاع أن يحصل عليها .

وثالثاً: فإن الدلائل واضحة على وجود تواطؤ استعمارى معه؛ يحاول أن يستفيد من عبرة التواطؤ المكشوف السابق سنة ١٩٥٦، فيغطى نفسه هذه المرة بلؤم وخبث، ومع ذلك فالثابت الآن أن حاملات طائرات أمريكية وبريطانية كانت بقرب شواطئ العدو تساعد مجهوده الحربى. كما أن طائرات بريطانية أغارت فى وضح النهار على بعض المواقع فى الجبهة السورية وفى الجبهة المصرية، إلى جانب قيام عدد من الطائرات الأمريكية بعمليات الاستطلاع فوق بعض مواقعنا .

ولقد كانت النتيجة المحققة لذلك أن قواتنا البرية التى كانت تحارب أكثر المعارك عنفاً وبسالة فى الصحراءالمكشوفة؛ وجدت نفسها فى الموقف الصعب؛ لأن الغطاء الجوى فوقها لم يكن كافياً إزاء تفوق حاسم فى القوى الجوية المعادية، بحيث أنه يمكن القول – بغير أن يكون فى ذلك أى أثر للانفعال أو المبالغة – إن العدو كان يعمل بقوة جوية تزيد ثلاث مرات عن قوته العادية .

ولقد كان هذا هو ما واجهته أيضاً قوات الجيش العربى الأردنى التى قاتلت معركة باسلة بقيادة الملك حسين، الذى أقول – للحق وللأمانة – إنه اتخذ موقفاً ممتازاً، وأعترف بأن قلبى كان ينزف دماً وأنا أتابع معارك جيشه العربى الباسل فى القدس وغيرها من مواقع الضفة الغربية، فى ليلة حشد فيها العدو وقواه المتآمرة ما لا يقل عن ٤٠٠ طائرة للعمل فوق الجبهة الأردنية .

ولقد كانت هناك جهود رائعة وشريفة؛ لقد أعطى الشعب الجزائرى وقائده الكبير هوارى بومدين بغير تحفظات وبغير حساب للمعركة، وأعطى شعب العراق وقائده المخلص عبد الرحمن عارف بغير تحفظات وبغير حساب للمعركة، وقاتل الجيش السورى قتالاً بطولياً معززاً بقوى الشعب السورى العظيم وبقيادة حكومته الوطنية، واتخذت شعوب وحكومات السودان والكويت واليمن ولبنان وتونس والمغرب مواقف مشرفة، ووقفت شعوب الأمة العربية جميعاً بغير استثناء على طول امتداد الوطن العربى موقف الرجولة والعزة، موقف التصميم، موقف الإصرار على أن الحق العربى لن يضيع ولن يهون، وأن الحرب دفاعاً عنه ممتدة مهما كانت التضحيات والنكسات على طريق النصر الحتمى الأكيد .

وكانت هناك أمم عظيمة خارج العالم العربى قدمت لنا ما لا يمكن تقديره من تأييدها المعنوى. لكن المؤامرة – ولابد أن نقول ذلك بشجاعة الرجال – كانت أكبر وأعتى، ولقد كان تركيز العدو الأساسى على الجبهة المصرية؛ التى دفع عليها بكل قوته الرئيسية من المدرعات والمشاة؛ معززة بتفوق جوى رسمت لكم من قبل صورة لأبعاده، ولم تكن طبيعة الصحراء تسمح بدفاع كامل؛ خصوصاً مع التفوق المعادى فى الجو. ولقد أدركت أن تطور المعركة المسلحة قد لا يكون مواتياً لنا، وحاولت مع غيرى أن نستخدم كل مصادر القوة العربية، ولقد دخل البترول العربى ليؤدى دوره، ودخلت قناة السويس لتؤدى دورها، ومازال هناك دور كبير مطلوب من العمل العربى العام، وكلى ثقة فى أنه سوف يستطيع أداءه .

ولقد اضطرت قواتنا المسلحة فى سيناء إلى إخلاء خط الدفاع الأول، وحاربت معارك رهيبة بالدبابات والطائرات على خط الدفاع الثانى .

ثم استجبنا لقرار وقف إطلاق النار، أمام تأكيدات وردت فى مشروع القرار السوفيتى الأخير المقدم إلى مجلس الأمن، وأمام تصريحات فرنسية، بأن أحداً لا يستطيع تحقيق أى توسع إقليمى على أساس العدوان الأخير، وأمام رأى عام دولى – خصوصاً فى آسيا وإفريقيا – يرى موقفنا، ويشعر ببشاعة قوى السيطرة العالمية التى انقضت علينا .

وأمامنا الآن عدة مهام عاجلة :

المهمة الأولى: أن نزيل آثار هذا العدوان علينا، وأن نقف مع الأمة العربية موقف الصلابة والصمود. وبرغم النكسة فإن الأمة العربية بكل طاقاتها وإمكانياتها قادرة على أن تصر على إزالة آثار العدوان .

والمهمة الثانية: أن ندرك درس النكسة، وهناك فى هذا الصدد ثلاث حقائق حيوية :

١– إن القضاء على الاستعمار فى العالم العربى يترك إسرائيل بقواها الذاتية، ومهما كانت الظروف ومهما طال المدى، فإن القوى الذاتية العربية أكبر وأقدر على الفعل .

٢– إن إعادة توجيه المصالح العربية فى خدمة الحق العربى ضمان أولى، فإن الأسطول الأمريكى السادس كان يتحرك ببترول عربى، وهناك قواعد عربية وضعت قسراً – وبرغم إرادة الشعوب – فى خدمة العدوان .

٣– إن الأمر الآن يقتضى كلمة موحدة تسمع من الأمة العربية كلها، وذلك ضمان لا بديل له فى هذه الظروف .

نصل الآن إلى نقطة هامة فى هذه المكاشفة بسؤال أنفسنا: هل معنى ذلك أننا لا نتحمل مسئولية فى تبعات هذه النكسة؟ وأقول لكم بصدق – وبرغم أية عوامل قد أكون بنيت عليها موقفى فى الأزمة – فإننى على استعداد لتحمل المسئولية كلها، ولقد اتخذت قراراً أريدكم جميعاً أن تساعدونى عليه :لقد قررت أن أتنحى تماماً ونهائياً عن أى منصب رسمى وأى دور سياسى، وأن أعود إلى صفوف الجماهير، أؤدى واجبى معها كأى مواطن آخر .

إن قوى الاستعمار تتصور أن جمال عبد الناصر هو عدوها، وأريد أن يكون واضحاً أمامهم أنها الأمة العربية كلها وليس جمال عبد الناصر .

والقوى المعادية لحركة القومية العربية تحاول تصويرها دائماً بأنها إمبراطورية لعبد الناصر، وليس ذلك صحيحاً؛ لأن أمل الوحدة العربية بدأ قبل جمال عبد الناصر، وسوف يبقى بعد جمال عبد الناصر.

ولقد كنت أقول لكم دائماً: إن الأمة هى الباقية، وأن أى فرد مهما كان دوره، ومهما بلغ إسهامه فى قضايا وطنه، هو أداة لإرادة شعبية، وليس هو صانع هذه الإرادة الشعبية.

وتطبيقاً لنص المادة ١١٠ من الدستور المؤقت الصادر فى شهر مارس سنة ١٩٦٤ فلقد كلفت زميلى وصديقى وأخى زكريا محيى الدين بأن يتولى منصب رئيس الجمهورية، وأن يعمل بالنصوص الدستورية المقررة لذلك، وبعد هذا القرار فإننى أضع كل ما عندى تحت طلبه، وفى خدمة الظروف الخطيرة التى يجتازها شعبنا.

إننى بذلك لا أصفى الثورة، ولكن الثورة ليست حكراً على جيل واحد من الثوار، وإنى لأعتز بإسهام هذا الجيل من الثوار. لقد حقق جلاء الاستعمار البريطانى، وحقق استقلال مصر، وحدد شخصيتها العربية، وحارب سياسة مناطق النفوذ فى العالم العربى، وقاد الثورة الاجتماعية، وأحدث تحولاً عميقاً فى الواقع المصرى أكد تحقيق سيطرة الشعب على موارد ثروته وعلى ناتج العمل الوطنى، واسترد قناة السويس، ووضع أسس الانطلاق الصناعى فى مصر، وبنى السد العالى ليفرش الخضرة الخصبة على الصحراء المجدبة، ومد شبكات الكهرباء المحركة فوق وادى النيل الشمالى كله، وفجر موارد البترول بعد انتظار طويل. وأهم من ذلك وضع على قيادة العمل السياسى تحالف قوى الشعب العاملة؛ الذى هو المصدر الدائم لقيادات متجددة تحمل أعلام النضال الوطنى والقومى مرحلة بعد مرحلة، وتبنى الاشتراكية، وتحقق وتنتصر.

إن ثقتى غير محدودة بهذا التحالف القائد للعمل الوطنى؛ الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية. إن وحدته وتماسكه، والتفاعل الخلاق داخل إطار هذه الوحدة قادر على أن يصنع بالعمل؛ وبالعمل الجاد، وبالعمل الشاق - كما قلت أكثر من مرة - معجزات ضخمة فى هذا البلد؛ ليكون قوة لنفسه، ولأمته العربية، ولحركة الثورة الوطنية، وللسلام العالمى القائم على العدل.

إن التضحيات التى بذلها شعبنا، وروحه المتوقدة خلال فترة الأزمة، والبطولات المجيدة التى كتبها الضباط والجنود من قواتنا المسلحة بدمائهم؛ سوف تبقى شعلة ضوء لا تنطفئ فى تاريخنا، وإلهاماً عظيماً للمستقبل وآماله الكبار. لقد كان الشعب رائعاً كعادته، أصيلاً كطبيعته، مؤمناً صادقاً مخلصاً.

وكان أفراد قواتنا المسلحة نموذجاً مشرفاً للإنسان العربى فى كل زمان ومكان؛ لقد دافعوا عن حبات الرمال فى الصحراء إلى آخر قطرة من دمهم، وكانوا فى الجو - وبرغم التفوق المعادى - أساطير للبذل وللفداء وللإقدام، والاندفاع الشريف إلى أداء الواجب أنبل ما يكون أداؤه.

إن هذه ساعة للعمل وليست ساعة للحزن، إنه موقف للمثل العليا وليس لأية أنانيات أو مشاعر فردية.

إن قلبى كله معكم، وأريد أن تكون قلوبكم كلها معى، وليكن الله معنا جميعاً؛ أملاً فى قلوبنا وضياءً وهدى.

والسلام عليكم ورحمة الله.

(ملحق رقم ٩)

بيان وزير الدفاع الفريق اول عبد الفتاح السيسي في ٣/ ٧/ ٢٠١٣

«بسم الله الرحمن الرحيم ... شعب مصر العظيم»

إن القوات المسلحة لم يكن فى مقدورها أن تصم آذانها أو تغض بصرها عن حركة ونداء جماهير الشعب التى استدعت دورها الوطنى، وليس دورها السياسى على أن القوات المسلحة كانت هى بنفسها أول من أعلن ولا تزال وسوف تظل بعيدة عن العمل السياسى.

ولقد استشعرت القوات المسلحة – انطلاقا من رؤيتها الثاقبة – أن الشعب الذى يدعوها لنصرته لا يدعوها لسلطة أو حكم وإنما يدعوها للخدمة العامة والحماية الضرورية لمطالب ثورته.. وتلك هى الرسالة التى تلقتها القوات المسلحة من كل حواضر مصر ومدنها وقراها وقد استوعبت بدورها هذه الدعوة وفهمت مقصدها وقدرت ضرورتها واقتربت من المشهد السياسى آملة وراغبة وملتزمة بكل حدود الواجب والمسؤولية والأمانة

لقد بذلت القوات المسلحة خلال الأشهر الماضية جهودا مضنية بصورة مباشرة وغير مباشرة لاحتواء الموقف الداخلى وإجراء مصالحة وطنية بين كل القوى السياسية بما فيها مؤسسة الرئاسة منذ شهر نوفمبر ٢٠١٢.. بدأت بالدعوة لحوار وطنى استجابت له كل القوى السياسية الوطنية وقوبل بالرفض من مؤسسة الرئاسة فى اللحظات الأخيرة.. ثم تتابعت وتوالت الدعوات والمبادرات من ذلك الوقت وحتى تاريخه.

كما تقدمت القوات المسلحة أكثر من مرة بعرض تقدير موقف استراتيجى على المستوى الداخلى والخارجى تضمن أهم التحديات والمخاطر التى تواجه الوطن على المستوى الأمنى والاقتصادى والسياسى والاجتماعى، ورؤية القوات

المسلحة بوصفها مؤسسة وطنية لاحتواء أسباب الانقسام المجتمعى وإزالة أسباب الاحتقان ومجابهة التحديات والمخاطر للخروج من الأزمة الراهنة.

فى إطار متابعة الأزمة الحالية اجتمعت القيادة العامة للقوات المسلحة مع رئيس الجمهورية فى قصر القبة يوم ٢٢ / ٦ / ٢٠١٣ حيث عرضت رأى القيادة العامة ورفضها للإساءة لمؤسسات الدولة الوطنية والدينية، كما أكدت رفضها لترويع وتهديد جموع الشعب المصرى.

ولقد كان الأمل معقودا على وفاق وطنى يضع خارطة مستقبل، ويوفر أسباب الثقة والطمأنينة والاستقرار لهذا الشعب بما يحقق طموحه ورجاءه، إلا أن خطاب السيد الرئيس ليلة أمس وقبل انتهاء مهلة الـ٤٨ ساعة جاء بما لا يلبى ويتوافق مع مطالب جموع الشعب.. الأمر الذى استوجب من القوات المسلحة استنادا على مسؤوليتها الوطنية والتاريخية التشاور مع بعض رموز القوى الوطنية والسياسية والشباب ودون استبعاد أو إقصاء لأحد.. حيث اتفق المجتمعون على خارطة مستقبل تتضمن خطوات أولية تحقق بناء مجتمع مصرى قوى ومتماسك لا يقصى أحدا من أبنائه وتياراته وينهى حالة الصراع والانقسام وتشتمل هذه الخارطة على الآتى:

-**تعطيل العمل بالدستور بشكل مؤقت.**

- يؤدى رئيس المحكمة الدستورية العليا اليمين أمام الجمعية العامة للمحكمة.

- إجراء انتخابات رئاسية مبكرة على أن يتولى رئيس المحكمة الدستورية العليا إدارة شؤون البلاد خلال المرحلة الانتقالية لحين انتخاب رئيس جديد

-.لرئيس المحكمة الدستورية العليا سلطة إصدار إعلانات دستورية خلال المرحلة الانتقالية.

– تشكيل حكومة كفاءات وطنية قوية وقادرة تتمتع بجميع الصلاحيات لإدارة المرحلة الحالية.

– تشكيل لجنة تضم كل الأطياف والخبرات لمراجعة التعديلات الدستورية المقترحة على الدستور الذى تم تعطيله مؤقتا.

–مناشدة المحكمة الدستورية العليا لسرعة إقرار مشروع قانون انتخابات مجلس النواب والبدء فى إجراءات الإعداد للانتخابات البرلمانية.

–وضع ميثاق شرف إعلامى يكفل حرية الإعلام ويحقق القواعد المهنية والمصداقية والحيدة وإعلاء المصلحة العليا للوطن.

–اتخاذ الإجراءات التنفيذية لتمكين ودمج الشباب فى مؤسسات الدولة ليكون شريكا فى القرار كمساعدين للوزراء والمحافظين ومواقع السلطة التنفيذية المختلفة.

–تشكيل لجنة عليا للمصالحة الوطنية من شخصيات تتمتع بمصداقية وقبول لدى جميع النخب الوطنية وتمثل مختلف التوجهات.

تهيب القوات المسلحة بالشعب المصرى العظيم بكل أطيافه الالتزام بالتظاهر السلمى وتجنب العنف الذى يؤدى إلى مزيد من الاحتقان وإراقة دم الأبرياء.. وتحذر من أنها ستتصدى بالتعاون مع رجال وزارة الداخلية بكل قوة وحسم ضد أى خروج عن السلمية طبقا للقانون وذلك من منطلق مسؤوليتها الوطنية والتاريخية.

كما توجه القوات المسلحة التحية والتقدير لرجال القوات المسلحة ورجال الشرطة والقضاء الشرفاء المخلصين على دورهم الوطنى العظيم وتضحياتهم المستمرة للحفاظ على سلامة وأمن مصر وشعبها العظيم.

حفظ الله مصر وشعبها الأبى العظيم.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(ملحق رقم ١٠)

بيان المجلس الأعلي للقوات المسلحة في ٢٧/ ١/ ٢٠١٤

انعقد المجلس الأعلى للقوات المسلحة، فى جلسة طارئة اليوم، الإثنين السابع والعشرين من يناير، ٢٠١٤م ، حيث استعرض ما تمر به البلاد فى هذه الأوقات التاريخية الحافلة بالأحداث الكبرى.وفي بيان أذاعته القوات المسلحة على التلفزيون المصري، قالت: «قد تابع المجلس الأعلى للقوات المسلحة بيقظة واهتمام ما تجلى على الساحة الوطنية منذ ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ وثورة ٣٠ يونيه ٢٠١٣ والمسئوليات الجسام التى تحملتها قوى الشعب والجيش معا فى خندق واحد، لتحقيق أهدافها المشتركة فى حفظ أمن الوطن واستقراره، وقد استعرض المجلس ما قام به الفريق أول عبدالفتاح السيسى منذ توليه مهام منصبه من أعمال وإنجازات لتطوير القوات المسلحة ورفع كفاءتها القتالية والارتقاء بمهارات أفرادها وشحذ روحهم المعنوية. ولم يكن فى وسع المجلس الأعلى للقوات المسلحة إلا أن يتطلع باحترام وإجلال لرغبة الجماهير العريضة من شعب مصر، العظيم فى ترشيح الفريق أول عبدالفتاح السيسى لرئاسة الجمهورية وهى تعتبره تكليفا والتزاما. ثم استمع المجلس إلى الفريق أول عبدالفتاح السيسى وقدر أن ثقة الجماهير فيه نداء يفترض الاستجابة له فى إطار الاختيار الحر لجماهير الشعب. وقد قرر المجلس أن للفريق أول عبدالفتاح السيسى أن يتصرف وفق ضميره الوطنى ويتحمل مسئولية الواجب الذى نودى إليه، وخاصة وأن الحكم فيه هو صوت جماهير الشعب فى صناديق الاقتراع، وأن المجلس فى كل الأحوال يعتبر أن الإرادة العليا لجماهير الشعب هى الأمر المطاع والواجب النفاذ فى كل الظروف، وفى نهاية الاجتماع تقدم الفريق أول عبدالفتاح السيسى بالشكر والتقدير للمجلس الأعلى وللقوات المسلحة وقيادتها وضباطها وجنودها إذ أنها قدرت الظروف العامة وتركت له حقه فى الاستجابة لنداء الواجب وضرورات الوطن.

(ملحق رقم ١١)

إعلان اللجنة العليا للانتخابات بتاريخ ٣/ ٦/ ٢٠١٤

أعلنت اللجنة العليا للانتخابات الرئاسية في مصر فوز وزير الدفاع السابق، المشير عبدالفتاح السيسي، بمنصب رئيس الجمهورية، وبنسبة بلغت ٩٦.٩١ في المائة، من إجمالي الأصوات الصحيحة، مقابل ٣.٠٩ في المائة لمنافسه حمدين صباحي.

وقال رئيس لجنة الانتخابات، المستشار أنور العاصي، خلال المؤتمر الصحفي الذي عقدته اللجنة مساء الثلاثاء، لإعلان النتائج الرسمية للانتخابات الرئاسية، إن نسبة المشاركة في الانتخابات بلغت ٤٧.٤٥ في المائة من إجمالي الناخبين المقيدين في كشوف الناخبين.

وأوضح رئيس اللجنة أن عدد من يحق لهم التصويت بلغ ٥٣ مليون و٩٠٩ آلاف و٣٠٦ ناخبين، أدلى ٣١٨ ألف و٣٣ ناخباً بأصواتهم في الخارج، بينما بلغ عدد من أدلوا بأصواتهم في اللجان الانتخابية بمحافظات الجمهورية، ٢٥ مليون و٢٦٠ ألف و١٩٠ ناخباً.

وأضاف العاصي أن عدد الأصوات الصحيحة بلغ ٢٤ مليون و٥٣٧ ألف و٦١٥ صوتاً، أي ما نسبته ٩٥.٩٣ في المائة من إجمالي أصوات من شاركوا في عمليات التصويت، بينما بلغ عدد الأصوات الباطلة مليوناً و٤٠ ألف و٦٠٨ صوتاً، بنسبة ٤.٠٧ في المائة.

وبالنسبة لعدد الأصوات التي حصل عليها كلا المرشحين، فأكد رئيس لجنة الانتخابات أن السيسي حصل على ٢٣ مليوناً و٧٨٠ ألفا و١٠٤ أصوات، بينما حصل صباحي، زعيم «التيار الشعبي»، على ٧٥٧ ألفاً و٥١١ صوتاً.

وأشار رئيس لجنة الانتخابات إلى أن اللجنة قررت إعادة فرز سبع لجان فرعية، كما قررت إبطال نتائج تسع لجان أخرى، إما بسبب السماح لوافدين غير مقيدين بكشوف الناخبين بالإدلاء بأصواتهم، أو بسبب عدم تطابق عدد بطاقات التصويت مع العدد المسجل في كشوف الناخبين الحاضرين.

وألمح المستشار العاصي إلى أن تناول وسائل الإعلام لمشكلة تصويت الوافدين، تضمن «إساءات» إلى لجنة الانتخابات، التي أصرت على موقفها، رغم «الكثير من الضغوط» التي تعرضت لها، حرصاً على «تحصين منصب الرئيس»، وعدم إتاحة أي فرصة للطعن على نتائج الانتخابات.

كما أشار إلى ما أثير حول انخفاض نسبة الإقبال على الانتخابات، بقوله إنه تمت زيادة عدد اللجان الفرعية من ١٣ ألفاً و٩٩ لجنة، إلى ١٣ ألفاً و٨٩٩ لجنة فرعية «لاستيعاب الزيادة في أعداد الناخبين، وتيسير عملية التصويت»، الأمر الذي يفسر عدم وجود ازدحام أمام اللجان، بحسب قوله.

وكان الأمين العام للجنة الانتخابات، المستشار عبدالعزيز سالمان، قد استهل المؤتمر الصحفي بالتأكيد على أن الانتخابات التي شهدتها مصر، خلال أيام ٢٦ و٢٧ و٢٨ مايو/ أيار الماضي «غير مسبوقة.. تحكمها المعايير الدولية للاستقرار والنزاهة والتجرد والمهنية.»

المصادر المراجع

الفصل الأول : الباشا

أولاً : الكتب:

١. هؤلاء حكموا مصر من مينا إلى مبارك - سلسلة الألف كتاب ، حمدي عثمان – مراجعة د. ناصر الأنصاري .

٢. صفحات من تاريخ مصر – مكتبة مدبولي – تاريخ مصر من محمد على إلى العصر الحديث ، د. محمد صبري

٣. محمد على – الوجه الحقيقي لمؤسس مصر الحديثة – هشام خضر – مكتبة النافذة.

٤. محمد على وعصره – د. أحمد زكريا الشلق وآخرون ، تصدير د. محمد صابر عرب – مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ٢٠٠٥م .

٥. إصلاح أم تحديث ؟ مصر فى عصر محمد على – تحرير د. رءوف عباس – المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٠ .

٦. عصر محمد على – بقلم عبد الرحمن الرافعي بك – الطبعة الثالثة – مكتبة النهضة المصرية .

٧. مصر فى عهد محمد على – المركز القومي للترجمة ٢٠١٦ - عفاف لطفي السيد مارسو – ترجمة عبد السميع عمر زين الدين ، مراجعة السيد أمين شلبي .

٨. محمد على باشا الكبير – مركز الهلال للتراث الصحفي .

٩. القناطر الخيرية من محمد على للسيسي – مركز الهلال للتراث الصحفي .

١٠. بناء الدولة الحديثة فى مصر ، د. عبد الغفار محمد حسين ١٩٨١ م .

١١. معالم تاريخ مصر الحديث ، د. أحمد عبد الرحيم مصطفى ١٩٥٢م .

١٢. تاريخ مصر السياسي فى الأزمنة الحديثة ، راوية عطية ١٩٤٨م .

١٣. تاريخ مصر الحديث ، د. محمد جمال الدين على ١٩٧٧م .

١٤. دراسات فى تاريخ مصر المعاصر د. عبد العظيم رمضان ١٩٨٠ .

١٥. عظماء الوطنية فى مصر ، شحاته عيسى إبراهيم ١٩٧٧م .

١٦. الدولة العثمانية ومصر فى النصف الثاني من القرن ١٨ م ، د. عبد الوهاب بكر ١٩٨٢ .

١٧. تاريخ مصر من الفتح العثماني حتى قُبيل الوقت الحاضر د. سليم حسن ١٩٢١م .

١٨. بناء دولة مصر محمد على القاهرة ١٩٤٨ – محمد فؤاد شكري وآخرون.

١٩. محمد على الكبير ٢٠٠ عام على حكم مصر ملف وثائقي – مركز تاريخ الأهرام ٢٠٠٥ – د. يونان لبيب رزق .

٢٠. محمد على مؤسس مصر الحديثة – المشروع القومي للترجمة – المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٣ ، جي فارجيت .

٢١. تاريخ الحركة القومية وتطور نظم الحكم فى مصر ج٢ . ط٣ النهضة المصرية ، عبد الرحمن الرافعي .

٢٢. محمد على باشا وأولاده – محمد جمال بدوى – مكتبة الأسرة – القاهرة ١٩٩٩.

٢٣. محمد علي الكبير – دار الهلال القاهرة ١٩٨٦ م ، د . محمد شفيق غربال .

٢٤. الفساد فى عصر محمد على – رزق نوري – المجلس الأعلى للثقافة – ٢٠١٠.

٢٥. كل رجال الباشا – محمد على وجيشه وبناء مصر الحديثة – خالد فهمى – دار الشروق .

٢٦. الامبراطورية المصرية فى عهد محمد على والمسألة الشرقية (١٨١١ – ١٨٤٩) – محمد صبري السوربوني – ترجمة ناجي رمضان مراجعة وتقديم أحمد زكريا الشلق – المركز القومي للترجمة – ج١ ، ج٢ – ٢٠١٣م.

٢٧. محمد على ونظام حكمه – طارق البشرى – دار الشروق .

ثانياً : دراسات ومقالات :

١. رؤية المفكرين لمشروع ورؤية الباشا تمثل ثلاث توجهات

– جمال الدين الأفغاني وعباس العقاد – محمد عبده ودكتور لويس عوض

– سلامه موسى وأحمد حسين

٢. رؤية لباحثين ومؤرخين لمشروع ورؤية الباشا :

أ) من كتاب محمد على وعصره للدكتور / أحمد زكريا الشلق وآخرون

ب) الدكتور رؤوف عباس دراسة أعيد نشرها « بتصرف ».

ثالثاً : المجلات والصحف والمواقع

١. موقع الملك فاروق – ملك مصر – مقالات وآراء .

٢. مجلة الهلال الشهرية عدد أكتوبر ١٩٩٨ دراسة

الفصل الثاني : الزعيم

أولاً : الكتب :

١. جمال عبد الناصر وعصره – لجنة من المؤرخين إشراف وتقديم دكتور عادل غنيم – دار المعارف .

٢. يوميات ... رسائل ... مقالات ، جمال عبد الناصر – إعداد عادل عبد الصمد – دار الهلال .

٣. مقامات ناصرية – د. عاصم الدسوقي – كتاب الجمهورية .

٤. يوسف صديق وجمال عبد الناصر وأنا – علية توفيق – الأهرام .

٥. لغز يونيو ١٩٦٧ الهزيمة والعقاب ، رشاد كامل – روز اليوسف – سوزانا للنشر .

٦. أسرار ناصر من واقع ملفات (منتهى السرية) فى المخابرات البريطانية والفرنسية والأمريكية والإسرائيلية ، توحيد مجدي – أخبار اليوم – قطاع الثقافة .

٧. عبد الناصر والذين غدروا به ، عادل ثابت – أخبار اليوم – قطاع الثقافة .

٨. مصادر التكوين الفكري لقائد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، جمال عبد الناصر – دكتور جمال شقرة أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر – جامعة عين شمس .

٩. الأسرار الشخصية لجمال عبد الناصر كما رواها محمود الجيار ، ضياء الدين بيبرس – مكتبة مدبولي .

١٠. لعبة الأمم وعبد الناصر – المكتب المصري الحديث – محمد الطويل .

١١. ليلة ٢٣ يوليو – مقدماتها – أسرارها – أبعادها ، أحمد عطية الله – مكتبة النهضة المصرية .

١٢. الديمقراطية ونظام ٢٣ يوليو ، ١٩٥٢ – ١٩٧٠ ، طارق البشري – مؤسسة الأبحاث العربية .

١٣. مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر ، حكاية مصر فى العصر الحديث ، ريمون فلاور ، ترجمة سيد أحمد الناصر ، تقديم ومراجعة يونان لبيب رزق – المجلس الأعلى للثقافة .

١٤. العلاقات المصرية الفرنسية من التعاون إلى التواطؤ ١٩٢٣ – ١٩٥٦ – د. علاء الدين عرفات – العربي للنشر والتوزيع

١٥. الصراع الاجتماعي والسياسي فى مصر ، منذ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ إلى نهاية أزمة مارس ١٩٥٤ د. عبد العظيم رمضان .

١٦. فى محبة التاريخ – دراسات فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، تحرير لطيفة سالم – إعداد عبد المنعم محمد سعيد – الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٧. عبد الناصر والسياسة الخارجية الأمريكية (١٩٥٢ – ١٩٥٦) – د. محمد عبد الوهاب سيد أحمد ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية – مركز تاريخ مصر المعاصر .

١٨. ناصر – أنتوني ناتنج – ترجمة شاكر إبراهيم سعيد – مكتبة مدبولي .

١٩. لمصر لا لعبد الناصر ، محمد حسنين هيكل .

٢٠. التصور القومي العربي فى فكر جمال عبد الناصر (١٩٥٢ – ١٩٧٠) د. مارلين نصر ، ودراسة فى علم المفردات والدلالة – مركزو دراسات الوحدة العربية .

٢١. جمال عبد الناصر من القرية للوطن العربي – د. خالد عزب – صفاء خليفة ، الدار المصرية اللبنانية .

٢٢. جمال عبد الناصر رائد التاريخ العربي الحديث ، فوزي عطوي – الشركة اللبنانية للكتاب .

٢٣. عبد الناصر وتحرير المشرق العربي ، شهادة فتحي الديب – مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية الأهرام .

٢٤. عبد الناصر وتجربة الوحدة ، صلاح نصر – الوطن العربي للنشر والتوزيع

٢٥. شاهد حق – أحمد طعيمة ، صراع السلطة ، نجيب – عبد الناصر – عامر – السادات .

٢٦. صفحات من تاريخ الوطن ، رؤوف عباس – دار الكتب والوثائق القومية ، تحرير عبادة كحيلة .

٢٧. رسالة من السودان ، محمد نجيب ، المطبعة الأميرية بالقاهرة .

٢٨. قضايا ناصرية – حاتم صادق ، دار الموقف العربي – سلسلة قضايا معاصرة .

٢٩. البلاط الملكي ودوره فى الحياة السياسية المصرية من إسماعيل إلى فاروق (١٨٦٣ – ١٩٥٢) .

٣٠. مصر النهضة- عبد الناصر والسياسة الخارجية الأمريكية ١٩٥٢ – ١٩٥٦ د. محمد عبد الوهاب .

ثانياً : الدوريات

١. جمال عبد الناصر – صفاء خليفة – ٩٠ عاماً على ميلاده – ذاكرة مصر المعاصرة – مكتبة إسكندرية – أكتوبر ٢٠٠٩ .

٢. الجمهوية العربية المتحدة – فبراير ١٩٥٨ – قيام الوحدة محمود عزت –

ذاكرة مصر المعاصرة – مكتبة إسكندرية– يوليو ٢٠١٠ .

٣. أسرار الخطابات الرسمية بين جمال عبد الناصر وجـون كينـدي – شـيرين جابر– ذاكرة مصر المعاصرة – مكتبة الأسكندرية – العـدد الرابـع عشـر / يوليـو ٢٠١٣ .

ثالثاً : دراسات ومقالات :

١. رؤية الـدكتور / عاصـم الدسـوقي أسـتاذ التـاريخ الحـديث والمعاصـر «بتصرف».

٢. رؤية الدكتور / جمال شقرة أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر « بتصرف ».

٣. رؤية الدكتور / حاتم صادق .

٤. ملخص لكتاب ناصر – أنتوني ناتنج « بتصرف ».

رابعاً : المجلات :

١. الهلال فى ١/ ١١/ ١٩٧٠ .

٢. المصور العدد ٤٥٧٢ فى ٢٣/ ٥/ ٢٠١٢ .

٣. الهلال العدد ١٤٩٩ يناير ٢٠١٨ .

الفصل الثالث : الإنسان

أولاً : المصادر :

- كتاب مصر التحدي والإنجاز – رئاسة مجلس الوزراء – سبتمبر ٢٠١٨.

ثانياً : الكتب

- السيسـي والشـعب والتحـدي – المصـريون والثـورة ٣ – دار الهـلال – د. حسن أبو طالب .

ثالثاً : دراسات ومقالات :

١. الكاتب الصحفي عبد القادر شهيب : دراسة بعنوان « الرئيس وعلاج أمراضنا الاقتصادية المزمنة » (بتصرف) .

٢. الكاتب الصحفي دكتور / حسن أبو طالب : دراسة بعنوان « السيسي والدولة المصرية .... من تثبيت المؤسسات ومواجهة الإرهاب إلى التطوير والإبداع» (بتصرف).

٣. الكاتب الصحفي حزين عمر : مقال بعنوان « السيسي تجسيد للجندية».

رابعاً : المجلات والصحف

١. المصور العدد ٤٨٣٣ فى ٢٤/ ٥/ ٢٠١٧ .

٢. الأهرام فى ١٨/ ١/ ٢٠١٨ .

٣. المساء فى ١٨/ ١/ ٢٠١٨ .

٤. الأخبار في ١٨/ ١/ ٢٠١٨ – السيسي يقدم كشف حسابه للمصريين فى مؤتمر حكاية وطن .

٥. الهلال العدد ١٥٠١ فى مارس ٢٠١٨ .

٦. المصور العدد ٤٨٧٥ فى ١٤/ ٣/ ٢٠١٨ .

٧. الأهرام في ٢١/ ٣/ ٢٠١٨ حوار شعب ورئيس .

٨. الجمهورية فى ٥/ ٤/ ٢٠١٨ .

الفهرس